

أُمَّهَاتُ الْأَمْوَالِ حَبِيبَاتُ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

زَوَاجَاتُ الرَّسُولِ

لِلشَّيْخِ

مَهْمُودِ الْمَصْرِيِّ

أَبُو عَمَلٍ

لِلأَطْفَالِ

مَكْتَبَةُ الصَّفَا

ضَوْءٌ سَائِدٌ

أمهات المؤمنين

زوجات الرسول ﷺ

للأطفال

عن أبيه

تأليف: محمد بن عبد الله
مؤلف: محمد بن عبد الله

11-11-11

11-11-11

11-11-11

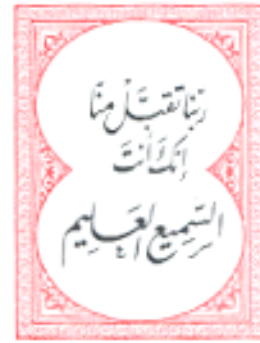
11-11-11

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع: ٢٠١١/٣٧٨



إِذَا لَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ مَعَهُ فَليَسْأَلْ مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ

١٢٧ ميدان الأزهرة، تمام الجامع الأزهر، القاهرة، مصر ١١٥٧٢٢٠
أزهرية الأزهر، معهد الجامع الأزهر، ١-١٤٣١١٤، ميدان الأزهر، القاهرة ١١٤٧٩٩٥

مكتبة الأصفهاني
للنشر والتوزيع

أمهات المؤمنين

صلى الله عليه وسلم

زوجات الرسول

للأطفال

للشيخ

مكيوم المصري

أبو عمارة

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع

تليفون: ٢٥١٤٧٢٢٠ تليفاكس: ٢٥١٤٧٩٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالإسلام هو دين الهدى والنور، الذى لا سعادة للبشرية ولا أمن لها، ولا سعادة فى الدنيا والآخرة، إلا عندما تهتدى بهداه، وتستضىء بنوره، مخلصه فى عبوديتها لله الخالق، تأتمر بأمره، وتتبع منهجه، نابذة كل منهج من المناهج الأرضية المخالفة له.

والأولاد أمانة فى أعناق الوالدين، والوالدان مسؤولان عن تلك الأمانة، والتقصير فى تربية الأولاد خلل واضح، وخطأ فادح؛ فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، والبيت هو اللبنة التى يتكون من أمثالها بناء المجتمع، وفى

مقدمة الناشر

الأسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته، وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى - ينشأ رجال الأمة ونساؤها، وقادتها وعظماؤها.

والولد قبل أن تربيه المدرسة والمجتمع - يربيه البيت والأسرة، وهو مدين لأبويه في سلوكه الاجتماعي

المستقيم. وقد استعان الناشر في إعداد هذا الكتاب بمكتبة الصفا تقوم بدورها في توعية المجتمع بواجباته الدينية والاجتماعية كما تعودت دائماً، فبعد أن وفقها الله لطباعة ونشر القرآن الكريم، ونشر كتب التفسير والحديث، فإنها أيضاً قد فعلت كعادتها ونشر كتاب الداعية الكبير فضيلة الشيخ «محمود المصري».

نقدم اليوم درة تضاف إلى مطبوعاتنا وهو كتاب «أمهات المؤمنين للأطفال» لفضيلة الداعية محمود المصري.

كما استطاع فيه - حفظه الله - أن يتحدث مع الأطفال بلغة عصرية جميلة.

يعلمهم فيه أصول دينهم. تتبناه بوجهة لبعض المطابع وسترى أخى القارئ الكريم مدى السلاسة والسهولة

التي تميزت بها عبارات هذا الكتاب حتى يناسب عقول رجال المستقبل.

ونعدكم أخى القارئ الكريم بمزيد من المطبوعات فى كافة المجالات، التى نرجو من الله عز وجل أن يتقبلها منا قبولاً حسناً وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مَكَتَبَةُ الصَّفَا

جعلها الله منارة لخدمة العلم والدين

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله
تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا
مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضِلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴾ (٣) .

(١) سورة آل عمران: الآية: (١-٢) .

(٢) سورة النساء: الآية: (١) .

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان: (٧٠، ٧١) .

أما بعد:

جبايي الحلوين: كنت قد تشرفت بكتابة مجموعة من الكتب القصصية الهادفة التي جعل الله لها القبول في قلوبكم وكان من بينها: كتاب حكايات عمو محمود (الجزء الأول والثاني) - قصص القرآن للأطفال - قصص الرسول للأطفال - قصص الأنبياء للأطفال - سيرة الرسول للأطفال - أخلاق الرسول للأطفال - أصحاب الرسول للأطفال - تفسير جزء عم للأطفال... وها أنا اليوم أقدم لكم كتاب: أمهات المؤمنين للأطفال... لتتعرف من خلاله على أزواج النبي ﷺ (أمهات المؤمنين رضي الله عنهن) حتى نستفيد من سيرتهن العطرة ونعرف كيف عشن مع النبي ﷺ وكيف كانت حياتهن وزهدهن وعبادتهن فنقتدي بهن.

فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أمهات المؤمنين. وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عضو الرحيم الغضار

عمو / محمود المصري

أبو عمار

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

حبايبي الحلوين:

ومع أول كوكبة من كواكب المجموعة النبوية نلتقى مع رمز الطهر والعفاف والتقى... مع الزهرة التي فاح أريجها وعبيرها فملاً أرجاء الكون كله بعبير الإيمان والتضحية والبذل والفداء. مع أول من آمنت بالله - من النساء -... وأول من صلّت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله... وأول من رُزق منها الأولاد... وأول من بشرها بالجنة من أزواجه... وأول من أقرأها ربها السلام... وأول صديقة من المؤمنات وأول زوجات النبي صلّى الله عليه وآله وفاة... وأول قبر نزل فيه النبي الكريم صلّى الله عليه وآله بمكة... آمنت به حين كفر به الناس وصدقته حين كذّب به الناس وواسته بمالها حين بخل الناس ورزقه الله منها الولد.

إنها العاقلة اللبية المصونة الكريمة التي كانت تُدعى

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

في الجاهلية «الطاهرة» فكيف بها في ظل الإسلام؟!
 إنها سكن النبي ﷺ التي آزرته ووقفت بجواره ليبلغ
 دعوة ربه (جل وعلا) وهيات للحبيب ﷺ كل أسباب
 السعادة والنعيم. وسانده في أحلك أوقات المحنة حتى
 استحقت بكل جدارة أن يأتيها السلام من عند السلام (جل
 وعلا) من فوق سبع سماوات بل وتأتيها البشرى بيت في
 الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب. **سنة ١٠**
 إنها سيدة نساء العالمين وزوجة سيد الأولين والآخرين
 ﷺ . . . إنها خديجة **سنة ١١** التي سطع نجمها في عالم
 الإيمان والطهر والعفاف والنبل والعطاء والوفاء. **سنة ١٢**
 فتعالوا بنا لنستعاش بقلوبنا مع أعظم أم في الكون كله
 لنعلم قدرها ومكانتها ومنزلتها عند الله وعند رسول الله
 ﷺ ولنسعد بسيرتها العطرة التي نقدم من خلالها أعظم
 قدوة لنسائنا وبناتنا وأخواتنا بل وأمهاتنا. **سنة ١٣**
 فهيا لنعطر قلوبنا بسيرتها المباركة **(١)**.



(١) صحايات حول الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ١٥-١٦). (سنة ١٤)

من هنا نبدأ...

وُلدت خديجة رضي الله عنها في مكة قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة تقريباً. . . ونحن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد وُلد في عام الفيل وبذلك تكون خديجة قد وُلدت قبله بخمس عشرة سنة. والدها خويلد بن أسد، رجل من أشراف قريش، ومن كبار رجالها، بل ومن وجهائها المعروفين، وقد استشهد المؤرخون على مكانته ووجهته بأنه كان في الوفد الذي أرسلته قريش إلى اليمن ليهنئ ملكها العربي سيف ابن ذي يزن، عندما طرد الأحباش من بلاده وبلاد العرب في اليمن، وانتصر عليهم، وكان ذلك بعد عام الفيل بعامين، وقد تكون وفد قريش من عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم، وأميه بن عبد شمس، وخويلد بن أسد والد خديجة في عدد من وجوه قريش من أهل مكة، فأتوه بصنعاء في قصر له، يقال له: غمدان^(١).

* وفي حرب الفجار التي دارت بين قريش وبين قبيلة أخرى تُسمى (قيس عيلان) مات خويلد بن أسد والد خديجة. وسميت تلك الحرب بحرب الفجار لأنها كانت في

(١) أخبار مكة / للأرقمى (١ / ١٤٩).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

الأشهر الحُرْم ولأنهم استحلوا فيها الكثير من حُرْمات مكة التي كانت مقدمة عند العرب .

* وكادت (قيس عيلان) أن تُهزَم هزيمة منكرة لولا أنه تدخل بعض الناس للصلح بينهم عل أن يُحصوا عدد القتلى من الفريقين فمن وجد قتلاه أكثر أخذ دية العدد الزائد من القتلى . فكان لقيس زيادة في القتلى فأخذوا ديتها من قريش .

* وكان النبي ﷺ في تلك الحرب قد بلغ العشرين من عمره . . ولم يقاتل فيها بل كان يجمع النبال التي يرميها أعداؤهم ثم يعطيها لأعمامه .

* ولم يقاتل النبي ﷺ لأنها كانت حرب فجار وكانوا كُفَّاراً ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا .

* أما أمها فهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، يمتد نسبها إلى لؤى بن غالب الذي تنتسب إليه قريش ، وبه تلتقى بنسب النبي ﷺ .

وقد تزوجت خديجة قبل أن تتشرف بالزواج بالرسول

ﷺ

ذكريات مؤلمة . قلبها قبله قوله

كانت سيده نساء قريش خديجة ابنة خويلد رضيها تطوف مع النساء، وتبتهل إلى رب البيت العتيق أن يبارك لها في تجارتها... وفي مالها.

كانت خديجة راضية النفس، راضية القلب بما حققته من نجاح في تجارتها، فقد باتت قافلتها إلى الشام تعدل قوافل قريش... كانت سعيدة بما بلغته في دنيا التجارة، وكانت مسرورة بما وصلت إليه في سلطان المال، وفي سلطان الجاه... .

ويبدو أن فكرة اعترضت في ذهن خديجة وهي في طوافها، برزت الفكرة بشكل واضح، ونقلتها إلى ظلال الماضي القريب، إلى ذكريات أخذت مساحة واسعة من ذهنها.

صحيح أنها سعيدة - الآن - في تجارتها إلا أن سعادتها في حياتها الزوجية قد تعثرت وتمزقت أكثر من مرة، ولم تعرف إلى قلبها الكبير سبيلاً، بل ضلت السبيل منذ بدايتها!... كان قلب خديجة يرنو إلى حياة زوجية رفيعة، فيها سمو وبذل وتضحية وكفاح في سبيل تحقيق

غاية سامية نبيلة. **خلاصة ما يلي**

تزوجت أبا هالة بن زُرارة التميمي ولم تبلغ ربيعها الخامس عشر، راحت تجاهد ليكون زوجها سيداً بين السادة من الرجال، ليكون من رجال قريش المعدودين في الجاه والشرف والسيادة... ولكن الموت لم يترك لأحلامها مجالاً، فقد اختطف زوجها أبا هالة قبل أن يصبح شيئاً مذكوراً وقبل أن يسلك طريق المجد ويرتقى سلم الشهرة.

انقضى زمن على موت زوجها أبي هالة بن زُرارة التميمي، فتقدم لها أحد أشراف قريش وهو عتيق بن عابد ابن عبد الله المخزومي. فتزوجت وأنجبت، ولكن هذا الزواج لم يدم طويلاً. أصبحت خديجة سيدة نساء قريش بلا زوج أيضاً، وقبل أن تبلغ من عمرها الخامسة والعشرين^(١).

وظلت هكذا بلا زوج حتى بلغت الأربعين من عمرها فتزوجها النبي ﷺ.

في يوم قريش... * * * * *

(١) نساء أهل البيت / أ. أحمد خليل جمعة - حفظه الله - (ص: ١٥ - ١٦).

وها هي ترفض الزواج وتنشغل بالتجارة

وبعد أن اشتد عود الأبناء، وجدت الكثير من رجال قريش وأشرافها يتقدمون الواحد تلو الآخر لخطبتها، وكلهم كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا الأموال لها^(١)، لشرفها وجمالها ومالها؛ وقابلت ذلك كله بالرفض والعزوف عن الزواج، وكأنها كانت قد استقبلت إلهاماً من الله عز وجل أن ترد كل هؤلاء الذين جاؤوا لخطبتها، وتعرض عنهم، لتشرف بعد ذلك بالزواج من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد شغلت نفسها عن كل هذا بالنظر إلى مالها، وقررت أن تستثمره وتُنمِّيه بالعدل والحلال وذلك من خلال مهنة التجارة التي دأبت قريش على الامتهان بها، حتى انتظمت من أجل هذه المهنة رحلتين: إحداهما تتجه صوب الشمال إلى بلاد الشام وسميت برحلة الصيف، والأخرى تتجه صوب الجنوب وسميت برحلة الشتاء، كما جاء في قول الله عز وجل: ﴿لَا يَلْفَافُ قُرَيْشٌ (١) إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ

(١) رحلة قريش.

(٢) سبل الرشاد في سيرة خير العباد ٢ / ٢٢٣ .

جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿١﴾. *وَأَمَّا الْغُرُوحُ فَهِيَ لَهُ*

ولعل هذه المهنة تُناسب الرجال دون النساء، فلم يكن في استطاعة خديجة أن تخرج على رأس تجارتها ومالها، ولكنها كانت تستعين بالرجال لكي يعملوا في تجارتها، فستأجرهم لهذا الغرض.

وكان النبي ﷺ في تلك الفترة غارقاً في حياة التفكير والتأمل مع قليل من العمل في رعى الغنم، ولكن ليست هذه بالحياة التي تُدر على صاحبها الرزق، أو تفتح أمامه أبواب اليسر والمال، إلا أن محمداً ﷺ ما كان يهتم لذلك أو يُعنى به، وقد ظل طوال حياته أشد الناس زهداً في المادة ورغبة فيها.

وكان أبو طالب رغم ما كان لقبيلته وأهله من بني هاشم من المجد والسؤدد، ورغم ما كان لأبيه عبد المطلب من مكانة ومجد، إلا أنه كان رجلاً قليل المال، يعمل في التجارة ليكسب رزقه ورزق أولاده، ولكن فقره لم يمنعه من رعاية ابن أخيه محمد، ولم يمنعه أيضاً من أن يكون سيداً في بني هاشم مُطاعاً بينهم، يُكنُّ له أهل مكة

(١) سورة قريش.

الاحترام والإجلال، في الوقت الذي ضعفت فيه رئاسة بني هاشم، وخاصة بعد وفاة عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم (١).

النبي صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى حال عمه أبي طالب الذي كان فقيراً صاحب عيال فأراد أن يساعده ويخفف عنه الحمل الثقيل... فقرر أن يبحث عن عمل يساعده به عمه. وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم في رعى الأغنام ليساعد عمه وليرد إليه شيئاً من المعروف الذي أسداه إليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم».

فقال أصحابه: وأنت؟
فقال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة» (٢).

قصة بحيرا الراهب

لقد كان أبو طالب يحب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من حبه لأولاده وكان لا يطيق فراقه لحظة واحدة.

(١) أزواج النبي صلى الله عليه وسلم / ١. عبد المنعم الهاشمي - حفظه الله - (ص: ٢٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢) كتاب الإجارة. (٢١)

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وفي يوم من الأيام أراد أبو طالب أن يخرج إلى الشام في تجارة له فلم يستطع أن يسافر وحده ويترك محمداً ﷺ . . . فأخذه معه في رحلته إلى الشام.

وكان في الطريق تنتشر صوامع الرهبان الذين كانوا يعرفون صفة نبي آخر الزمان فقد قرءوا صفته في التوراة والإنجيل . وكان من بين هؤلاء الرهبان رجل اسمه (بحيرا) وكان رجلاً صالحاً يعرف صفة النبي ﷺ . . .

ونظر بحيرا إلى القافلة التي قدم فيها أبو طالب ومحمد ﷺ فإذا به يرى غمامة (١) في السماء تُظلل محمداً ﷺ وتسير معه أينما سار، وهذه علامة من علامات نبي آخر الزمان، وأراد «بحيرا» التأكد من هذا النبي، والنظر في وجهه، فصنع طعاماً، ودعا القافلة جميعاً للأكل، فقالوا: فقالوا: «يا نبي الله له لنا طعام، فقل لنا ما هذا؟»

- يا بحيرا كنا نمر عليك فلم تصنع لنا طعاماً، فلماذا

هذه المرة؟!!

- قال: بل أنتم ضيؤني، فلتأتوا جميعاً ولا يتخلف

منكم أحد.

(١) سحابة.

وجاءوا جميعاً إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر بحيراً فلم

يجده، فقال: هل جئتم جميعاً؟ به له ولا؟ **بأبى**

قالوا: نعم، إلا غلاماً صغيراً، اسمه محمد جعلناه في

رحالنا. **بأبى**

فقال: إذن، ليذهب أحدكم وليأتني به.

واحضراً محمد صلى الله عليه وسلم، وجلس للطعام مع قومه فلما

فرغ القوم من الطعام، وبقي بحيراً ومحمد صلى الله عليه وسلم

وحدهما. **بأبى**

قال بحيراً: يا غلام أسألك باللات والعزى، أن

تجيبني عما أسألك عنه قال: لا أسألك باللات والعزى

شيئاً، فوالله إني لأكرههما. **بأبى**

فقال: إذن أسألك بالله.

قال: أسأل عما بدأ لك.

فراح بحيراً يسأله عن أمور نومه، وطعامه، حتى كشف

عنه كتفيه؛ فرأى خاتم النبوة على كتفه، وهو بعض

شعرات بين كتفيه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال بحيرا لأبي طالب: من هذا الغلام؟ فقال: ابني.

قال بحيرا: لا، ما هو بابنك، ولكن ينبغي أن يكون

أبواه قد ماتا. أما سمعت لهؤلاء أمهات المؤمنين؟

قال أبو طالب: نعم، مات أبوه وأمه حبلى^(١)، وماتت

أمه.

فقال بحيرا: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلدك،

واحذر عليه اليهود، فلو عرفوه ليقتلونه. أما سمعت لهؤلاء أمهات المؤمنين؟

وعاد أبو طالب إلى مكة.

وقد تأكد أن لابن أخيه شائنا بين الناس جميعاً، وما

زالت كلمات بحيرا في أذنه: «احذر عليه اليهود»^(٢).

رؤيا نورانية

رأت الطاهرة خديجة في منامها أن شمساً قد سقطت

في دارها، فأضاءتها وأضاءت ما حولها، ولم تستطع

تفسير هذه الرؤيا: أهي بشرى تبشئ لها، وتعتز بها، أم

(١) حبلى: أي حامل.

(٢) حياة محمد ﷺ للأطفال / أ. حامد أحمد (ص: ٣٨-٤٠).

هي زيادة في الحيرة، واستدامة للقلق والاضطراب؟ إن نال
 نظرت حولها فإذا الليل لا يزال يُرْخى أستاره على
 مكة، فلم تستطع أن تخرج في هذا الليل البهيم إلى حيث
 دار ابن عمها ورقة بن نوفل - الذي كان قد هجر عبادة
 الأصنام، ودخل في دين النصرانية - فانتظرت حتى أشرق
 الفجر، وسطع نوره على طرقات مكة، فحزمت أمرها،
 وخرجت مسرعة إلى دار ابن عمها.
 وطرقت بابه فلما عرف صوتها عجب من سعيها إليه
 في هذا الوقت الباكر من الصباح وأدرك أن امرأً خطيراً قد
 جاء بالطاهرة. فمنا تاهها ورقة فتمسكها تلك المرأة
 وما إن قصت عليه رؤياها حتى أشرق وجهه وأضاءته
 ابتسامة عريضة، وقال لها: أبشري يا خديجة، إنها النبوة
 ستشرق من بيتك فتضيء العالم كله! هيا! فمنا تتفتل
 نخرجت الطاهرة من بيت ابن عمها هادئة النفس
 مطمئنة القلب، تمشي إلى دارها في خطى بطيئة، وذنها
 مزدحم بالأفكار: أين هي من النبوة؟ إن ورقة كثيراً ما
 حدثها عما يجده في كتبه من أن نبياً من العرب سيبعث

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وأن أوائه قد جاء، ولكن أين هي من ذلك كله؟ وما شأنها بهذا النبي العربي الذي أظلم العالم زمانه؟ (١).

وتتأكد تلك الرؤيا في قلبها

وفي يوم من الأيام كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه عند الحرم، وفي أحد الأعياد، خرجت خديجة من بيتها نحو الكعبة، ثم طافت بالبيت العتيق، وراحت تبتهل إلى الله وتدعوه في صدق أن يحقق لها حلمها، ثم انطلقت نحو نسوة كن بالقرب من الكعبة، وجلست معهن يتجاذبن أطراف الحديث، وطرائف الأخبار.

في تلك الساعة، قطع أصوات النسوة صوت صارخ وقف بالقرب منهن، كان هذا الصارخ من اليهود، وقف بالقرب من النسوة وصرخ: يا معشر نساء قريش، فالتفتت النسوة إليه وأصخن السمع فقال: يا معشر نساء قريش، إنه يوشك أن يظهر نبي آخر الزمان، فأيتكن استطاعت أن تكون زوجة له فلتفعل. ويبدو أن نسوة قريش، حسبنه يهذى، فرماه بعضهن

(١) خديجة بنت خويلد/ د. علي عبد المنعم (ص: ٣-٤). ط: مكتبة سفيرة.

بالحصباء، وألقى عليه أخريات منهن سيلاً من الشبائم والسياب، وطرده من ذلك المكان، فمضى إلى مكة، وأما خديجة ابنة خويلد رضي الله عنها فقد خفق قلبها في شدة، فحدث هذا اليهودي أعاد إلى ذاكرتها شريط حلمها الذي ليس هو ببعيد، إنه أعاد إلى ذهنها حلمها الذي رآته، وذلك الحديث الشجي العذب الذي دار بينها وبين ابن عمها ورقة بن نوفل، حول خاتم الأنبياء عليه السلام لما نزل به، إن ذلك اليهودي ليس يهذي، وليس بمجنون، إنه يعلى ما يقول، فقد أعلن على الملأ أن نبياً قد اقترب ظهوره، وهو يدعو من استطاعت من نسوة قريش أن تكون زوجاً له، وخديجة قد رأت في منامها أن الشمس هبطت من سماء مكة لتستقر في دارها، أشياء كثيرة ازدحمت في ذهن خديجة.. أفكار تصارعت في مخيلتها تساءلت: أيكون ذلك كله عبثاً؟ كلا ورب هذا البيت.

خديجة تتمنى أن يخرج النبي صلى الله عليه وسلم في تجارتها

كانت خديجة ابنة خويلد تعرف محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حق المعرفة، فعمته صفية بنت عبد المطلب زوجة

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أخيها العوام بن خويلد، وقد ترامت إليها سيرته العطرة وأخباره المباركة، فودت لو أنه عمل لها في تجارتها، ولكنها كانت تعتقد أن في تجارة بني هاشم منفساً له، وما علمت أن كثرة العيال قد ذهبت بتجارة أبي طالب، وأن حمزة بن عبد المطلب قد شُغل بالقنص والصيد والفتوة عن التجارة، وأن العباس بن عبد المطلب يخرج هو في تجارتها، وأن أبا لهب قد انغمس في الفجور واللهو والشراب والعريضة والمقامرة. ^(١)

ويبدو أن أبا طالب عم النبي ﷺ قد رغب إلى ابن أخيه محمد ﷺ أن يعرض نفسه على خديجة بعد أن ذكر له قلة ماله، وأن الزمان قد اشتد عليه، ونصحه أن يتاجر بمال خديجة فلعل الله أن يسوق له رزقاً حسناً من مال خديجة المدود^(١).

وها هي تعرض عليه الخروج في تجارتها

* كانت الطاهرة خديجة مثلاً رائعاً بين نساء مكة في المكانة والشرف والمال، ولها تجارة واسعة، وتستأجر من

(١) نساء أهل البيت (ص: ١٩ - ٢١) بتصرف.

الرجال في مالها من تثق بهم ليتجروا لها، وتتفق معهم على نصيب من الأجر تدفعه لهم.

في تلك الأثناء كانت الطاهرة خديجة تعرف الفتى الأمين محمد بن عبد الله الذي يلتقى نسيبه مع نسبها في قُصَى بن كلاب^(١). وعُرف عن خديجة أنها صاحبة نظرة ثاقبة، وفراصة صحيحة، فكانت ترى محمداً وتسمع أخباره العطرة من الغادي والرائح.

* وكانت أخلاق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وصفاته الجميلة تعطر الدنيا وتدخل القلوب على اختلاف أصحابها، ولهذا رغبت في أن يتاجر لها بمالها، فأرسلت إليه وقالت: إنه دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلاً من قومك.

فقبل النبي ﷺ منها ذلك، ولما سمع أبوطالب بأعطية الطاهرة خديجة، قال لرسول الله ﷺ: «هذا رزق ساقه الله إليك»^(٢).

(١) قال الحافظ ابن حجر عن الطاهرة خديجة: وهي من أقرب نسائه ﷺ إليه في النسب.

(٢) نساء مبشرات بالجنة/ أحمد خليل جمعة (ص: ١٩).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

زوجته **زواج النبي ﷺ من خديجة رضي الله عنها** بالجرم

كان النبي ﷺ قد عرف في مكة بأنه الصادق الأمين.. حتى أنه كان كثير من سادة قريش يضعون أموالهم وأماناتهم عند النبي ﷺ ومنهم من كان يعطيه ماله ليتاجر به ويعطيه على ذلك جزءاً من الربح... فكان النبي ﷺ يأخذ الربح ليساعد به عمه أبا طالب.

* وكانت خديجة بنت خويلد امرأة غنية تتاجر بمالها... فقد كانت تزوجت قبل ذلك برجلٍ غني فمات فترك لها مالا كثيراً ثم تزوجت برجلٍ آخر فمات وترك لها مالا وفيراً... فكانت تستأجر الرجال للعمل في تجارتها. ومن المعلوم أنهم كانوا يعيشون في فترة جاهلية شديدة... فمن المؤكد أنها قد تعرضت للسرقة أكثر من مرة.

* فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها: من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

آخر الزمان . . . فبشرها بأن هذه هي صفاته وأنه سيكون
نبي آخر الزمان . . . **آية** **عند** **خديجة** **أن** **محمدًا** **سيكون**
نبي آخر الزمان فباتت ترجو أن يكون زوجها لها . . .
ولكن كيف ذلك وهو في الخامسة والعشرين من عمره
وهي في الأربعين من عمرها . . . **آية** **له** **بها** **ما**
لومع **ذلك** **لم** **تياأس** **لأنها** **كانت** **غنية** **وجميلة** **وكان**
كثير **من** **الرجال** **يرغبون** **في** **الزواج** **منها** **ولكنها** **كانت**
ترفض **لأنها** **كانت** **تري** **حرصهم** **على** **مالها** . . . **وفي** **نفس**
الوقت **لم** **تجد** **الرجل** **المناسب** **الذي** **ترضى** **أخلاقه**
ورجولته . . . **آية** **ولما** **رأت** **محمدًا** **عليه** **السلام**
لكنها **لما** **رأت** **محمدًا** **عليه** **السلام** **عرفت** **أنها** **لن** **تجد** **مثله** **أبدًا** .
آية **وجلست** **في** **حيرة** **تفكر** **كيف** **تفوز** **بزواجها** **من**
محمد **عليه** **السلام** . . . **آية** **فقد** **تدخل** **في** **الحيرة** **من**
وفي **غمرة** **الحيرة** **والاضطراب** **تدخل** **عليها** **صديقتها**
(نفيسة بنت منبه)، **وتجلس** **معها** **تبادلها** **أطراف** **الحديث**
حتى **استطاعت** **أن** **تكشف** **السركامن** **المسترسم** **على**
مخياها **وفي** **نبرات** **حديثها** **إلهام** **بنت** **آية** **له** **بها** **ما**

وهدأت نفيسة من روع خديجة وطمأنت خواطرها،
 وذكَّرتها بأنها ذات الحسب والنسب والمال والجمال،
 واستدلت على صدق قولها بكثرة الطالبين لها من أشرف
 الرجال. ١٢. فلهذا نألهج قلبه ربة طمأنينة
 وما إن خرجت نفيسة من عند خديجة حتى انطلقت
 إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمته أن يتزوج الطاهرة خديجة،
 وقالت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج.

فقال - عليه الصلاة والسلام -: «ما بيدي ما أتزوج به».

قالت: فإن كُفيت ودُعيت إلى المال والجمال والشرف
 والكفاءة فهل تجيب؟
فرد متسائلاً: «ومن؟».

قالت على الفور: خديجة بنت خويلد.

فقال: «إن وافقت فقد قبلت».

وانطلقت نفيسة لتزف البشري إلى خديجة، . .
 وأخيراً - عليه الصلاة والسلام - أعمامه برغبته في الزواج
 من خديجة، فذهب أبو طالب وحمزة وغيرهما إلى عم
 خديجة (عمرو بن أسد)، وخطبوا إليه ابنة أخيه، وساقوا
 إليه الصداق. زه لها ربة له به رضي الله عنها ربحا نالته كما

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وفي ذلك المجلس اللطيف، قام أبو طالب يخطب،
ولما تم العقد نُحرت الذبائح، ووُزعت على الفقراء،
وفُتحت دار خديجة للأهل والأقارب. **فمنه زاد انتشار**
* وانتشر الخبر في مكة كلها أن الصادق الأمين قد
تزوج خديجة. **فبذلك بلغه من قسبة صحبه ما لم**

حكمتها ورجاحة عقلها

وليس شيء أدل على حكمتها وكياستها ورجاحة
عقلها من أنها قد اختارت النبي ﷺ زوجاً رغم كونه إذ
ذاك فقيراً وهي غنية ثرية يتطلع إليها أثرياء قومها
وأشرافهم فتأبى، وما ذلك إلا أنها قد عرفت بحكمتها
وكمال عقلها أن كمال الرجولة، وشرف المروءة، وسلامة
الطبع أفضل من الغنى المادى، والعرض الزائل.

إنها تبحث عن نوع آخر من الغنى والثراء!
إنه غنى النفس، وثراء الضمير، ودمائة الخلق! وأين
تجد ذلك كله على الوجه الأكمل في غير محمد ﷺ،
وإذا كان بعض الكُتَّاب يذهب إلى أن الذي دفعها إلى
الاقتران بالنبي ﷺ هو ما ذكر لها من حسن تعاطيه

للتجارة بيعاً وشراءً، وما اتصف به في تجارته من صدق وأمانة وغير ذلك. إنما رأته لسبب ما يقبله أهلها غير أننا إذا بحثنا عن السبب الحقيقي في زواج هذه المرأة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهي في سن الأربعين أي: في اكتمال عقلها ورشدها فليست بالفتاة الطائشة، ولا العجوز الخرفة... السبب الحقيقي هو بحثها عن الرجولة الكاملة. الرجولة بكل معانيها من خلق ومروءة وفتوة وإيثار وكرم خصال.

وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ليقبل زواج خديجة ولو كانت تملك مال الأرض كله، ولو كانت أبهى نساء الدنيا جمالاً، لولا ما رآه صلى الله عليه وسلم فيها من رجاحة العقل وكياسته وما شهد به قومها لها من شريف الخصال، وحميد الفعال، وسلامة الجوهر، وعراقة المنبت وعفتها وصدقها وأمانتها.

هذا هو الصادق الأمين

ولقد كانت أمنا خديجة رضي الله عنها تعلم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم جيداً وتسمع عن مكارمه وفضائله ما يملأ القلب

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

بهجة وسروراً... بل كانت تعلم مكانته بين قومه الذين كانوا يلقبونه بالصادق الأمين وكانوا يستعينون به لحل أعتى المشاكل التي كانت تحدث بينهم. ^(١)

فها هي قبائل قريش قد اجتمعت لتعيد بناء الكعبة المشرفة فلقد كانت الكعبة قد أوشكت على الانهيار قيل: بحريق أصابها، وقيل: بسيل جارف، وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنوات على الراجح، فلم تجد قريش بدأً من إعادة بنائها ^(١).

فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها، واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً، فلا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحد من الناس، وكانوا يهابون هدمها، فابتدأ بها الوليد بن المغيرة المخزومي وتبعه الناس لما رأوا أنه لم يصبه شيء، ولم يزالوا في الهدم حتى وصلوا إلى قواعد إبراهيم، ثم أرادوا الأخذ في البناء، فجزؤوا الكعبة، وخصصوا لكل قبيلة جزءاً منها، فجمعت كل قبيلة حجارة على حده وأخذوا يبنونها، وتولى البناء بناءً رومي اسمه (باقوم)، ولما بلغ

(١) صحايات حول الرسول / للمصنف (ص: ٢٥ - ٢٦).

البنيان موضع الحجر الأسود، اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه، واستمر النزاع أربع ليالٍ أو خمساً، واشتد حتى كاد أن يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يُحكّموا فيما شجر بينهم أول داخلٍ عليهم من باب المسجد فارتضوه، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر طلب رداءً، فوضع الحجر وسطه، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء، وأمرهم أن يرفعوه، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده، فوضعه في مكانه^(١).

السعادة ترفرف بأجنحتها على أعظم بيت

رفرفت السعادة بأجنحتها على بيت خديجة رضي الله عنها، فقد وجدت الطاهرة خديجة في الأمين محمد خير الأزواج، فهو لطيف المعشر، سابغ العطف، يحيط به كل إنسان وكل حي، وكل شيء، فأخلاق محمد ﷺ

(١) الرحيق المختوم (ص: ٥٩).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

كانت تنبع من فطرته بنسبٍ مستفقة متكاملة، فصبره مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته، وخصائصه كثيرة في الفضل. **لما قيل يا رسول الله ﷺ: ما أكرمك الله ﷻ؟** بل إنه من وفائه ﷺ لم ينس أبداً تلكم المرأة العظيمة التي كانت له أمًا بعد أمه - أم أيمن **رضي الله عنها** - فأخذها معه لما انتقل إلى دار الزوجية، وأكرمها وغمرها بحنانه وفاض قلبه الكبير رقة مستّ قلوب أبناء خديجة، فكان (هند) ابن خديجة عند أمه بعد زواجها من محمد ﷺ، فكان ربيب النبي سعيداً غاية السعادة أن يشبّ وينشأ في كنف أصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وأكرمهم عشرة.

لقد سأل محمد ﷺ زيد بن حارثة، ذلك الفتى الذي اشتراه حكيم بن حزام من سوق عكاظ، ووهبه لعمته خديجة، وقد تعلق محمد ﷺ بزيد، وأحب زيد محمداً حباً لم يحب أحداً مثله من قبل. وقد فطنت خديجة إلى هذا الحب الأبوي، فوهبت زيداً لزوجها فأعتقه، ولم يكتفِ بأن ردَّ إليه حرّيته السلبية، بل

شرفه ورقاه بأن نسبته إلى نفسه فكان زيد بن محمد. رضي الله عنه
 أحببت خديجة رضي الله عنها زوجها محمداً صلوات الله عليه حباً ملك
 عليها كل مشاعرها، حب الزوجة لزوجها الكريم الذي
 تمثلت فيه مكارم الأخلاق ومعالي المكارم، فقد كانت على
 مرّ الأيام وطول العشرة، تزداد يقيناً بأن الرجل الذي
 اختارته لنفسها هو أصلح أهل الأرض لأداء رسالته،
 والنهوض بأمته. رضي الله عنه
 كانت خديجة رضي الله عنها تهيئ لرسول الله صلوات الله عليه كل أسباب
 الراحة وكل أطراف النعيم، إذا أشار لبث إشارته متهلة
 النفس، رضية القلب، كريمة اليد، فما كانت تبخل
 بأموالها أيضاً، وكانت سخية بعواطفها ومشاعرها وأموالها،
 بل لم تكن تبخل بحبها على من يحب زوجها، وكانت
 تكرم من يحبه إكراماً يملأ النفس رضى وسروراً ^(١).

صاحبة القلب الرحيم

في جلسة غمرتها أنوار ربانية كان محمد صلوات الله عليه
 يتحدث مع خديجة، فكان صوته يمس أوتار فؤادها

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٠-٣١) بتصرف.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وتلك الحكمة المتدفقة من بين شفثيه تغمر روحها بسعادة عارمة مجنحة تسمو بها فوق وجودها الملموس، وتعيش في أفق نوراني.

في تلك اللحظات جاءت مولاة خديجة وقالت: مولاتي:

إن حليلة السعدية تود الدخول، ولما سمع رسول الله ﷺ بحليمة السعدية، خفق قلبه الشريف حنا، وراحت الذكريات الحبيبة والحانية الدافئة تطفو على سطح ذهنه، . . . ذكريات حبيبة إلى نفسه، . . . تذكر بيده بني سعد ورضاعته هنالك، كانت لحظة مفعمة بالمشاعر الناعمة، لحظة أحييت - في مثل لمح البصر أو أسرع - أيام طفولته، وأيام نشأته بين ذراعي حليلة، وفي أحضانها. قامت خديجة ﷺ لتدخل حليلة، فطالما حدثها عنها حديثاً يقطر حبا ورحمة ودفئا وكرامة، وعندما وقع بصره الشريف عليها، مس سمع خديجة صوته اللطيف وهو ينادي في لهفة وحنان «أمي، أمي».

نظرت خديجة إلى رسول الله ﷺ فوجدته قد فرش لها رداءه، ومرر يده عليها في حنان دافق، وقد ترقرت في وجهه سعادة عارمة، وتألقت في عينيه فرح فياض،

لكأنما كان يحتوى فى أحضانه أمه آمنة بنت وهب، وقد بُعثت من مرقدها.

وفى غمرة اللقاء الحار بين رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلم وحليمة، سألتها عن حالها، فراحت تشكو إليه قسوة الحياة والجدب الذى نزل ببادية بنى سعد، ثم شكت ضيق العيش، ومرارة الفقر، فأفاض عليها من كرمه.

وبعد ذلك حدث النبى صلوات الله عليه وآله وسلم زوجه خديجة فى تأثر واضح بما ألمَّ بمرضعته حليمة من ضيق، وما حاق بها وبقومها من كرب، فتدفقت كنوز فؤاد خديجة بالعطف والرحمة، وأعطتها عن طيب خاطر أربعين رأساً من الغنم، كما وهبتها بغيراً يحمل الماء، وزودتها بما تحتاجه فى رجوعها إلى باديته، وكانت خديجة رضي الله عنها متأهبة على الدوام لتجود بكل أموالها، إرضاءً لزوجها محمد صلوات الله عليه وآله وسلم، فشكر لها كرمها، ثم انطلق ليضع بين يدي مرضعته ما جادت به خديجة ^(١).



(١) نساء أهل البيت (ص: ٣١ - ٣٢).

في رحاب الذرية المباركة

وهكذا كان هذا البيت المبارك قائماً على المودة والرحمة والحب فلم تكن خديجة رضي الله عنها تدخر جهداً في أن تدخل السعادة والسرور على قلب الحبيب صلوات الله عليه ، وفي يوم من الأيام عاد النبي صلوات الله عليه إلى البيت وكانت زوجته الحنون تحمل له بشرى عظيمة فلقد أخبرته بأنها حامل فاهتز قلب الحبيب صلوات الله عليه فرحاً بتلك البشرى الغالية .

وكانت خديجة في غاية البهجة والسعادة والسرور لأنها تشعر بل وتوقن بأن زوجها صلوات الله عليه سيكون له شأن عظيم فكانت تتمنى أن يرزقها الله منه بالولد وجاءت اللحظة السعيدة التي ولدت فيها خديجة أول مولود للحبيب صلوات الله عليه وهو القاسم - الذي كان يُكنى به الحبيب صلوات الله عليه - ثم تابعت بعد ذلك الذرية المباركة فولدت له بعد ذلك زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكان ذلك قبل النبوة ثم ولدت له بعد النبوة عبد الله - الذي كان يُسمى بالطيب والطاهر - .

وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أولاد رسول الله صلوات الله عليه من

الطاهرة الولود خديجة فقال: ولدت خديجة لرسول الله صلوات الله عليه غلامين وأربع نسوة، القاسم وعبد الله، وفاطمة وأم كلثوم وزينب ورقية^(١). أما إبراهيم فهو من مارية القبطية رضي الله عنها . . . ومات بنوه كلهم في صغرهم. أما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، فرقية وأم كلثوم تزوجتا عثمان بن عفان رضي الله عنه . . . وزينب زوجة أبي العاص بن الربيع وفاطمة زوجة علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين^(٢).

وقد أدركتهن الوفاة في حياة النبي صلوات الله عليه إلا ابنته فاطمة فقد توفيت بعده بستة أشهر.

وكان النبي صلوات الله عليه ينظر إلى أسرته المباركة بصدرٍ منشرح، فقد كانوا جميعًا يعيشون حياة هادئة جميلة في غاية الصفاء والسعادة.

فخديجة رضي الله عنها زوجة مثالية علمت كيف تدخل السعادة على قلب زوجها صلوات الله عليه وأولادها وكانت كلما طالت عشرتها مع الحبيب صلوات الله عليه ازدادت حبًا له وإعجابًا به فهو

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٧٠).

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٦).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

العابد الزاهد الذي تعلق قلبه وتعلقت جوارحه بالله (جل وعلا) ومن هذا البيت المبارك خرجت فاطمة التي أضحت فيما بعد سيدة نساء أهل الجنة وأم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وزوجة واحد من العشرة المبشرين بالجنة. فيا له من بيت مبارك نشر البركة وعبير الإيمان على الكون كله.

كرم وإيثار

ولقد كانت خديجة رضي الله عنها في غاية الكرم والجود وكانت تحب كل ما يحبه زوجها عليه السلام وتضحى بكل ما تملك من أجل إسعاد زوجها عليه السلام فلما كفل الحبيب عليه السلام ابن عمه علي بن أبي طالب وجد في بيت الطاهرة الرحيمة (خديجة) قلبًا حانيًا وأما عطوفًا جعلته يشعر أنه مع أمه التي ولدته فكانت تحسن إليه غاية الإحسان .

* وكذلك لما أحست خديجة رضي الله عنها بأن الحبيب عليه السلام يحب مولاها زيد بن حارثة وهبته له فازدادت بذلك منزلتها في نفس النبي عليه السلام .

ما أنا بالذي أختار عليك أحداً أبداً

ولقد رأت خديجة من حب زيد للحبيب صلى الله عليه وسلم موقفاً لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل .
فلقد كان (زيد) خرج مع أمه وهو صغير في زيارة لقومها فأغارت عليهم الخيل فاحتملوا زيدياً وباعوه في سوق عكاظ فاشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة بأربعمائة درهم فظل أبوه يبحث عنه في مشارق الأرض ومغاربها حتى تفتطر قلبه حزناً عليه وأخذ يصوغ حنينه إليه شعراً حزيناً تنفطر له الأكباد .

* وفي موسم من مواسم الحج^(١) قصد البيت الحرام نفر من قوم زيد، وفيما كانوا يطوفون بالبيت العتيق، إذا هم بزيد وجهاً لوجه، فعرفوه وعرفهم وسألوه وسألهم، ولما قضوا مناسكهم وعادوا إلى ديارهم أخبروا حارثة بما رأوا وحدثوه بما سمعوا .

فما أسرع أن أعد حارثة راحلته، وحمل من المال ما يفدى به فلذة الكبد، وقررة العين؛ وصحب معه أخاه

(١) كان ذلك في الجمالية .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

كعباً، وانطلقا معاً نحو مكة، فسألا عن النبي ﷺ فقيل: هو في المسجد فدخلا عليه فقالا: يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ابنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فداءه، فإننا سنرفع لك في الفداء. قال: «ما هو؟» قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «فهلا غير ذلك؟» قالوا: ما هو؟ قال: «ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً»، . . . قالوا: قد أكرمتنا وأحسنت إلينا.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: «فأنا من قد علمت، ورأيت محبتي لك فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم. فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم. إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجته إلى الحجر فقال: «يا من حضر

اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه...» فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا، بجنا ناله منك وبعثنا
 فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فزوجه رسول الله ﷺ زينب بنت جحش فلما طلقها تزوجها النبي ﷺ فتكلم المنافقون في ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ^(١) الآية وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ ^(٢) فدعى يومئذ زيد بن حارثة ^(٣).

شمس النبوة تشرق على أرض الجزيرة

وفي تلك الفترة التي كانت قبل البعثة كان النبي ﷺ يعبد ربه على دين إبراهيم (عليه السلام).
 ولما اقترب من سن الأربعين حُبب إليه الخلاء فكان يذهب إلى غار حراء في جبال مكة وكان يمكث شهر رمضان في ذلك الغار يتعبد ويتفكر في بديع خلق الله (جل وعلا).
 * وفي هذا الوقت حدثت أشياء عجيبة... فقد كانت

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٤٠).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٥).

(٣) صحايات حول الرسول (من: ٢٧ - ٣٣). بأنه يذبحه ربه وقلبه قد نزل

الشياطين تتجسس وتسمع أخبار السماء. ولكنها الآن لا تستطيع ذلك فإن النجوم والشهب تطارد كل شيطان يحاول أن يقترب ليعرف أخبار السماء فتحرقه وتقتله.

* وبدأ النبي ﷺ يحكى لخديجة أنه يرى ضوءاً ويسمع صوتاً فكانت خديجة تسأل ابن عمها ورقة بن نوفل فيقول لها: إن يكن صادقاً فإن هذا الوحي الذي كان يأتي موسى (عليه السلام). فإن بُعث وأنا حتى سأنصره وأؤمن به.

* وكان النبي ﷺ في تلك الفترة يرى الرؤيا الصادقة في النوم.

وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. فكان يتزود بالطعام والشراب ويذهب إلى الغار ليتعبد ثم يعود بعد فترة ليتزود مرة أخرى.

* وبدأت أيام شهر رمضان المباركة تُظِلُّ على أهل مكة وخرج النبي ﷺ كعادته إلى غار حراء ليتعبد لربه (جل وعلا) ويتأمل في بديع خلق الله.

وبينما كان النبي ﷺ في تلك الحالة الإيمانية الفريدة وإذا به فجأة يرى مخلوقاً لم ير مثله قبل ذلك أبداً.

وبدأ يقترب من النبي شيئاً فشيئاً حتى جذبته بشدة وضمه بقوة وقال له: «اقرأ». لها رالة ما ثلثه لا تذكر فقال له النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ». . . . فقد كان النبي ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب. الملك فجذبته الملك وضمه بقوة مرة أخرى وقال له: «اقرأ». فقال النبي ﷺ: «ما أنا بقارئ». ثم جذبته الملك للمرة الثالثة وضمه بقوة حتى تعب النبي ﷺ من ذلك تعباً شديداً فقال له الملك: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (١). ثم تركه الملك وعاد إلى السماء مرة أخرى بعد أن ترك النبي ﷺ خائفاً مرعوباً قد تصبب العرق على جبينه وجسده.

﴿فأسرع النبي ﷺ عائداً إلى خديجة وهو يقول:

﴿زملوني زملوني﴾ (٢).

﴿فقامت خديجة لتغطية وتهدي من روعه. ما سجد

(١) سورة العلق: الآيات: (١-٥).

(٢) أي: غطوني.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وبدأت خديجة تسأله عما حدث.. فأخبرها النبي ﷺ بما حدث ثم قال لها: «لقد خشيت على نفسي».

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(١)، وتكسب المعدوم^(٢)، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق^(٣)، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (ابن عم خديجة)، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عمي اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى: فقال له ورقة:

هذا الناموس - أي: جبريل أو الوحي - الذي نزل الله على موسى، ياليتني أكون شاباً قوياً عندما يخرجك قومك.

- (١) تحمل الكل: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، والكل: أصله النقل والإعياء.
- (١) تحمل الكل: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال، والكل: أصله النقل والإعياء.
- (٢) تكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجسدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.
- (٣) تعين على نوائب الحق: أي: إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم السمائل.

فتعجب النبي ﷺ وقال: «وهل سيُخرجني قومي؟». فقال له ورقة: ما جاء رجل بمثل ما جئت به إلا عاداه قومه وأخرجوه ولو كنت قوياً في ذلك الوقت لأنصرتك نصراً قوياً (١). * وعاد النبي ﷺ إلى بيته يفكر فيما قاله ورقة ابن نوفل فعلم أن الأيام تُخبئ له أحداثاً عظيمة. ولكنه كان على يقين وثقة أن الله لا يخذله.

حزن النبي ﷺ لفتور الوحي

عاد النبي ﷺ بعد ذلك إلى غار حراء لعله يرى الملك الذي نزل عليه قبل ذلك وقال له: اقرأ... لكن الملك لم يأت إليه مرة أخرى... ويمر اليوم وراء اليوم... والنبي ﷺ ينتظر والملك لا يأتي. فحزن النبي ﷺ على فتور الوحي وعدم نزول جبريل وخشى ألا ينزل عليه مرة أخرى. وبينما هو عائد من الغار وإذا به يرى جبريل (عليه السلام) جالساً على كُرسيه بين السماء والأرض فخاف (١) متفق عليه: رواه البخاري (٤) كتاب بدء الوحي، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان.

منه النبي ﷺ وامتلاً قلبه رعباً من هول المنظر... وأسرع بالعودة إلى خديجة وهو يقول: «زملوني زملوني..» فجاءه جبريل مرة أخرى وهو يقرأ عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥)﴾.

* ففزع النبي ﷺ وقام من نومه فقالت له خديجة: نم يا محمد واسترح.

فقال لها: «لقد مضى عهد النوم يا خديجة».

الدعوة السرية

لما نزل على النبي ﷺ قول الله (جل وعلا): ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾. علم النبي ﷺ أنه تحمل مهمة شاقة ومسئولية كبيرة: وهي أنه لا بد أن يقوم ليدعو الناس جميعاً إلى عبادة الله (جل وعلا) وإلى ترك عبادة الأصنام.

* وبدأت الدعوة إلى الإسلام سراً.

(١) سورة المدثر: الآيات: (١-٥).

أولاً على الصق الناس به وآل بيته، وأصدقائه، فدعاهم إلى الإسلام، ودعا إليه كل من توسم فيه خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه.

وفي مقدمتهم زوجة النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، ومولاه زيد بن حارثة، وابن عمه علي بن أبي طالب - وكان صبياً يعيش في كفالة الرسول صلى الله عليه وسلم ^(١).

* ودعا صديقه الذي هو موضع ثقته وأمين سره ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ ^(٢). أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلم يتردد وكان أول داعية في الإسلام، وكان ببركة إسلامه ودعوته ثلثة مباركة دخلت في الدين وكانت من السابقين الأولين وكان لها في الإسلام أعظم بذل وبلاء، فرضى الله عنهم أجمعين... منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين، والزبير بن العوام وهو حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص خال المصطفى صلى الله عليه وسلم، وطلحة بن عبید الله، وكل هؤلاء

(١) الرحيق المختوم (ص: ٧٢).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٤٠).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

الذين دخلوا الإسلام على يد أبي بكر من العشرة
المبشرين رضى الله عنهم أجمعين^(١).
* فكان أول من أسلم من النساء خديجة رضي الله عنها.
وأول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
وأول من أسلم من الصبيان على بن أبي طالب رضي الله عنه.
وأول من أسلم من الموالى زيد بن حارثة رضي الله عنه.
* وبدأ النبي ﷺ يتوسع في دعوته شيئاً فشيئاً حتى
لا تعلم قريش بذلك فتبدأ في إيذاء المؤمنين.
* ولما زاد عدد الذين أسلموا على الثلاثين اختار لهم
الرسول ﷺ دار أحدهم (وهو الأرقم بن أبي الأرقم)
ليلتقى بهم في تلك الدار فيعلمهم ويرشدهم.
* واستمرت هذه المرحلة السرية قرابة ثلاث سنوات.
ثم نزل الوحي يكلف النبي ﷺ بأن يجهر بدعوته.

وفد قريش إلى أبي طالب

بدأ النبي ﷺ دعوته العلنية... وأخذ يعلم الناس
أن تلك الأصنام التي يعبدونها لا تنفع ولا تضر...

(١) وقفات تربوية / د . أحمد فريد (ص: ٦٧).

وأخذ ينتظر قدوم العرب إلى موسم الحج ليدعوهم إلى الإسلام ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا الله تفحلوا». سورة البقرة الآية ١٧٧

* وهنا بدأ المشركون يشعرون بخطر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم التي تُحرم عليهم تجارة الأصنام وعبادتها. . وتُسوّى بين السادة والعبيد وبين الغنى والفقير. . فالناس في ظل هذا الدين سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَقَاكُمْ﴾ ^(١) فلا فضل لأحد على أحد بالمال أو الجاه أو السلطان أو القوة. سورة البقرة الآية ١٧٧

* وهنا قرر المشركون أن يواجهوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. سورة البقرة الآية ١٧٧

فذهبوا أولاً إلى عمه أبي طالب وقالوا له: يا أبا طالب، يا أبا طالب، يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تُخلى بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظهر دين الله، فذهب الوفد مرة أخرى إلى أبي طالب، سورة البقرة الآية ١٧٧

(١) سورة الحجرات: الآية: (١٣).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فقالوا له: يا أبا طالب: إن لك سناً وشرقاً ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهييناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. . . ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بتسليم رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وقال له: يا ابن أخى: إن قومك قد جاؤوني فقالوا لى كذا وكذا فأبقِ على وعلى نفسك، ولا تُحملنى من الأمر ما لا أطيق، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته»، ثم استعبر رسول الله ﷺ، فبكى فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخى، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً»^(١).

سنة ١٠٠٠ هـ

(١) سيرة ابن هشام (١/٢٩٩).

موقف جليل لأبي طالب وقومه

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفرأقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد ابن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد، أشد فتى في قريش وأجملهم، فخذَه فلك عَقْلُه ونصرُه، واتخذَه ولدًا فهو لك، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرَّق جماعة قومك، وسفَّه أحوالهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل؛ فقال: والله لبئس ما تكلفونني أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكُم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبدًا.

النبي ﷺ يستمر في دعوته

* قام النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان... وكانت زوجته خديجة تعينه وتثبته وتخفف عنه الآلام والأحزان وتساعدُه بمالها.

وكان عمه أبو طالب يؤازره وينصره ويحميه رغم أنه

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

كان مشركًا ولم يؤمن . . لكنه كان يحب رسول الله ﷺ حبًا جمًّا .

*** وأوحى الله إلى نبيه ﷺ :** ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

فقام النبي ﷺ يبذل أقصى جهده في الدعوة إلى الله وهو يعلم أن الله قد تعهد بحفظه من كيد المشركين وإيذائهم . . . فظل في دعوته هذه حتى آخر لحظة في حياته ﷺ .

أول من صلَّت مع النبي ﷺ

ذكر رواية السيرة النبوية أن الله عز وجل فرض على رسوله ﷺ صلاة أول ما أوحى إليه، وكان لخديجة رضوان الله عليها فضيلة السبق إلى الصلاة، وامثال أمر الله عز وجل فكانت أول من صلَّت مع النبي ﷺ .

ذكر بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز له

(١) سورة المائدة: الآية: (٦٧) .

بعقبه في ناحية الوادي، فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل
 ورسول الله صلوات الله عليه ينظر ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم
 توضأ رسول الله صلوات الله عليه كما رأى جبريل يتوضأ، ثم قام
 جبريل فصلى به، وصلى رسول الله صلوات الله عليه بصلاته، ثم
 انصرف جبريل. سقطت فاهم به شدة ليمه وان شاع
 فجاء رسول الله صلوات الله عليه خديجة فتوضأ لها ليربها كيف
 الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها
 رسول الله صلوات الله عليه، ثم صلى بها رسول الله، كما صلى
 به جبريل فصلت بصلاته (١). وا نأهت نأ وقتها ربي

صبر واحتساب

وكانت خديجة رضي الله عنها ترى ما كان يتعرض له الحبيب
صلوات الله عليه من الإيذاء والسخرية فتواسيه وتثبتته وتخفف عنه
 وتُهون عليه أمر الناس. . فكانت بذلك مثلاً عظيماً وفريداً
 بل وقدوة لكل أخت مسلمة زوجها داعية إلى الله تعالى
 لتخفف عنه ما يراه من الابتلاءات التي تجعل الحليم
 حيراناً.

(١) نساء أهل البيت (ص: ٥٦).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

لقد حارب الرجال والنساء في مكة دعوة الإسلام والسلام التي يدعو إليها الحبيب المصطفى محمد ﷺ . وكان بعض من رجال بنى أمية ونسائهم وبعض من رجال بنى مخزوم ونسائهم قد اشتهروا في عداوتهم لرسول الله ﷺ . كانت أم جميل بنت حرب حمالة الحطب زوج أبي لهب من ألد أعداء نبي الإسلام، فقد سخرت زوجها أبا لهب لكى يصد عن سبيل الله وما نزل من الحق، حتى نزلت في حقهما سورة كاملة تُندد بهما وتذرهما بنار ذات لهب . ومن المتوقع أن تكون أم جميل قد صبَّت نار غضبها على خديجة رضي الله عنها وحاولت أن تضع العوائق العديدة لمنع سير رسالة الإسلام وطلبت من ولديها أن يفسخا زواجهما من ابنتي رسول الله ﷺ لإرهاق الدعوة الربانية، وإرهاق محمد ﷺ وخديجة عليها سحائب الرضوان، وكذلك إرهاق ابنتي النبي ﷺ . لكن الله عز وجل قد أكرم ابنتي رسول الله ﷺ ، وصانهما عن بيت أبي لهب وزوجه الحاقدة أم جميل، وتزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية ابنة الرسول رضي الله عنه فلما تُوفيت تزوج أختها أم كلثوم فسمي بذي النورين .

الهجرة إلى الحبشة.... وفراق مؤلم

ولما كان إيذاء المشركين للموحدين يزداد يوماً بعد يوم أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة. فلقد كانت بداية الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة بدأت ضعيفة، ثم لم تزل يوماً فيوماً وشهراً فشهرًا حتى اشتدت وتفاقت في أواسط السنة الخامسة، حتى اضطروا إلى أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الساعة الضنكة الحالكة نزلت سورة الكهف، رُدوداً على أسئلة أدلى بها المشركون إلى النبي ﷺ ولكنها اشتملت على ثلاث قصص فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصة أصحاب الكهف ترشد إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة على الدين، متوكلاً على الله: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴾ (١).

وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا

(١) سورة الكهف: الآية: (١٦).

أدبهاات المؤمنین زوجات الرسول ﷺ

تنتج حسب الظاهر دائماً، بل ربما يكون الأمر على عكس كامل بالنسبة إلى الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستعكس تماماً، وسيهزم هؤلاء الطغاة المشركون - إن لم يؤمنوا - أمام هؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذى القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء، وأن الفلاح إنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين أونة وأخرى - من يقوم بإنجاء الضعفاء وأن الأحق بميراث الأرض إنما هو عباد الله الصالحون.

ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن أرض الله ليست بضيقه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ أَرْضًا حَسَنَةً﴾ وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴿(١)﴾ وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحابه النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لا يظلم عنده أحد، فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فراراً بدينهم من الفتن ﴿(٢)﴾.

(١) سورة الزمر: الآية: (١٠).

(٢) ابن هشام (١/ ٢١٣).

وفي رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة، كان مكوناً من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، . . وكان رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ وقد قال النبي ﷺ فيهما: «إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط - عليهما السلام» (٢)(١).
 ووقفت أمنا خديجة رضي الله عنها مع رسول الله ﷺ تودع ابنتها رقية وزوجها عثمان رضي الله عنهما ودموعها تقطر على وجنتيها . . . ولكنها مع كل هذا تصبر وتحتسب لأنها كانت تتمنى من أعماق قلبها أن تضحي بكل شيء في سبيل نصرة هذا الدين العظيم مهما كان الثمن. فكل شيء يهون ما دام في طلب مرضاة الله (٣).

الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة

فلما رأت قريش أمر رسول الله ﷺ يعلو، والأمر تتزايد، أجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني
 (١) قال الهيثمي في المجمع (٧٩ / ٨٤): رواه الطبراني في الكبير وفيه الحسن ابن زياد البرجمي ولم أعرفه وبقي رجاله ثقات.
 (٢) رحمة للعالمين (١ / ٦١) نقلاً من الرحيق المختوم ص: (٩١ - ٩٢).
 (٣) صحايات حول الرسول / (ص: ٥٠ - ٥٢).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

عبد المطلب، وبنى عبد مناف، أن لا يُبايعوهم، ولا يُناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يُجالسُوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكتبوا بذلك صحيفة، وعلّقوها في سقف الكعبة.

وانحاز بنو هاشم وبنو المطلب (مؤمنهم وكافرهم) إلا أبا لهب فإنه وقف في صف كفار قريش في عداوتهم لرسول الله ﷺ.

وحبس النبي ﷺ ومن معه في شعب أبي طالب ثلاث سنوات فقد منع المشركون عنهم الطعام فلم يكن لهم طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقهم وبلغ بهم الجهد مبلغاً شديداً حتى كان الناس يسمعون صوت بكاء الأطفال وصرخ النساء من وراء الشعب.

وكان الصحابة إذا قدمت غير إلى مكة، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئاً من الطعام قوتاً لعياله فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد ﷺ حتى لا يدركوا معكم شيئاً. وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن لا خسارة عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافاً حتى يرجع أحدهم إلى أطفاله وهم

يصرخون من الجوع . وليس من يده شيء يطعمهم به .
ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشترؤا من
الطعام واللباس حتى تعب المؤمنون ومن معهم من شدة
الجوع والعري .

نقض الصحيفة الظالمة

وكانت قريش بين راضٍ وكارهٍ لهذه المقاطعة . . . وقد
أحزنت تلك الآلام التي حدثت للمسلمين بعض ذوى
الرحمة من قريش فكان أحدهم يحمل الزاد والطعام على
ظهر البعير ثم يضربه في اتجاه الشعب ليصل إلى
المحصورين فيخفف عنهم شيئاً من الفقر والجوع والحرمان .
* ثم سعى بعض الناس من قريش فى نقض هذه
الصحيفة وكان القائم بهذا السعى هشام بن عمرو بن
ربيعة . . فقد ذهب إلى مطعم بن عدى وجماعة من
قريش فوافقوا على ذلك .

ولكن أمر الله كان قد سبقهم . . فقد أخبرهم النبي
ﷺ بأن الله قد سلط على الصحيفة حشرة «الأرضة»
فأكلت كل الشروط الظالمة من الصحيفة ولم يبق منها إلا

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

كلمة واحدة: «باسمك اللهم». **سورة البقرة** الآية 166
* ثم رجع بنو هاشم وبنو المطلب إلى مكة... وحصل
الصلح بالرغم من أنف أبي جهل. **سورة البقرة** الآية 166
وظلت الطاهرة أمنا خديجة رضوان الله عليها من وراء
رسول الله ﷺ تشد أزره، وتشاركه في حمل الأذى
من قومه بنفس راضية صابرة محتسبة، حتى قضى الله
تعالى قضاءه في هذه المقاطعة الظالمة المريعة. **سورة البقرة** الآية 166
* انتهى الحصار، وخرجت الطاهرة خديجة أم
المؤمنين ﷺ من الحصار ظافرة بثمرة صبرها لتتابع مع
رسول الله ﷺ سيرها في الحياة زوجة أمينة مستظلة
بظل الوفاء وصدق الإيمان وحسن الصبر،... وفي ثبات
المسلمين على هذه الشدة الرهيبة جعلهم الله من أصحاب
المقام الرفيع في الآخرة، وجعلهم سادة الأرض في الدنيا،
وذاك جزاء الصابرين، وأجر الشاكرين.

الله سبحانه يُقرئ خديجة السلام

عن أنس قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ وعنده
خديجة فقال: «إن الله يُقرئ خديجة السلام» فقالت: إن

الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته^(١). ذلك ما سجدوا له في بيته فبها فبها لها من أم فقيهة ذكية تعلمت الأدب كله وتعايشت معه في بيت النبي صلوات الله عليه الذي جمع الله له كل الفضائل والمناقب والمكارم فقال (جل وعلا): ﴿وَأَنْتَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى جبريل النبي صلوات الله عليه فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب^(٣) لا صخب فيه ولا نصب^(٤)».

عام الحزن

وما إن خرج النبي صلوات الله عليه وأصحابه من شعب أبي طالب حتى تتابعت عليه المحن والأحزان... فقد مات

- (١) رواه الترمذي في فضائل الصحابة (٢٥٤): وإسناده حسن.
- (٢) سورة القلم: الآية: (٤).
- (٣) القصب: هو اللؤلؤ المجوف.
- (٤) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

أدوات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

عمه أبو طالب الذي كان يدافع عنه وينصره... ولم تكن المصيبة في موته فحسب بل كانت المصيبة في أنه مات كافراً مع أن النبي ﷺ كان يتابعه بالدعوة حتى آخر لحظة في عمره.

﴿ **عن المسيب بن فضال قال:** «لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية ابن المغيرة. فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أشهد لك بها عند الله» (١).

﴿ **فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية:** يا أبا طالب! ترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

﴿ **فقال رسول الله ﷺ:** «أما والله! لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٦٠) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.

أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٢)(٣).

* **وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه**: قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل (٤) من النار» (٥).

ولما مات أبو طالب وجدت قريش فرصة كبيرة لإيذاء النبي ﷺ فقد مات الذي كان يدافع عنه... فقام واحد من سفهاء قريش وألقى التراب على رأس النبي ﷺ حتى قال النبي ﷺ: «ما نالت مني قريشُ شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب» (٦).

* وكانت وفاة أبي طالب في رجب سنة عشر من البعثة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر.

- (١) سورة التوبة: الآية: (١١٣).
 (٢) سورة القصص: الآية: (٥٦).
 (٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤) كتاب الإيمان.
 (٤) الدرك الأسفل: قعر النار.
 (٥) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٠٩) كتاب الإيمان.
 (٦) ضعيف: ضعفه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج فقه السيرة (ص ١١٥).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وما كاد النبي ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه حتى فُجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة ﷺ التي آزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنصرة هذا الدين... وكانت نعم الزوجة. وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال، ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره. وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاء يعجز القلم عن وصفه.

فيها هو الحبيب ﷺ يثنى عليها ويقول: «كَمُلُ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران - وخديجة بنت خويلد - وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» (١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤١١) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٤٣١) كتاب فضائل الصحابة.

* وقد علّق أحد العلماء الأفاضل على هذا الحديث تعليقاً لطيفاً فقال: من الموافقات اللطيفة التي جمعت الثلاث في نسق واحد أن كل واحدة منهم كفلت نبياً مُرسلاً، وأحسنت صحبته وأمنت به، فأسيا ربّت موسى، وأحسنت إليه، وصدقت به حين بُعث، ومريم كفلت عيسى وربته، وصدقت به حين أرسل، وخديجة رغبت في النبي وواسته بنفسها ومالها، وأحسنت صحبته، وكانت أول من صدّقه حين نزل عليه الوحي.

ولم يتزوج النبي صلّى الله عليه وآله امرأة قبلها أبداً. بل ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يتزوج النبي صلّى الله عليه وآله على خديجة حتى ماتت (١).

* **وعن أنس رضي الله عنه أن النبي قال:** «حسبُك من نساء العالمين مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون» (٢).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «سيدات

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٣٨٧٨) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في صحيح الجامع (٣١٤٣).

نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران وفاطمة وخديجة وآسية
امرأة فرعون^(١). *هذا حديث يدل على راحة الله لقلب المسلم*

هكذا يكون الوفاء

وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم
الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته وبذلت
من أجل نصرة هذا الدين كل غالٍ ونفيس فلم يستطع
النبي ﷺ أن ينساها أبداً وكان يحمل لها وفاءً يعجز
القلم عن وصفه.

* ومن الدلائل الرائعة على وفائه ﷺ لظاهرة
خديجة، ما حدث في غزوة بدر الكبرى، إذ أسر أبو
العاص بن الربيع صهر الرسول الحبيب ﷺ وزوج ابنته
زينب ابنة زوجته الوفية الكريمة خديجة، فأرسلت الوفية
زينب فداءً لزوجها أبي العاص؛ ومن ضمن الفداء قلادة
كانت قلّدتها بها والدتها المعطاء خديجة ﷺ ليلة زفافها،
فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقة شديدة، وتذكّر

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير (١١/٤١٥، رقم ١٢١٧٩)، وفي الأوسط
(٢/٢٣، رقم ١١٠٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة
الصحيحة (١٤٢٤).

زوجته المباركة الوفية خديجة، وقال لأصحابه: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها فلا دنها فافعلوا» (١).
 فما كان من أصحابه الكرام رضوان الله عليهم إلا أن سارعوا بالاستجابة للنبي الكريم صلوات الله عليه الذي حركته مشاعر الذكرى للصديقة الوفية الطاهرة - رضوان الله عليها - خديجة أم المؤمنين! فلهذه الطاهرة المعطاء أمانة خديجة التي لها دينٌ كبيرٌ في عنق كل مسلم ومسلمة، رضى الله عنها وأرضاها (٢).

غيرة عائشة من خديجة رضي الله عنها

وبعد وفاة خديجة رضي الله عنها تزوج رسول الله صلوات الله عليه سودة بنت زمعة ثم تزوج عائشة رضي الله عنها فكانت أمانة عائشة تشعر بشيء من الغيرة لكثرة ثناء النبي صلوات الله عليه على خديجة وذكره إياها - وذلك لفرط محبة أمانة عائشة لرسول الله صلوات الله عليه.

عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبي صلوات الله عليه إلا على خديجة وإنى لم أدركها قالت وكان رسول الله

(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٩٢) كتاب الجهاد، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود.
 (٢) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٣١).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة» قالت: فأغضبه يوماً فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إني قد رزقت حبها»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمع يذكرها وأمره الله أن يشهرها ببیت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدى في خلثها منها ما يسعهن^(٢).

وفي رواية للبخاري^(٣). وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد».

*** وعن عائشة قالت:** كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة وأخرج البخاري مختصراً (٥٢٢٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨١٦) كتاب المناقب. ومسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة والترمذي (٣٨٧٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٨١٨) كتاب المناقب.

أكثر ما تذكر حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها؟ قال : «أبدلني الله خيراً منها!! قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذَّبني الناس، وواستنى بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله أولادها، وحرمني أولاد الناس»^(١).

لذا * وفي بيت عائشة كرامات أخرى للطاهرة خديجة ، فقد جاءت النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم امرأة عجوز من صويحبات الطاهرة خديجة فأحسن لقاءها، وأكرم مثواها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وصار يسأل عن أحوالها وما صارت إليه، فقالت عائشة لما خرجت: يا رسول الله، أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال: «إنها كانت تدخل على خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان»^(٢).

وداعاً أمنا الغالية

وهكذا سعدت تلك النفس المطمئنة إلى ربها حين جاء أجلها المحتوم بعد أن ضربت مثلاً رائعاً في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وقد عاشت مع الرسول الكريم

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٥٢٨١) رواه أحمد وإسناده حسن.

(٢) رواه أحمد وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، السير (٢/ ١٦٥).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

خمسًا وعشرين سنة كانت فيها الزوجة الحكيمة العاقلة التي لم تبخل بشيء فيه مرضاة الله ورسوله، وقد استحقت أن تُبشَّرَ بالجنة. رحلت أمنا بنتنا هكذا رحلت أمنا الغالية خديجة رضي الله عنها التي لا ينتهي أبداً عيبر سيرتها. . . فلو استطرَدنا في الكلام عنها لنغد العمر قبل أن نذكر نبذة يسيرة من مكارمها وفضائلها التي فاح عيبرها فملاً الكون كله. وتالله إن لامنا خديجة رضي الله عنها فضلاً كبيراً على كل مسلم ومسلمة إلى قيام الساعة. فهي التي آزرت الحبيب صلى الله عليه وسلم في دعوته وسانده في محنته وواسته في كُربته وأنسته في وحدته. وأخيراً فلا أملك ونحن نودع أمنا الغالية إلا أن أقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها ^(٢).



(١) سورة القمر: الأيتان: (٥٤-٥٥). (٢) سورة الحديد: (١٠٨-١٠٩).

(٢) صحايات حول الرسول (ص: ٦٣-٦٤).

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

حبايبي الحلويين:

وما زلنا نعيش في بستان الخير والبركة والعفاف
والتقى... ففي كل يوم نرى زهرة جديدة فاح عبيرها
على الكون كله.

ونحن اليوم على موعد مع صحابية جلييلة مباركة
كانت تبذل كل ما تستطيع لتُدخل السعادة والسرور
والبهجة على قلب النبي ﷺ.

إنها من السابقات إلى الإسلام... إنها صاحبة
الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة... إنها التي
آثرت رضى رسول الله ﷺ على حظوظ نفسها...
إنها التي قالت عنها أم المؤمنين عائشة: «ما رأيت امرأة
أحبَّ إلىَّ أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة».

* إنها أم المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنها.

فتعالوا بنا لتتعایش بقلوبنا مع سيرتها العطرة التي
تطیب بسماعها القلوب فهيا إلى تلك الواحة المباركة .

من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان

لقد كانت البشرية تعيش في جاهلية وشرٍّ فجاء الحبيب
ﷺ بهذا الدين العظيم لينقل البشرية من أوحال الشرك
والكفران إلى أنوار التوحيد والإيمان فاستجاب لدعوته
أصحاب الفطر والقلوب النقية التقية فخلعوا ثوب الجاهلية
على عتبة الأرقم ابن أبى الأرقم ولبسوا ثوب الإسلام
فانقادت قلوبهم وجوارحهم لطاعة الله ولخدمة دين الله
عز وجل .

إن هؤلاء الصحب الكرام الذين استجابوا لهذه الدعوة
المباركة في مهدها هم الذين حملوا هم هذا الدين ونشروا هذه
الرسالة إلى أرجاء الكون على أشلائهم ولحومهم ودمائهم .

* وكان أول من أسلم من النساء خديجة رضي الله عنها التي
كانت تؤازر الحبيب ﷺ في أعتى المواقف وتعينه على
أمر الدعوة .

* وكان أول من أسلم من الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي لم يتردد لحظة واحدة عن قبول الدعوة فما إن عرض عليه النبي ﷺ دعوته حتى وجدته يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وما إن أسلم أبو بكر رضي الله عنه حتى حمل أمانة الدين على أعناقهم وخرج يدعو الناس إلى دين الله - جل وعلا - فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين بشرهم النبي ﷺ بالجنة فيما بعد.

فيأتي الصديق رضي الله عنه يوم القيامة وهم في ميزان حسناته.

بل وأسلم على يديه خلق كثير غير هؤلاء الأبطال الأبرار.

وهكذا يجب أن يكون الداعية . . . يحمل هم الناس من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم إلى مرضاة الله وجنته^(١).



(١) أصحاب الرسول/ للمصنف (١/ ٥٨ - ٥٩). (١٢١١) كتاب الدعوات

والسابقون الأولون

وكان من بين السابقين الذين استجابوا لدعوة الحق من أول وهلة - السكران بن عمرو أخو الصحابي الجليل سهيل بن عمرو - فلقد أسلم السكران ﷺ ولأمس الإيمان شغاف قلبه . . . بل وأسلمت معه زوجته وابنة عمه سودة بنت زمعة ﷺ وعاشا سوياً في رحاب التوحيد والإيمان أجمل لحظات العمر.

نعم والله إن الحياة في ظل الإيمان هي الحياة الطيبة كما قال تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحسبنا حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (١).

وهكذا كانا من السابقين الذين أسلمت قلوبهم وجوارحهم لله - جل وعلا - فكانا من الذين كتب الله لهم السعادة في الدنيا والآخرة فقد قال تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ (٢).

(١) سورة النحل: الآية: (٩٧).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

صبراً واحتساباً

وما هي إلا ساعات معدودة حتى شاع خبرُ إسلامه ﷺ وإذا بهؤلاء الذين نفخ الشيطان في عقولهم، فظنوا أنهم هم السادة مع أنهم عبيدٌ لشهوات بطونهم وفروجهم... يعرفون خبر إسلام السكران بن عمرو رضي الله عنه فيصبون عليه العذاب صباً.

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم ويحميهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»^(١). فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

* وهاجرت سودة مع زوجها رضي الله عنها وعاشا في رحاب

(١) صحيح: رواه البيهقي (٩١٩) وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣١٩٠).

النجاشي - ذلكم الملك العادل - أطيب حياة في ظل
الإيمان والتوحيد.

وبعد ذلك عادا إلى مكة المكرمة لينعما بصحبة الحبيب
ﷺ . . . فإن المؤمن يستعذب العذاب في جوار رسول
الله ﷺ عن الراحة والنعيم بعيداً عن الحبيب ﷺ .
فلما عادا إلى مكة وجدا أن قريشاً ما زالت تعلن العداء
لدعوة النبي ﷺ وتسلط على أصحابه من العذاب ألواناً
ولكن النبي ﷺ كان يُطمئن قلوبهم بأن نصر الله قريب
وأن العزة ستكون لأوليائه والخزي سيكون لأعدائه^(١).

الرؤيا المباركة

وفي يوم من الأيام رأت سودة زوجة رسول الله ﷺ رؤيا عجيبة فقالت
لزوجها السكران بن عمرو: لقد رأيت الليلة في منامي
كان رسول الله قد وطئ عنقي، فما تفسير ذلك.

فقال السكران بن عمرو (زوج سودة بنت زمعة): إن

صدق رؤياك يا سودة، فسوف أموت أنا ويتزوجك
رسول الله.

(١) صحايات حول الرسول/ للمصنف (ص: ٦٥ - ٦٩).

دُهشت سودة من تأويل زوجها السكران بن عمرو لرؤياها، وأنكرت نفسها هذا التفسير، واستبعدته من الذاكرة تماماً، ولم تعلق على قول زوجها بشيء، ومن ثم لم تُلقِ بالأ بعد ذلك إلى ما رأت في منامها، إذ جال بخاطرها أن ذلك شيء بعيد، أو هو شيء مستحيل، فأثى لسودة بنت زمعة أن تقرن نفسها برسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المهاجرة مع زوجها إلى الحبشة فراراً من اضطهاد المشركين للمسلمين بمكة أن تعود إليها لتتزوج من رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج خديجة سيدة نساء قريش كما فسرت الرؤيا من زوجها.

وهل يُعقل أن يتزوج محمد صلى الله عليه وسلم وخديجة على قيد الحياة أم أولاده وبناته؟؟.

مضت الأيام، وقريش تحارب الإسلام والمسلمين فيما كان المسلمون متمسكين بدينهم، ومرَّ عامٌ وعامٌ ومرض السكران بن عمرو، وفيما كانت زوجته سودة تُمرضه وتقضى له حاجاته، قالت: يا ابن العم، لقد رأيت الليلة في منامى كأن القمر قد انقضَّ على من السماء وأنا مضطجعة، وسكتت سودة لحظة ثم واصلت حديثها

فقلت: فما تفسير ذلك يا ترى؟! فقال: يا سودة، وصمت السكران برهة يفكر في تأويل رؤيا زوجته، ويتأمل في تفسير معناها، وقد مرت بخاطره الرؤيا التي قصتها عليه زوجته سودة منذ أمد بعيد ثم قال: يا سودة، لا ألبث حتى أموت ويتزوجك رسول الله ﷺ. مرة أخرى دهشت سودة من تأويل زوجها لرؤياها، فأنكرت في نفسها هذا التأويل وهذا التفسير، وقد وثب إلى ذهنها ما كان من تفسير زوجها لرؤياها التي قصتها عليه قبل ذلك بوقت طويل، ولم تعلق سودة على قول زوجها بشيء ولم تلق بالآ إليه^(١).

فراق مؤلم

وتمر الأيام وما زال الزوجان يتعايشان في كل لحظة مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلى أن جاءت اللحظة التي نام فيها السكران على فراش الموت وفاضت روحه إلى بارئها - جل وعلا - فمات في مكة فحزنت عليه سودة حزناً شديداً.

(١) أزواج النبي ﷺ / ١. عبد المنعم الهاشمي (ص: ١١٠ - ١١١).

وأصبحت سودة رضي الله عنها وحيدة في هذه الدنيا ولكنها صبرت صبراً جميلاً ورضيت بقضاء الله لأنها تعلم يقيناً أن الله - جل وعلا - أرحم بعباده من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

وأن العبد إذا صبر واحتسب فإن الله يعوضه خيراً ولكنها لم يكن يخطر ببالها أبداً أنها ستكون في يوم من الأيام أمّاً للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه.

وكان من أهم الأحداث التي وقعت في تلك الفترة من الوقت أيضاً وفاة أبي طالب عم رسول الله صلوات الله عليه الذي كفله صغيراً وأزره كبيراً، وناصره على دعوته، وحماه من أذى المشركين.

وتبع وفاة أبي طالب، وفاة خديجة زوج رسول الله صلوات الله عليه التي صدقته وآمنت به، بل كانت أول من آمن به، وكانت له وزير صدق طوال سنوات كفاحه وجهاده.



موعدٌ مع السعادة

وكان النبي ﷺ في تلك الأيام حزيناً لموت خديجة
رضي الله عنها التي كانت أحب الناس إلى قلب الحبيب ﷺ .
فقد كانت خديجة رضي الله عنها هي الزوجة والحبيبة والصديقة
ووزيرة الصدق وأم أولاده . . . ففقد النبي ﷺ كل ذلك
في لحظة واحدة .

* وفي ظل هذه الظروف الصعبة لسير الرسالة
المحمدية من هي المرأة التي تستطيع أن تملأ الفراغ الذي
تركته أمنا الغالية خديجة رضي الله عنها .

اعتقد أن مكان خديجة لا يملؤه إلا خديجة، وأن
مكانها ومكانتها في قلب رسول الله ﷺ سيبقى لها
وحدها، لا تشاركها واحدة من نساء الأخريات فيما
بعد (١) .

* ولكن سودة رضي الله عنها كانت على موعد مع سعادة الدنيا
والآخرة فلقد شاء الملك (جل وعلا) أن يتزوجها الحبيب
ﷺ . . . ولكن كيف كان ذلك؟ .

فتعالوا بنا لتعيش بقلوبنا مع هذا الحدث المهيّب .

(١) نساء أهل البيت (ص: ٨٠ - ٨١) .

هكذا أصبحت أمًا للمؤمنين

وزوجة لسيد الأولين والآخرين عليه السلام

لقد كان أصحاب الحبيب عليه السلام يعرفون قدر خديجة رضي الله عنها عند النبي عليه السلام فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقه الله عز وجل بمن يخفف عنه من آلامه وأحزانه . . . ولكن لم يكن أى واحد منهم يجروا أبداً أن يكلم النبي عليه السلام فى أمر الزواج . . . فشاء الحق - جل وعلا - أن تتجراً واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهى خولة بنت حكيم لتعرض هذا الأمر على رسول الله عليه السلام من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون.

* وهى أمنا عائشة رضي الله عنها تحكى لنا كيف استطاعت خولة رضي الله عنها أن تعرض هذا الأمر على رسول الله عليه السلام.

عن عائشة قالت: لما توفيت خديجة، قالت خولة بنت حكيم - امرأة عثمان بن مظعون، وذلك بمكة - : يا رسول الله ألا تتزوج؟ قال: «من؟» قالت: إن شئت بكرًا^(١) وإن شئت ثيبًا^(٢)؟ قال: «فمن البكر؟» قالت:

(١) البكر: هى الفتاة التى لم يسبق لها الزواج.

(٢) الثيب: هى المرأة التى تزوجت قبل ذلك.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: «فمن الشيب؟».

قالت: سودة بنت زمعة، آمنت بك، واتبعتك على ما أنت عليه.

قال: «فاذهبي فاذكريهما علي»^(١).

قالت: فذهبتُ إلى سودة وأبيها زمعة - وكان شيخاً كبيراً - فقلت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟
فقالت سودة في دهشة: وما ذاك يا خولة؟

قلت: أرسلني رسول الله ﷺ إليك لأخطبك عليه.

غمر سودة سرور عميق، واستشعرت دموع الفرح تبلل وجهها وروحها، وتذكرت ما رأت في نومها منذ فترة، وما هي رؤياها قد جعلها ربها حقاً، وما كانت تطمع في أن تكون زوجاً لرسول الله ﷺ بعد أن نالت منها السنون وكبرت في السن، وإنه لشرف عظيم لا يدانيه شرف أن تصبح أم المؤمنين...، ثم توجهت إلى خولة وقالت لها والفرح يملأ وجهها: وددتُ ذلك ولكن ادخلي

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٥٢٨٥) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

على أبي فاذا كرى له ذلك . **قالت خولة:** فدخلت على أبي سودة، وحيته بتحية أهل الجاهلية وقلت: أنعم صباحاً . **فقال:** من أنت يا هذه؟ **فقلت:** خولة ابنة حكيم زوج عثمان بن مظعون . **قالت خولة:** فرحب بي والد سودة، وقال ما شاء الله أن يقول، فقد كان على علم بأنني خرجت عن آلهة قومي، وآمنت وهاجرت إلى الحبشة، ثم عدت إلى مكة، وسألني عن حاجتي وقال: ما شأنك؟! **فقلت:** إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يذكر ابنتك سودة .

قال: إن محمداً كُفءٌ كريم، ولكن ما تقول صاحبتك سودة؟ **قلت:** هي تحب ذلك . **قال:** إذن ادعيها إلي . فذهبت ودعوته؛ فقال لسودة: أي بنية، إن خولة ابنة حكيم تزعم أن محمد بن عبد الله قد أرسل يخطبك، وهو كفاء كريم، أتجيبين أن أزوجه منك؟

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فقالت سودة في صوت يفصح عن رغبتها: نعم إن

أحببت. *سورة مريم* رواه ابن ماجه

فالتفت زمعة إلى خولة وقال لها: قولى لمحمد فليأتنا.

قالت خولة: فجاء رسول الله ﷺ وعقد عليها

وملكها فزوجه إياها بعد أن أصدقها أربعمئة درهم.

وكان لأم المؤمنين سودة أخ يدعى عبد الله بن زمعة لا يزال على دين قريش، وكان خارج مكة، فلما قدم مكة، وجد أن أخته سودة قد تزوجها محمد ﷺ، فتملكه الغيظ، وركبته حمى الجاهلية، وحشا بالتراب على رأسه أسفاً وحرزناً على هذا الزواج، ودخل على أبيه يتوعد ويهدد.

ولما فتح الله عز وجل بصيرته وبصره على محاسن نور الإسلام وآمن بالله، وبمحمد رسولاً ونبياً، قال مُحدثاً عن نفسه: إنى لسفيهٌ يوم أحشو التراب على رأسى، أن تزوج النبي ﷺ سودة ^(١).

سورة مريم رواه ابن ماجه
* * *

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٥٣٤٠) رواه الطبراني ورجاله ثقات.

في رحاب بيت النبوة

ولقد كانت سودة رضي الله عنها أول من تزوج بها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة خديجة رضي الله عنها ومكثت عنده وحدها نحواً من ثلاث سنوات حتى تزوج عائشة رضي الله عنها.

وكانت تعلم يقيناً أنها لن تستطيع أن تملأ الفراغ الذي تركته خديجة رضي الله عنها لكنها كانت تحاول قدر طاقتها أن تملأ هذا البيت المبارك راحة وسعادة وسروراً فكانت تخفف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يلقاه من اضطهاد المشركين وكانت تحذره عن ذكرياتها في بلاد الحبشة وتكثر من أخبار ابنته رقية وزوجها عثمان رضي الله عنهما لأنها تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يعرف أخبارهما ويطمئن عليهما ويسعد بسيرتهما... هكذا كانت تبحث عن أي شيء يدخل السعادة والسرور على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

سعادة دائمة

وظلت سودة رضي الله عنها ملازمة للحبيب صلى الله عليه وسلم تقتبس من هديه وأخلاقه وعلمه وحلمه حتى أصبحت السعادة لا تفارق قلبها لحظة واحدة وحق لها أن تسعد بجوار رسول

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

الله ﷻ فوالله إن الواحد منا يتمنى أن يرى النبي ﷺ ولو مرة واحدة في منامه فكيف بمن يعيش معه ويكلمه في يقظته؟.

ولم يكن يخطر ببال سودة رضية أن تصبح في يوم من الأيام أمًا للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

واستيقظت الذكريات

وفي البيت النبوي، كان لسودة رضية مواقف وضيئة، فقد قدمت مكة رقية ابنة رسول الله ﷺ وزوجها عثمان بن عفان من هجرتهم من الحبشة، ووقعت عينها على الدار الغالية، دار أمها الطاهرة خديجة رضية، تلك الدار التي شهدت رقية فيها أحلى أيام عمرها، . . . دار الوحي والإيمان، ودار الصدق والوفاء فثارت بداخلها مشاعر متباينة كانت مزيجاً من اللهفة والرغبة، والفرح والحزن، والقلق، والهدوء.

وطرقت الباب، فانتشر خبر قدوم رقية وعثمان، وراحت أم كلثوم وفاطمة ومن كان هناك يستبقون إليها، وتعانقت الأخوات، وسالت العبرات، واستيقظت

الذكريات، وأحسَّ جميعهم غياب الأم الحنون، فسالت
دموعها من البكاء.

وجاءت سودة بنت زمعة ثقيلة في خطواتها، وراحت
ترحب هي الأخرى برقية وعثمان رضي الله عنهما، وفي مثل لمح
البصر، هبت ذكريات سودة عن هجرتها إلى الحبشة مع
المهاجرين، وأخذت تسأل رقية وعثمان، عمَّن تركا
خلفهما في الحبشة، فقد كانت سودة تقضى أغلب أوقاتها
مع رقية وخولة بنت حكيم وبعض النسوة يتذاكرن أمر
الإسلام، وأمر رسول الله صلوات الله عليه وآله.

وبلغ الحبيب المصطفى صلوات الله عليه وآله أن رقية وعثمان رضي الله عنهما قد
رجعا من الحبشة، فإذا بوجهه الشريف مسفرَّ ضاحكٌ
مستبشرٌ، وإذا بالحنان يتدفق من قلبه الشريف، وضم
رسول الله صلوات الله عليه وآله ابنته رقية رضي الله عنها إليه، وغمرها بعطفه،
وأخذ عثمان بين ذراعيه، ثم جلسوا يصغون إلى رقية
وعثمان وهما يرويان حديث الهجرة والحبشة والمسلمين
والنجاشي، وربما شاركت سودة رضي الله عنها في الحديث عن
الذكريات في أرض الحبشة^(١).

(١) نساء أهل البيت (ص: ٨٩ - ٩٠) بتصرف.

الهجرة إلى المدينة المنورة

ولما اشتد إيذاء المشركين بأصحاب الحبيب ﷺ أذن لهم بالهجرة إلى المدينة حيث نزلوا في رحاب الأنصار الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

ثم هاجر النبي ﷺ بعد ذلك إلى المدينة ليقيم للإسلام دولة تكون منارة للكون كله... ولما استقر النبي ﷺ بالمدينة بعث زيّداً، وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين، وخمس مائة درهم. فخرجوا جميعاً. وخرج زيّد وأبو رافع بفاطمة، وأم كلثوم، وبسودة بنت زمعة، وبأم أيمن، وأسامة ابنه (٢).

(١) سورة الخشر: الآية: (٩).

(٢) ابن سعد (١/ ٢٣٧ - ٢٣٨).

وتوالت البركات

واستقرت سودة في بيت النبي ﷺ . . . وبعد ذلك بفترة يسيرة دخل النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها وكانت تحب سودة رضي الله عنها حبا شديداً وكان لها معها أخبار مشرقة .

ثم توالت الخيرات والبركات وتزوج النبي ﷺ بسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ليكتمل هذا العقد القريد .

إنه بيت كريم مبارك أذهب الله عن أهله الرجس وطهره تطهيراً وأفاض عليه البركات والخيرات ليكون البيت وأهله شمساً تضيء للناس جميعاً طريقهم إلى الله عز وجل .

ويؤثرون على أنفسهم

ولقد كانت سودة رضي الله عنها تجتهد قدر طاقتها لإرضاء الحبيب ﷺ حتى ولو كان ذلك على حساب سعادتها . لو وكانت تعلم يقيناً أن أحب نسائه إليه هي عائشة رضي الله عنها فأرادت أن تدخل السعادة على قلب الحبيب ﷺ فوهبت يومها لعائشة تبغى بذلك مرضاة رسول الله ﷺ ^(١) . تبغى بذلك لأنها لم يكن لها في نوازلها

(١) صحايات حول الرسول / للمصنف (ص: ٧١ - ٧٧) .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

إن سودة لم تكن في وقت ما تنطلع إلى أن تنال من عواطف الرسول أكثر مما تنال الآن.. فحينما دخلت بيت الرسول ﷺ كانت تعلم علم اليقين أنها لن تملأ من دار محمد ﷺ شيئاً من مكان خديجة، وكانت تعلم كل العلم أنها لن تأخذ من قلب محمد ﷺ ولا من نفسه شيئاً يشبه ما كان في قلبه ونفسه لخديجة.. بل كان حَسْبُهَا أن تكون زوجة لرسول الله ﷺ وحسبها أن تقوم على خدمته وتسهر على راحته.

تقدم العمر بسودة، وثقلت عن الحركة، وشاركتها في قلب الرسول، وفي نفسه زوجات أخريات - لا تطمع أن تنال من قلبه، ولا من نفسه أكثر مما كانت تنال من قبل، فحسبها أنها زوجة نبي الأمة، وكفاها أنها قرينة لرسول الله ﷺ (١).

ولكنها في لحظة حاسمة في حياتها خافت أن يُطلقها النبي ﷺ فما كان منها إلا أن آثرت أن تكون زوجة للنبي ﷺ في الجنة مقابل أن تنازل عن بعض حقوقها في الدنيا ومن أجل ذلك وهبت يومها لعائشة

(١) أزواج النبي (ص: ١١٨).

رضي الله عنها . . . ورضي النبي صلى الله عليه وسلم منها ذلك فكان يقسم لكل زوجة يوماً ويقسم لعائشة يومين .

عائشة تثنى عليها رضي الله عنها

وهذا الموقف العظيم من الإيثار الذي يندر وجوده في دنيا النساء جعل عائشة رضي الله عنها في غاية الدهشة حتى أنها أثنت عليها ثناءً يعجز القلم عن وصفه .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت امرأة أحبَّ إلىَّ أن أكون في مِسلَاحِها من سودة بنت زمعة ^(١) .

موقف طريف

ولقد كانت الألفة والمحبة التي بين سودة وعائشة رضي الله عنها سبباً في حدوث بعض المواقف الطريفة . . . ففي إحدى الجلسات كان هذا الموقف الطريف .

فمن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بخزيرة ^(٢) قد طبختها له فقلت لسودة - والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها - :
كُلِي . فأبت فقلت: لتأكلن أو لأطخنَّ وجهك، فأبت . . .

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٣) كتاب الرضاع .

(٢) الخزيرة: نوع من الطعام .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فوضعت يدي في الخزيرة فطليت وجهها، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها وقال لها: «الطخي وجهها»، فضحك النبي ﷺ فمرَّ عمر فقال: يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال: «قوما فاغسلا وجوهكما». فقالت عائشة: فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ (١).

موددة ورحمة

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

ولقد كانت المودة والرحمة في بيت الحبيب ﷺ قد بلغت ذروتها فكان البيت قائماً على المودة والرحمة وكان النبي ﷺ يداعب أزواجه أحياناً ويمزح معهن ولكن كان لا يقول إلا حقاً وصدقاً.

وكانت سودة ﷺ تمازحه كثيراً وتضحكه وتدخل عليه البهجة والسعادة والسرور.

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٤٤٩) وإسناده حسن وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٣٨٣١). مسنده أبي حنيفة (١/ ١٠٠).
(٢) سورة الروم: الآية: (٢١).

قالت سودة: يا رسول الله، صليت خلفك البارحة، فركعت بي، حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم، فضحك. **فاستبقوا الخيرات** ولقد كانت سودة رضي الله عنها تسارع دائماً إلى كل طاعة. . . فقد كانت هذه الخصلة المباركة متأصلة في قلوب الصحابة والصحابيات جميعاً. . . الكل يتسابق إلى مرضاة الله فهم يعلمون أن الدنيا مزرعة للأخرة وأن من زرع هنا فسوف يحصد هناك.

وحيثما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزوجه جميعاً إلى مكة في حجة الوداع، وحيثما حان وقت رمي الجمرات بمنى استأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمح لها لثقل جسمها وبطء حركتها، أن ترمي بجمراتها قبل زحمة الناس فأذن لها، . . . تقول عائشة رضي الله عنها: استأذنت سودة ليلة المزدلفة، أن تدفع قبل حطمة الناس، وكانت امرأة ثبطة - أي ثقيلة - فأذن لها، فدفعت قبل حطمة الناس، وأقمنا حتى أصبحنا نحن، ثم دفعنا بدفعه، فلأن أكون

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنته سودة أحب إلى من مفروح به^(١).
عاشت أم المؤمنين سودة بعد وفاة الرسول الكريم حتى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وكانت قد لزمت بيتها حتى إنها لم تخرج للحج، لأنها قالت بعد حجة الوداع مع النبي ﷺ: «هذه الحجة، ثم ظهور الحُصْر» أى لزوم البيت لا خروج منه.
وكانت تقول: «حججت واعتمرت فانا أقرُّ فى بيتي كما أمرنى الله عز وجل، لا تحركنى دابة بعد رسول الله ﷺ».

كرم وسخاء

ولقد كانت ﷺ كريمة سخية لا تميل نفسها إلى حطام الدنيا ومتاعها الزائل بل كلما جاءها مال تؤثر به من حولها رغبة فيما عند الله من نعيم لا يفنى ولا يزول.
* ففى يوم من الأيام يرسل لها أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ غرارة مملوءة بالدراهم فلما ذهبوا بها إليها
(١) أخرجه البخارى (١٦٨١) كتاب الحج، ومسلم (١٢٩٠) كتاب الحج، وأحمد (١٦٤/٦).

قالت: ما هذه. قالوا لها هذه دراهم.

قالت وهي في غاية الدهشة: دراهم في غرارة كبيرة مثل التمر!!! ثم نادت على جاريتها وفتحت الغرارة ووزعتها على الفقراء واليتامى والمساكين.

يأتيها الإذن من فوق سبع سماوات

وها هي رضي الله عنها تقع في موقف يسبب لها حرجاً فترجع إلى النبي صلوات الله عليه وسلم لتخبره وإذا بالوحي ينزل على النبي صلوات الله عليه وسلم من فوق سبع سماوات ليرفع عنها وعن غيرها الحرج بعد هذا اليوم.

*** عن عائشة رضي الله عنها قالت:** خرجت سودة بنت زمعة رضي الله عنها ليلاً فرأها عمر فعرفها فقال: إنك والله يا سودة ما تخفين علينا، فرجعت إلى النبي صلوات الله عليه وسلم فذكرت ذلك له وهو في حُجرتي يتعشى، وإن في يده لِعَرَقًا، فأنزل الله عليه فرفع عنه وهو يقول: «قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن» (١).

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٢٣٧) كتاب النكاح، ومسلم (٢١٧٠) كتاب السلام.

وحان وقت الرحيل

وطلت سودة رضي الله عنها تتعاش مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بقلبها وجوارحها فكانت السعادة ترفرف على سمائها والسكينة تنزل على قلبها - ولكن دوام الحال من المحال - .

فلقد جاء اليوم الذي دخل فيه الحزن قلبها وسكن فيه ، فلقد مات رسول الله ﷺ وهو صاحب القلب الرحيم الذي غمرها برحمته ومودته وحنانه وعلمه وأخلاقه... .
فما هي تفقد كل ذلك في لحظة واحدة. يا الله تعالي

فحزنت لموته حزناً كاد أن يمزق قلبها ولكنها احتسبه عند الله لتنال ثواب الصابرين .
وحسبها أن النبي ﷺ مات وهو راضٍ عنها... بل وحسبها أنها ستكون زوجته أيضاً في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وطلت سودة رضي الله عنها على العهد الذي تركها عليه رسول الله ﷺ عابدة صائمة قائمة لله - جل وعلا -

وامتدت بها الحياة إلى خلافة عمر رضي الله عنه فكان أبو بكر وعمر وسائر الصحابة رضي الله عنهم يعلمون قدرها ومكانتها ويحسنون إليها غاية الإحسان.

وفي آخر خلافة عمر نامت أمنا سودة على فراش الموت وفاضت روحها الطاهرة إلى بارئها - جل وعلا - .
وإن كانت سيرتها العطرة قد انتهت عند هذا اليوم إلا أن عبير سيرتها مازال يملأ الدنيا كلها فهي قدوة لنسائنا وبناتنا وأخواتنا عبر العصور والأزمان.
فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها.



عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَبِالْحَسْبِ رَبِّي أَتَنبَأُ

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

سفتنا كبري بالعالمات، بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنها، هي التي
 سبقت بكهده في الدنيا، وتبعها في الآخرة، وهي التي سبقت
 بالجنة، وهي التي سبقت بالجنة، وهي التي سبقت بالجنة.

عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها

وما نحن نفتح صفحة جديدة مباركة نتعرف من
 خلالها على أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق
رضي الله عنها، إنها سيدة نساء العالمين، وهي التي سبقت
 بالجنة، إنها الزهرة النقية النقية التي نبتت في حقل
 الإسلام، وسقيت بماء الوحي . . إنها الفتاة التي رضيعت
 الصدق والتقوى والوفاء والزهد والورع من أبيها . . إنها
 الطاهرة المطهرة التي أنزل الله براءتها من فوق سبع
 سموات .

بنتها أحب الناس إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . .
 * فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها

العطرة . . * * * * *
 * * * * *
 * * * * *

في رحاب المكارم

وقبل أن نتعايش مع قصتها المباركة تعالوا بنا لنقف
وقفة مع المكارم التي أحاطت بها من كل جانب .

* فزوجها هو سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد
الله ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين .

* وأبوها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي لم تطلع
الشمس على بشرٍ بعد الأنبياء والمرسلين أفضل منه . . .
إنه ثاني اثنين . . . إنه أحب الناس إلى قلب رسول الله
ﷺ .

* وأمها هي الصحابية الجليلة أم رومان بنت عامر
تلکم الصحابية الجليلة التي قدمت الكثير والكثير لخدمة
هذا الدين العظيم .

* وأختها لأبيها أسماء بنت أبي بكر - ذات النطاقين
فوقها .

* وزوج أختها هو حوارى رسول الله ﷺ وابن
عمته وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سئل سيقاً في
سبيل الله . . . إنه الزبير بن العوام رضي الله عنه .

* وجدُّها لاييها - أبو قحافة - الذي أسلم ونال شرف صحبة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

* وجدتها لاييها - أم الخير - سلمى بنت صخر التي أسلمت ونالت شرف الصحبة .

* وأما عماتها الثلاث - من الصحابيات - وهن: أم عامر وقريبة وأم فروة - بنات أبي قحافة - .

* وأما شقيقها - عبد الرحمن - فهو من الشجعان والرماة المذكورين .

* فتلك هي الشجرة المباركة التي خرجت عائشة من جذورها وعاشت بين أغصانها فكانت زهرة نادرة في دنيا الناس ^(١) .

من هنا تبدأ

وإذا أردنا أن نتعاشق مع سيرة أمنا الغالية عائشة رضي الله عنها فلا بد أن نعلم أن سيرتها العطرة لا بد أن تبدأ من أبيها الذي كان أحب الناس إلى قلب رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إنه الرجل الذي نصر رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم خذله

(١) صحابيات حول الرسول / للمصنف (ص: ٨٤-٨٥).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

الناس بسببهم وآمن به يوم كفر به الناس بسببهم. وأوصدقه يوم كذبه الناس.

إنه أفضل الصحابة بلا خلاف.
ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على رجل خيل منه من
بأنه إنه أول من آمن من الرجال على الصحيح. إنه من
وُزن إيمانه بإيمان الأمة فزجج إيمانه في قبة وأه قبيته
بأنه إنه الورع الحبي الحازم الرحيم التاجر الكريم
صاحب الفطرة السليمة من أدران الظلام والجاهلية فلا
كان شبيهاً بالرسول ﷺ وأنعم به من شبيهه .

لأنه * إنه الرجل الذي بذل نفسه لخدمة الإسلام
والمسلمين .

* إنه الرجل الذي اختاره النبي ﷺ ليكون صاحبه
في أعظم حدث في العالم كله ألا وهو الهجرة من
مكة إلى المدينة .

* إنه الرجل الذي أعاد الأمة إلى الإسلام بعد أن ارتد
أكثر العرب بعد موت النبي ﷺ .

* إنه الرجل الذي انتشر الإسلام في عهده في أكثر
بقاع الأرض .

له * إنه أول من جمع القرآن كله في مصحف واحد.

بها * إنه الزاهد العابد الخاشع المتواضع المجاهد الكريم.

بها * إنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما تشير الآية (فأولم

ميلاده ونشأته وأخلاقه قبل الإسلام

وُلد أبو بكر الصديق بعد عام الفيل بعامين في قبيلة

بمكة تُسمى (تيم) . فهو أصغر من النبي صلى الله عليه وسلم بعامين

لأن النبي صلى الله عليه وسلم وُلد عام الفيل .

وكان أبو بكر قد تربى على مكارم الأخلاق منذ صغره

فكان حسن الخلق وكان يُحسن الكتابة والقراءة وكان أعلم

أهل قريش بأنسب العرب . ولم يعرف اللهو أبداً ولم

يقع في المعاصي التي كان أكثر الناس يقعون فيها .

وها هو رضي الله عنه تراه قد حرم على نفسه الخمر في

الجاهلية فلم يشربها قط لا في الجاهلية، ولا في الإسلام،

وذلك أنه مرَّ وهو في الجاهلية برجلٍ سكران يضع يده في

العذرة - الغائط - يدينها من فيه، فإذا وجد ريحها صدف

عنها، فحرمها أبو بكر على نفسه .

* ولم يسجد لصنم قط .

وها هو يحكى بنفسه لبعض الصحابة ويقول لهم: ما سجدت لصنم قط وذلك أنى لما كبرت أخذنى والدى (أبو قُحافة) إلى بيت الأصنام وقال لى: يا بُنى هذه آلهتك فاسجد لها... ثم انصرف أبى وتركنى، فما كان منى إلا أن اقتربت من الصنم وقلت له: إنى جائع فأطعمنى فلم يُجبنى... فقلت له: إنى عارٍ فاكسنى فلم يُجبنى فآلقيت عليه صخرة فسقط على وجهه فانكسر... فعُدت إلى البيت وقد تيقنت أن تلك الأصنام ما هى إلا أحجار لا تنفع ولا تضر.

* وكان أبو بكر محبوباً فى قريش لصدقه وأمانته وأخلاقه العذبة الرقيقة فكان رجال قريش يأتونه ويألفونه ويحبونه.

وكان أبو بكر من قبيلة ضعيفة قليلة العدد والعدة والمال ولذلك لم يتولوا أى عمل لقريش... وكان أبو بكر يتاجر فى ماله القليل حتى أصبح بعد ذلك من الأغنياء بفضل الله أولاً ثم بفضل صدقه وأمانته.

فكان يعطف على الفقير والمسكين واليتيم وينصر الضعفاء والمظلومين فإزداد حُبَّ الناس له يوماً بعد يوم

حتى أصبح من أحب الناس إلى أهل قريش بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان معروفاً بأنه الصادق الأمين .

إسلامه رضي الله عنه وصبره على الإيذاء

كان أبو بكر صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فكان أبو بكر يحب النبي صلى الله عليه وسلم حباً جماً، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبادلُه هذا الحب . فقد كانا متشابهين في الصدق والأمانة وفعل الخيرات واللين والرحمة . وتمر الأيام وينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ويُبعث النبي صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور . فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن عرض الإسلام على زوجته خديجة فأسلمت ثم عرض الإسلام على أبي بكر فلم يتردد لحظة واحدة بل أسلم في التو واللحظة فهو الذي يعرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأمانته . ولذلك لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله قد أرسله ليكون خاتم الأنبياء .

أدوات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

قال له أبو بكر: والله ما جريت عليك كذبًا قطه أ ربه
وما إن أسلم أبو بكر ﷺ حتى حمل أمانة الدين
على أعناقهم وخرج يدعو الناس إلى دين الله جل وعلا
فأسلم على يديه ستة من العشرة الذين بشرهم النبي
ﷺ بالجنة فيما بعد. ﷺ ربه لقيته ربه
وأسلم على يديه زوجته وأولاده. ﷺ ربه
فيأتي الصديق ﷺ يوم القيامة وهم في ميزان
حسناته! ربه قاله كان ربه ربه ربه ربه
بل وأسلم على يديه خلق كثير غير هؤلاء الأطهار
الأيثار. ﷺ ربه ربه ربه ربه
تو لهكذا يجب أن يكون الداعية. ﷺ ربه ربه ربه
من حوله ويخشى عليهم من عذاب الله ويأخذ بأيديهم
إلى مرضاة الله وجنته. ﷺ ربه ربه ربه
* وما إن علمت قريش بإسلام أبي بكر حتى أذاقته
من العذاب ألوانًا. ﷺ ربه ربه ربه
ذلك كله عند الله (جل وعلا). ﷺ ربه ربه ربه
ﷺ ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه ربه
* * *

ميلاد عائشة رضي الله عنها

وبعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنوات وُلدت عائشة رضي الله عنها في الإسلام وخرجت إلى الدنيا فوجدت نفسها بين أبوين كريمين مؤمنين بل وجدت نفسها ابنة خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تقول عائشة: «لم أعقل أبوى إلا وهما يدينان الدين» (١).

فنشأت في أحضان هذين الأبوين الكريمين وترعرعت في ظل هذا البستان الذي غرست أشجاره في تربة الإيمان وسقيت بماء الوحي فكان أبواها كالذوابة الباسقة التي يستظل بظلها وكالشجرة المباركة ذات القطوف الدانية التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وكان أبواها يلاحظان بركتها التي فاح عبيرها ولكن لم يخطر ببالهما أبداً أنها ستصبح في يوم من الأيام زوجة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم وأما للمؤمنين في كل زمان ومكان وللعلم في كل زمان ومكان.

ولكن الله عز وجل إذا أراد شيئاً فإنه يقول له: كُنْ فيكون.

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٦) كتاب الصلاة.

هذه زوجتك في الدنيا والآخرة

ولقد كان زواج النبي ﷺ بعائشة ؓ بوحى من السماء فلقد رآها في منامه ثلاث ليالٍ وكان جبريل - عليه السلام - يأتيه بصورتها ويقول له: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»... ويا لها من كرامة عظيمة لأمتنا عائشة ؓ.

عن ابن أبي مليكة عن عائشة: أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال: «هذه زوجتك في الدنيا والآخرة»^(١).

وتعجب النبي ﷺ من هذا الأمر؛ يرى رؤيا، ثم يرى هذه الرؤيا في ليلة أخرى، ترى ماذا قال رسول الله ﷺ عن هذا الأمر؟؟

لقد تحدث به لعائشة فقال رسول الله ﷺ: «أريتك في المنام ثلاث ليالٍ، جاء بك الملك في سرقة من حرير»^(٢).

(١) أخرجه الترمذى (٣٨٨)، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى.

(٢) السرقه بفتح السين والراء والقاف: هى القطعة، وفى مطبوعة دمشق «خرقة» وهى عند ابن حبان كما فى «الفتح» (١٥٦/٩).

فيقول: هذه امرأتك. فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه.
 فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه^(١).
 نعم إن كان هذا من عند الله فليُمضه، وكان من
 أسباب الاستعجاب لدى النبي ﷺ أن عائشة بنت
 صاحبه أبي بكر بن أبي قحافة رضى الله عنهم أجمعين،
 والتي رأى صورتها فى قطعة الحرير التى قُدمت إليه فى
 المنام كانت لا تزال وقتئذ طفلة صغيرة لا يزيد عمرها على
 ست سنوات، فأنى لهذه الطفلة بالزواج؟! وأنى لها أن
 تُسدُّ فراغ خديجة رضوان الله عليها^(٢).

قصة الزواج المبارك

ولما مات أبو طالب وجدت قريش فرصة كبيرة لإيذاء
 النبي ﷺ فقد مات الذى كان يدافع عنه.
 * وما كاد النبي ﷺ يخلع ثوب الحزن على عمه
 حتى فُجع بموت زوجته وشريكة عمره خديجة رضي الله عنها التى
 أزرته ونصرته وبذلت نفسها ومالها لنصرة هذا الدين . . .

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٨٩٥) كتاب مناقب الأنصار، ومسلم (٢٤٣٨)
 كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أزواج النبی / ١. عبد المنعم الهاشمي (ص ١٣٢).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وكانت تعلم الزوجة، عن سفيان بن عيينة، أنها ماتت في سنة ١٠ هـ، وكانت وفاتها في شهر رمضان في السنة العاشرة من النبوة، ولها خمس وستون سنة على أشهر الأقوال... ورسول الله ﷺ إذ ذاك في الخمسين من عمره. وحزن النبي ﷺ لموتها حزناً شديداً فلقد كانت نعم الزوجة الصابرة المخلصة التي آزرته طوال حياته. وبذلت من أجل نصرة هذا الدين كل غال ونفيس فلم يستطع النبي ﷺ أن يتساها أبداً وكان يحمل لها وفاءً يعجز القلم عن وصفه. ولقد كان أصحاب الحبيب ﷺ يعرفون قدر خديجة رضي الله عنها عند النبي ﷺ فعندما ماتت كانوا يرجون أن يرزقه الله (عز وجل) بمن يخفف عنه من آلامه وأحزانه. ولكن لم يكن أي واحد منهم يجروء أبداً أن يكلم النبي ﷺ في أمر الزواج فشاء الحق (جل وعلا) أن تتجرأ واحدة من فضليات نساء الصحابة ألا وهي خولة بنت حكيم لتعرض هذا الأمر على رسول الله ﷺ من أجل إدخال الفرح والسرور على قلبه المحزون. جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون

فقلت: يا رسول الله ألا تتزوج قال: «مَن؟»
قالت: «إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً»
قال: «فمن البكر؟»
قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر.
قال: «ومَن الثيب؟»
قالت: سودة بنت زمعة قدا آمنت بك واتبعتك على ما تقول.

قال: «فاذهبي فاذكريهما علي»
فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان فلماذا أدخل
 الله عليكم من الخير والبركة؟
قالت: وما ذاك؟
قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أنخطب عليه عائشة،
قالت: أنتظري أبا بكر حتى يأتي.
فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر لماذا أدخل عليك من
 الخير والبركة؟
قال: وما ذاك؟
قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أنخطب عليه عائشة.
قال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيها.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال:
ارجعى إليه فقولى له: «أنا أخوك، وأنت أخى فى الإسلام،
وابتكت تصلح لى» فرجعت فذكرت ذلك له .
* لكن كانت هناك مشكلة كبيرة . . . وهى أن أبا بكر
كان قد وعد مطعم بن عدى أن يزوج ابنه من عائشة فأراد
أبو بكر أن يجد حلاً لهذه المشكلة وبخاصة أنه ما وعد
أحدًا وعدًا فأخلفه أبدًا .

ذهب أبو بكر إلى مطعم بن عدى وكانت عنده امرأته
أم الفتى الذى كان يريد أن يتزوج عائشة . . .
فقالت هذه المرأة لأبى بكر: إنى لأخشى إن تزوج ابنى
من ابتكت عائشة أن تجعله مسلمًا ويترك دين الآباء
والأجداد . . . أى أنها لا تريد إتمام هذه الزيجة .

فنظر أبو بكر إلى مطعم بن عدى وقال له: ما رأيك .

قال: رأى مثل رأيها .

فخرج أبو بكر وهو يحمد الله أن يسرَّ له الخروج من
هذا الوعد دون أن يكون هو الذى أخلف وعده .

فرجع فقال لحولة: ادعى لى رسول الله ﷺ ، فدعته
فزوجها إياه، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

وكانت الرؤيا التي رآها محمد عليه السلام مرة، ثم عاد
فراها مرة أخرى أمر من عند الله لأن النبي عليه السلام قال
يومها: «إن كان هذا من عند الله يُمضه»، وكان أن أمضى
الله أمره...
وزُفَّت سودة بنت زمعة إلى رسول الله عليه السلام،
وانتقلت إلى داره تدير بيته، وترعى ابنتيه: أم كلثوم
وفاطمة. وبقيت عائشة بدار أبيها حتى تشبَّ، ويقوى
عودها.

لم تدهش مكة ولم تعجب لهذه الخطبة؛ فقد تَمَّت بين
أعزَّ صديقين، وأوفى صاحبين. ولم تستنكر مكة أن
تخطب فتاةً صغيرة السنَّ، لا تزال تلعب وتمرح مع
صاحباتها، إلى رجل كبير في السن... . . ولم يجد أشد
خصوم الرسول الكريم في ذلك مطعناً ولا عيباً، وهم
الذين كانوا يخلقون المطاعن والمعائب اختلاقاً؛ لأن ذلك
كان من عاداتهم التي لا يُنكرونها، ومن طبيعتهم التي لا
يعاندونها.

وأبَّت نفس الرسول الرحيمة أن تتزع عائشة من بيت
أبويها، وأن تحرمها من اللهو والمرح مع صاحباتها، وأن

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

تحملها مسئولية الحياة الزوجية، وهي لا تزال صبية صغيرة، واكتفى بأن يأنس إلى ملاحظتها، ومشاركتها مرحها، حين يذهب إلى بيت صاحبه، فيجد ذلك أنيساً ومتاعاً، وراحة وسلوة، وكانت هي تجد في مشاركة هذا الرجل الوقور الباسم لها متعة لا تدانيها متعة، ولذا كانت تتلهف على حضوره، وتشوق لرؤيته، وما تخلف رسول الله ﷺ يوماً عن السعي إلى بيت صاحبه الصديق إما بكرة وإما عشية^(١).

ففرّوا إلى الله

هكذا جاء الوحي بصورتها إلى رسول الله ﷺ وأخبره بأنها زوجته في الدارين... وظلت عبائشة رضي الله عنها على الرغم من صغر سنها - تحلم باللحظة الخالدة التي تدخل فيها بيت رسول الله ﷺ لتكون زوجة لسيد الأولين والآخرين وأماً للمؤمنين في كل وقت وحين.

* وفي تلك المرحلة الصعبة اشتد إيذاء المشركين بأصحاب الحبيب ﷺ حتى أشار عليهم بالهجرة إلى

(١) عبائشة بنت أبي بكر / د: علي عبد المنعم (ص ٧) ط: سفير.

المدينة المنورة فنزلوا في رحاب الأنصار الذين تبوءوا الدار
والإيمان . . . وبعد فترة يسيرة أذن الله عز وجل لرسوله
الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ليقيم للإسلام دولة في
تلك التربة المباركة .

الهجرة المباركة

ولما تم اتخاذ القرار الغاشم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم نزل إليه
جبريل بوحي ربه - تبارك وتعالى - ، فأخبره بمؤامرة
قريش ، وأن الله قد أذن له في الخروج ، وحدد له وقت
الهجرة قائلاً: لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت
تبيت عليه^(١) .

على رضي الله عنه ينام مكان النبي صلى الله عليه وسلم

في ليلة الهجرة

وفي ليلة الهجرة اجتمع المشركون على باب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يراقبونه حتى إذا نام انقضوا عليه وقتلوه جميعاً .
فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم مكانهم أمر علي بن أبي طالب

(١) ابن هشام (١/٤٨٢) ، وزاد المعاد (٢/٥٢) .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أن ينام مكانه وأخبره بأنه لن يحدث له مكروه ولن يصيبه أذى. ثم أمر عليًا بأن يرد كل الودائع والامانات التي عنده لأصحابها.

* ويا له من أمرٍ عجيب فقد كانت قريش تحارب النبي ﷺ، وتحارب دعوته، وتريد أن تقتله... لكن الواحد منهم إذا كان عنده شيء ثمين يريد أن يحفظه فإنه كان يتركه وديعة عند رسول الله ﷺ.

* وهنا ألقى الله النوم على هؤلاء المتأمرين فناموا. ثم خرج النبي ﷺ أمامهم بعد أن أخذ حفنة من التراب ووضعها فوق رؤوسهم، وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١).

ثم ذهب رسول الله ﷺ إلى دار أبي بكر الذي جهز نفسه للهجرة مع رسول الله ﷺ.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً.

(١) سورة يس: الآية: (٩).

قال: خيَّكم الله، قد والله، خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون، فيرون علياً على الفراش.

فظنوا أن النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما زال نائماً مكانه... فدخلوا وكشفوا الغطاء فوجدوا على بن أبي طالب فسألوه عن مكان النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: لا أدري قد تركني هنا لأرد إليكم أماناتكم.

فقالوا: لقد صدقنا هذا الرجل الذي أخبرنا بخروج محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبدأت هجرة الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وذهب النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أبي بكر وأخبره بأن الله قد أذن له بالهجرة ففرح أبو بكر حتى بكى بكاء شديداً من شدة الفرح.

وأعدَّ أبو بكر الراحلتين وأعدَّ الزاد والماء وبدأت رحلة الهجرة التي كانت أعظم حدث في تاريخ الإسلام والمسلمين.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وأخرج النبي ﷺ من مكة ومعه أبو بكر الصديق
 حتى وصلوا إلى غار قريب من مكة. وهو غار
 «ثور» فدخل أبو بكر الغار حتى يطمئن على أنه ليس فيه
 شيء يؤذي النبي ﷺ. فلما دخل إلى الغار مسبحه ونظفه ووجد في جدار
 الغار بعض الفتحات فقام وسدها كلها ما عدا واحدة فما
 كان منه إلا أن جلس على الأرض وسدها بقدمه ثم نادى
 على الرسول ﷺ ليدخل الغار آمناً مطمئناً.
 ودخل النبي ﷺ وأراد أن ينام ويستريح فوضع
 رأسه على رجل أبي بكر ونام به. لنفسه. فلما
 وفي تلك اللحظة جاء ثعبان أو عقرب ولدغ أبا بكر
 ومع ذلك لم يوقظ الرسول ﷺ من نومه واشتد الألم
 على أبي بكر فبكى بلا صوت ونزلت دموعه على خد
 النبي ﷺ. فاستيقظ النبي ﷺ وسأله: «ما بك يا أبا
 بكر؟» فبكى وأجاب: «يا رسول الله ما لدغني
 قال: لدغت يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «ولماذا لم تخبرني؟» فبكى وأجاب:
 فقال أبو بكر: خشيت أن أوقظك وأنت بحاجة إلى

النوم لكي تستريح يا رسول الله. في كل ليلة تنصت
فقام النبي ﷺ فبصق على قدم أبي بكر فشُفيت
بإذن الله ودعا له النبي ﷺ بالجنة.

* وفي هذه اللحظة كان المشركون يتبعون آثار أقدام
الرسول ﷺ وصاحبه... وبحسوا عنهما في كل مكان
حتى وصلوا إلى الغار الذي كان فيه النبي ﷺ وأبو
بكر. في رواية أخرى: لما دخلوا الغار
فنظر أبو بكر إلى أقدام المشركين فقال: يا رسول الله لو

نظر أحدهم تحت قدميه لرأنا. في رواية أخرى: لما دخلوا
فقال له النبي ﷺ بكل ثقة ويقين: يا أبا بكر ما ظنك
بأثنين الله ثالثهما.

* لقد حفظ الله نبيه ﷺ وأعمى أبصار المشركين
عن رؤية النبي ﷺ وصاحبه رغم أنهم كانوا على بُعد
أمتار قليلة منهما. في رواية أخرى: لما دخلوا الغار
* ومكث النبي ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام.

وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتي بالطعام إليهما وكانت
قد شقت نطاقها ^(١) نصفين فجعلت الطعام في أحدهما
(١) النطاق: هو حزام تربطه المرأة على وسطها.

أدعية المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وربطت وسطها بالآخر ولذلك سماها النبي ﷺ بذات النطاقين وقال لها: «أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة».

* وكان عبد الله بن أبي بكر يأتي كل ليلة ويبيت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر فإذا أصبح الصباح عاد إلى مكة وكأنه كان فيها لم يخرج منها حتى يستمع إلى كلام المشركين وما يدبرونه للنبي ﷺ وصاحبه ثم يعود إلى الغار في الليل ليخبر النبي ﷺ بكل ما سمعه.

* وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يخرج بالأغنام لتمسح آثار أقدامها آثار عبد الله بن أبي بكر فلا يعرف أحد شيئاً عن ذهابه إلى النبي ﷺ ولا يشك أحد في أمره.

* وكان النبي ﷺ وأبو بكر قد استأجرا رجلاً كافراً اسمه (عبد الله بن أريقط) ليدلّهما على الطريق فقد كان ماهراً بالطريق يحفظ طرق الصحراء وشعابها. وكانا قد دفعا إليه الراحلتين وواعدها أن يأتي إليهما بالراحلتين في غار ثور بعد ثلاثة أيام.

* ولما وصل عبد الله بن أريقط انطلق معه النبي

رضي الله عنه وأبو بكر وعامر بن فهيرة... وبدأت الرحلة إلى المدينة المنورة.

محبة تفوق الخيال

* وكان أبو بكر يسير أمام النبي صلى الله عليه وسلم مرة وخلفه مرة وعن يمينه مرة وعن يساره مرة فتعجب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «ما لك يا أبا بكر؟»

فقال أبو بكر: يا رسول الله أذكر الطلب - أي الكفار الذين يطاردونك - فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد - أي الجواسيس الذين يرصدونك ويُعدون لك الكمائن - فأمشى أمامك وعن يمينك وعن شمالك فأنا أخشى عليك منهم يا رسول الله.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر لو كان هناك أذى ينتظرني لأحببت أن يكون بك دوني؟»

فقال أبو بكر: أجل يا رسول الله... فلئن قُتلتُ أنا فإنما أنا رجلٌ واحد... ولئن قُتلت أنت ضاعت الأمة كلها.

* وبينما هم في الطريق إذ أحسَّ النبي صلى الله عليه وسلم بشيء

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

من التعب فنظر أبو بكر حتى رأى ظل شجرة ففرش للنبي ﷺ تحت ذلك الظل ثم قال للنبي ﷺ : اضطجع هنا يا رسول الله... فاضطجع النبي ﷺ .

ثم ذهب أبو بكر يبحث ويرى إذا كان هناك أحدٌ من المشركين يتبعهم فوجد راعي غنم فسأله: يا غلام هل عندك من لبن؟ قال: نعم. فأمره أبو بكر أن يحلب له بالأجر ثم أمره أن ينفض ضرعها من الغبار وأن ينفض كفيه من التراب ثم حلب اللبن وأخذه أبو بكر وانتظر حتى استيقظ النبي ﷺ فقال له: اشرب يا رسول.. فشرب.. ثم قال له: اشرب.

يقول أبو بكر: فشرب النبي ﷺ حتى ارتوى... يا له من حب لا يخطر على قلب بشر.

وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة

وفي المدينة كاد القلق يفتك بالمهاجرين من مكة، والأنصار من أهل المدينة، إنهم يخرجون كل يوم ينتظرون رسول الله ﷺ وأبا بكر، ثم يعودون مرة أخرى. ولا زالت الأوهام تطاردهم، فربما استطاع المشركون

قتل رسول الله أو العُشُور عليه، وما زالت ألسنتهم
وقلوبهم تدعو لرسول الله بالنَّجاة، وأوشك بعضهم أن
يموت من فرط الانتظار.

كل هذا ورسول الله في الطَّرِيق... وفي هذه
اللحظات اقترب ركبُ رسول الله من الدُّخول إلى المدينة،
فإذا بيهودي كان على نخلة له؛ يرى رسول الله، حتى
عرفه بصفته وعلامته، فقال:

يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، هَذَا نَبِيِّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.
وارتفعت صيحات التكبير في كُلِّ مَكَانٍ.

* وبعد الجمعة دخل النبي صلوات الله عليه المدينة ومن ذلك
اليوم سُميت بلدة يثرب بمدينة رسول الله صلوات الله عليه...
ونزل النبي صلوات الله عليه في دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

وبعد أيام وصلت إليه زوجته سودة، وبناته فاطمة وأم
كلثوم، وأسامة بن زيد، وأم أيمن، وخرج معهم عبد الله
ابن أبي بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة، وبقيت زينب
عند أبي العاص، لم يُمكنها من الخروج حتى هاجرت
بعد بدر ^(١).

(١) زاد المعاد (٢/٥٥).

الزواج المبارك

وتأتى موقعة بدر التى كتب الله فيها النصر للموحدين فكانت الفرحة تغمر قلب النبي ﷺ وأصحابه... وما إن مضى شهر رمضان وجاء شهر شوال حتى تجددت الفرحة فى قلوب المسلمين فلقد بنى النبي ﷺ بعائشة لتكتمل السعادة فى قلوب الموحدين ولتصبح عائشة زوجة لرسول الله ﷺ وأما للمؤمنين... ويا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

* وفى هذا اليوم السعيد اجتمع الناس فى بيت أبى بكر رضي الله عنه وكانت الفرحة تعلو وجوههم وتملأ قلوبهم.
* وأما عن تفاصيل تلك المناسبة التاريخية السعيدة فتعالوا بنا لتتعاش معها:

فإنه ما إن وصلت عائشة إلى المدينة، واستراحت من وعثاء السفر ومشقته، حتى هاجمها المرض، فمرضت مرضاً طويلاً شديداً، أتعبها وأرهقها، وجعل والديها يخافان من المرض على سلامتها، حتى كان أبو بكر يدخل إلى ابنته كل يوم يعودها ويقبلها وهو يقول: كيف أنتِ

اليوم يا بنية؟! **بسم الله الرحمن الرحيم**
 وبعد أن عوفيت عائشة واستردت صحتها، وعاد إلى
 وجهها لونه الطبيعي، سار أبو بكر إلى محمد صلوات الله
 يقول: يا رسول الله ما يمنعك أن تبني بأهلك؟! ..
 فحدد له النبي صلوات الله موعداً للزفاف.

وقد كان يوم زفاف عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلوات الله
 يوماً عزيزاً على نفسها فتحدثت عن هذا اليوم قائلة:
 تزوجني رسول الله صلوات الله لست سنين، وبنى بي وأنا
 بنت تسع سنين.

قالت: فقدمنا المدينة فوعكت شهراً، فأتتني أم رومان،
 وأنا على أرجوحة ومعى صواحيبي، فصرخت بي فأتيتهما،
 وما أدري ما تريد بي، فأخذت يدي، فأوقفتني على
 الباب.

وإني لأنهج حتى سكن نفسي... ثم غسلت وجهي
 ومسحت شعري، وأسلمتني لأسماء بنت يزيد فأصلحت
 شأني وهياتني وغسلت رأسي ثم قدمتنى أمي إلى رسول
 الله صلوات الله.



وهكذا دخلت بيت النبوة

وهكذا دخلت عائشة رضي الله عنها بيت النبوة - وهو خير بيت في هذا الكون الفسيح على الرغم من تواضعه - إنها حجرة صغيرة إلا أن صاحبها عليه السلام مؤيد بالوحي من السماء... إنها ليست مجهزة بمتاع الدنيا الزائل إلا أن صاحبها عليه السلام نشر عبير القرآن والسنة على الأرض كلها فكانت الهداية التي منحها الله لمن شاء من عباده تخرج من هذه الحجرة المباركة.

لقد عاشت أمنا عائشة رضي الله عنها في رحاب الحبيب عليه السلام تنهل من أخلاقه وعلمه وورعه وحلمه وهديه، فكانت شمساً في دنيا الناس لا يستغنى عنها القريب ولا البعيد.

السعادة ترفرف على هذا البيت المبارك

* والآن تعالوا بنا لنستأذن على أمنا الحبيبة عائشة رضي الله عنها لنعيش بعض اللحظات في رحاب البيت النبوي المبارك - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - .

كانت السعادة ترفرف على بيوت النبي عليه السلام على الرغم من حياة التقشف التي عاشها النبي وأهله، فقد

كانت تمر الأيام والأسابيع ولا تُوقد في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم نار، وإنما كانوا يأكلون الأسودين: التمر والماء. حياة رقيقة حياة سعيدة؛ ما دام القلب موصولاً بالله، حياة رقيقة مع الشظف والفاقة، سعيدة بالعطف الذي يغمر به الحبيب المصطفى (صاحب القلب الكبير)، حتى صار حطام الدنيا عند أهله ومن لاذ به لا يساوي مثقال ذرة من هباء. وهذا ما جعل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها سيدة في كل مكرمة، ولكل مكرمة؛ سيدة في السخاء، وفي الزهد، وفي كل فضيلة، وإن تاريخها الوضيء ليحكى تلك المكارم التي اقتبستها من البيت النبوي، واحتضنتها حتى آخر نفس من حياتها. لندخل أعماق السيدة الأم العظيمة أمنا عائشة رضي الله عنها، ولندخل معها - إن أذنت - بيتها الطاهر الموفق وكيف لا وقد أطلق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم موفقة... لندخل الحجرة النبوية التي خصصت لعائشة رضي الله عنها. منذ الأيام الأولى لزواج عائشة رضي الله عنها، أحببت أن تحتل مكان خديجة في البيت المحمدي الطاهر، وأن تأخذ مكان الطاهرة خديجة في قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم منذ أول أيامها.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

لكن أوفى الأوفياء الرسول الكريم ﷺ كان مخلصاً لخديجة رضي الله عنها، فمقامها ومكانتها لم ولن تشارك فيه امرأة أخرى مهما علا شأنها ومهما ومهما... ولقد سبق عائشة إلى البيت النبوي زوجة أخرى هي سودة بنت زمعة العامرية، وكانت قد تجاوزت مرحلة الصبا، وكان زواجه رضي الله عنها منها - بالإضافة إلى أنه وحى - زواج عطف ومودة ومواساة، وحكمة محمدية تنضح بالرحمة التي أرسلها الله للعالمين. كانت عائشة رضي الله عنها تحب رسول الله ﷺ، وترجو أن يكون لها ولد منه، كما كان لخديجة، ولكن الأيام مرت دون أن تنجب، إلا أن رسول الله ﷺ قال لها: «اكتني بابن أختك عبد الله - يعنى ابن الزبير - أنت أم عبد الله»^(١) فكانت كنيته أم عبد الله^(٢).

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد (٦/١٥١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في

السلسلة الصحيحة (١٣٢).

(٢) نساء أهل البيت (ص: ١١٩-١٢٠).

البيت المبارك

أنزلت السيدة عائشة رضي الله عنها منزلاً مباركاً في حجرة ملاصقة لمسجد رسول الله صلوات الله عليه وآله في المدينة، وهي واحدة من حُجرات بناها صلوات الله عليه وآله بنفسه عندما بنى المسجد بعد وصوله للمدينة، وهذه الحجرة المباركة لم تكن كأي حجرة أو مسكن، فهي مهبط الوحي، ومنبع العلم وفي هذه الحجرة المباركة دُفن النبي صلوات الله عليه وآله وصاحباؤه أبو بكر وعمر، فهي قبر الرسول صلوات الله عليه وآله.

وتحدثت عائشة عن بركة مسكنها وحجرتها في حديث لها أخرجه الترمذي في المناقب، تقول رضوان الله عليها: أعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتى حتى أمر رسول الله صلوات الله عليه وآله أن يتزوجنى.

ولقد تزوجنى بكراً، وما تزوج بكراً غيرى.

ولقد قبض ورأسه فى حجرى.

ولقد قبرته فى بيتى.

ولقد حفّت الملائكة بيتى.

وإن كان الوحي لينزل عليه وإنى لمعه فى لحافه.. (١).
وكانت حجرات النبى ﷺ تسع حجرات، كان منها
أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد النخل، وكانت
خمس أبيات من جريد مطينة لا حجر لها.
وقد ضُمت الحجرات إلى المسجد إلا حجرة السيدة
عائشة، فقد بقيت لأن فيها دُفن النبى ﷺ وصاحبه،
ولا تزال إلى الآن فى ظلال القبة الخضراء، فيها دُفن
رسول الله ﷺ.

وقد كانت حجرة عائشة رضي الله عنها ومسكنها مهبطاً للوحي
فقد شرفت تشريقاً عظيماً بنزول كثير من القرآن الكريم
على النبى ﷺ فيها. وكان باب حجرة عائشة يؤدى
إلى المسجد مباشرة. رسالة
ويروى أن النبى ﷺ كان يجلس بقرب باب غرفة
عائشة فيمد رأسه الشريف من خلاله إلى عائشة رضي الله عنها
وهى فى حجرتها لتغسله له.

وإذا كنا نتحدث عن هذا الشرف العظيم والمكانة
الرصينة لبنت أبى بكر رضي الله عنه، فلا تغفل أن جبريل عليه

(١) سير أعلام النبلاء (٢/١٤١).

السلام كان يجيء إلى هذه الغرفة المباركة. رضي الله عنها **وها هو النبي ﷺ ينادي عائشة رضي الله عنها ويقول: «يا عائش، هذا جبريل وهو يقرأ عليك السلام».** رضي الله عنها **قالت:** وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا ترى يا رسول الله ^(١). رضي الله عنها هذه الحياة الطاهرة الطيبة لم تكن في قصر مهيب، ولا في بناء رحيب، بل كانت في حجرة متواضعة بنتها يد النبي الشريفة، وعاشت فيها الأسرة النبوية الكريمة، حياة الطاعة وأيام الإيمان، وما زالت تلقى في مكانها تحية الزائرين لرسول الله ﷺ، فيقفون أمام هذا المكان الطاهر الذي دُفن فيه محمد ﷺ ليلقون عليه تحيته الواجبة ويصلون عليه ويسلموا تسليماً. رضي الله عنها ولم تكن حجرة عائشة رضي الله عنها إلا كبنائها متواضعة الأساس، فقد كان فراش رسول الله ﷺ جلدًا حشوه ليف ولم يكن لعائشة رضي الله عنها غير فراش واحد. وكان إذا ما أهدى لعائشة فراش حشوه صوف رده رسول الله ﷺ،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢١٧) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٤٤٧) كتاب فضائل الصحابة.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

ولو أراد ﷺ لمسكنه حريراً وذهباً لأجيب. **سنة ١٠**
 وها هي امرأة من الأنصار تدخل على عائشة، فترى
 فراش رسول الله ﷺ، قطيفة مثنية، أخف من
 الصوف، فبعثت هذه الأنصارية إلى عائشة بفراش حشوه
 صوف، فدخل رسول الله ﷺ على عائشة فقال: «ما
 هذا يا عائشة؟» **سنة ١١**

قالت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت فرأت
 فراشك، فذهبت فبعثت إليّ بهذا... **سنة ١٢**
فقال ﷺ: «رُدِّيهِ يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله
 معي جبال الذهب والفضة» **(١)**. **سنة ١٣**

فلم يكن ﷺ مشغولاً بجمال أو متاع، بل كانت
 رسالته هي ماله ومتاعه. **سنة ١٤**

سنة ١٥ * **سنة ١٦** * **سنة ١٧**
سنة ١٨ * **سنة ١٩** * **سنة ٢٠**
سنة ٢١ * **سنة ٢٢** * **سنة ٢٣**

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١ / ٤٦٥)، وأبو الشيخ في
 «أخلاق النبي ﷺ» (ص ١٦٦ - ١٦٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه
 الله في الصحيحة (٢٤٨٤).

حب النبي صلوات الله عليه لعائشة

لقد كانت عائشة رضي الله عنها تحتل مكانة عظيمة في قلب النبي صلوات الله عليه فلقد أحبها حباً جماً وكان يخبر الناس بحبه لعائشة .

فقد سأله ذات مرة عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال له: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة».

قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» ^(١).

* وتساءله عائشة ذات مرة وتقول له: من من أزواجك في الجنة؟ قال صلوات الله عليه: «أما إنك منهن» ^(٢).

* وما هي تقول له مرة أخرى: من أحب الناس إليك؟

فقال لها النبي صلوات الله عليه: «ولم؟».

قالت: لأحب من تحب .

فقال: «عائشة» ^(٣).

بل ويدخل النبي صلوات الله عليه عليها مرة فوجدتها تبكي فقال لها: «ما يبكيك؟» قلت: سببتني فاطمة... فدعا فاطمة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٣٥٨) كتاب المغازي، ومسلم (٢٣٨٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (١٣/٤)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فقال: «يا فاطمة سببت عائشة؟» قالت: نعم يا رسول الله، قال: «أليس تحبين من أحب؟» قالت: نعم قال: «وتبغضين من أبغض؟» قالت: بلى، قال: «فإني أحب عائشة فأحبها» قالت فاطمة: لا أقول لعائشة شيئاً يؤذيها أبداً^(١).

وكان عليه السلام طالما يؤكد هذا الحب لزوجته الصبية الصغيرة، فيقول عليه السلام لعائشة رضوان الله عليها: «حُبُّك يا عائشة في قلبي كالعروة الوثقى!».

وكانت رضوان الله عليها تسأل زوجها بين الحين والآخر: أما زالت العروة الوثقى يا رسول الله.

فيجيبها صلوات الله وسلامه عليه: «إنها باقية لم تتبدل ولم تتغير».

هكذا كان حُب الرسول عليه السلام لعائشة منذ أن تزوجها وهي صبية صغيرة، وهكذا ظلَّ حتى مات عليه السلام، وتخير الرفيق الأعلى من الجنة.

كان عليه السلام يشمل عائشة رضي الله عنها برفقه وعطفه، فكان

(١) قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٣١١): رواه أبو يعلى والبيهقي باختصار وفيه مجالد وهو حسن الحديث وريقة رجاله رجال الصحيح.

رفيقاً بها كل الرفق، عطفاً عليها كل العطف، معجباً بها كل الإعجاب، وكان من رفقته بها أنه لم يجرها قط وهي صغيرة عن لعب لعبته، أو لهو أخته... ذلك ما روته عائشة بنفسها حين قالت: كنت أَلعب بالبنات^(١)، فيجىء صواحيبي فيختبئن من رسول الله ﷺ، فيخرج رسول الله ﷺ فيدخلن عليّ، وكان يسربهن إليّ، فيلعبن معي^(٢).

وكان ﷺ إذا دخل عليها ووجد معها صاحبات لها يلعبن معها خرج حتى لا يعكر عليهن اللعب. وكان ﷺ فوق ذلك يعمل على ألا يحرمها من شيء تنوق نفسها لرؤيته حتى اللعب، بل كان يعمل على مساعدتها في ذلك، فقد أقام بيابها يوماً يسترها بردائه حتى تنظر من بين أذنيه وعاتقه على جماعة من الحبشة يلعبون بالخراب، فظل كذلك حتى أشبعت عائشة شوقها، وكفّت رغبتها من التفرج، فقام من أجلها حتى تنصرف. وذات يوم خرجت عائشة رضي الله عنها مع النبي ﷺ في

(١) البنات: هي العرائس التي تلعب بها البنات.

(٢) مستفق عليه: رواه البخاري (٦١٣) كتاب الأدب، ومسلم (٢٤٤٠) كتاب فضائل الصحابة.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أحد أسفاره، فأغراها الفضاء ومنظر الصحراء المترامية الأطراف، أغراها هذا المنظر الممتد بأن تجرى وتمرح، فتسابت مع الرسول ﷺ فسبقته، فلما كانت في سفرة أخرى، وكانت عائشة قد نمت وامتلاً جسمها، تسابت مع الرسول ﷺ فسبقتها، فجعل الرسول ﷺ يضحك ويقول لها: «هذه بتلك!!»^(١).

وكان من عطفه ورقته صلوات الله وسلامه عليه، أنه كان إذا دخل عليها وهي نائمة خرج بهدوء لئلا يقطع عليها نومها^(٢).

وانك لعلى خلق عظيم

وكانت عائشة رضي الله عنها ترى أخلاق النبي ﷺ التي يعجز القلم عن وصفها... وحسبه قول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

(١) أخرجه الحميدي في مسنده (ق ٤٢ / ٢) وأبو داود (٢٥٧٨) والنسائي في

عشرة النساء (ق ٧٤ / ١)، وابن ماجه (١٩٧٩) مختصراً، وأحمد (٦ /

٣٩ / ٢٦٤)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٣١).

(٢) أزواج النبي (ص: ١٥٣-١٥٤) بتصرف.

(٣) سورة القلم: الآية: (٤).

عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط فانتقم من صاحبه، إلا أن يُتَهَكَّ شيء من محارم الله، فينتقم ^(١).

وكان ﷺ على الرغم من كثرة انشغاله بالعبادة وبهموم الأمة المسلمة إلا أنه كان زوجاً مثالياً، مُحالاً أن نجد له مثيلاً في الدنيا كلها... فلقد كان يساعد أهله في عمل البيت - في الوقت الذي يستنكف فيه أحدنا أن يُحضر لزوجته كوباً من الماء أثناء مرضها -.

سُئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج ^(٢).

دروسٌ غالية

وها هو ﷺ يتعهدنا بالتربية والرعاية والتعليم... فكان يُعلمها دائماً أن الرفق والرحمة سبب في كل خير.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٢٨) كتاب السمائل.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٥٣٦٣) كتاب النفقات.

عن شريح بن هانئ قال: ركبت عائشة بعيراً، فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده، فقال لها رسول الله ﷺ: «عليك بالرفق فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١).

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم. قالت: عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام^(٢) واللعنة. فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله» فقلت: يا رسول الله، أو لم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله ﷺ: «قد قلت وعليكم»^(٣).

تجرد وإنصاف

وكان الحبيب ﷺ لا يجامل أحداً في دين الله عز وجل بل كان لا تمنعه محبته لأي شخص من أن يكون منصفاً.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب.
(٢) السام: الموت، وقيل: هو الموت العاجل.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٢٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام.

وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم مشيرة إلى قصر أم المؤمنين صفية بنت حسي رضي الله عنها . . . حسبك من صفية هكذا (تعني أنها قصيرة)، فماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة أحب امرأة إليه؟! قال صلى الله عليه وسلم : «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»^(١).
 فمع محبته لها صلى الله عليه وسلم لم يتركها تخوض في عرض أختها المسلمة وتغتابها.

غيرتها على الحبيب صلى الله عليه وسلم

لقد كانت أمنا عائشة رضي الله عنها تحب النبي صلى الله عليه وسلم حباً جماً وتغار عليه غيرة شديدة. ولقد كانت عائشة مُحقة في غيرتها على النبي صلى الله عليه وسلم . . . فهو خير الأزواج . . . كان سهلاً لنا طيب العشرة يخرج مع أزواجه ويعاملهن معاملة في قمة اللطف والرحمة.

(١) أخرج الترمذي بإسناد صحيح (٢٥٠٢) عن عائشة قالت: . . . فقلت: يا رسول الله إن صفية امرأة، وقالت بيدها هكذا كأنها تعني قصيرة فقال: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزج».

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وفي ذلك تقول عائشة ؓ: أتيت النبي ﷺ بخزيرة قد طبختها له فقلت لسودة - والنبي ﷺ بيني وبينها - : كُلى . فأبت فقلت : لتأكلين أو لألطنن وجهك ، فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فطلبت وجهها ، فضحك النبي ﷺ فوضع بيده لها وقال لها : «الطخي وجهها» ففعلت ، فضحك النبي ﷺ فمرَّ عمر فقال : يا عبد الله يا عبد الله فظن أنه سيدخل فقال : «قوما فاغسلا وجوهكما» . فقالت عائشة : فما زلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ (١) .

*وها هي أمنا عائشة تحكي أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت : فغرت عليه ، فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : «مالك يا عائشة ! أغرت؟» ، فقلت : وما لى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أقد جاءك شيطانك؟» ، فقلت : يا رسول الله ! أو معى شيطان؟ قال : «نعم» ، قلت : ومع كل إنسان؟ قال : «نعم» ، قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : «نعم ولكن ربي أعاننى عليه حتى أسلم» (٢) .

(١) صحيح: «مسند أبي يعلى» (٧/٤٤٩)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣١٣١) .

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨١٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار .

* وفي يوم من الأيام كان النبي صلى الله عليه وسلم عند عائشة، وبينما هو جالس مع بعض أصحابه عند عائشة إذ أرسلت إحدى أمهات المؤمنين إناءً فيه طعام... فلما فتحت عائشة الباب ووجدت الطعام علمت أن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم تريد أن يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن طعامها أجود من طعام عائشة.. فغارت أمنا عائشة وكسرت الإناء... فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن قال للصحابة: «غارت أمكم» ثم جمع النبي صلى الله عليه وسلم الإناء المكسور وطلب من عائشة أن تُعد طعاماً في إناء آخر وترسله لصاحبة الإناء ليكون طعاماً بطعام وإناءً بإناء^(١). رواه الشيخان في الصحيحين

غيرتها من خديجة رضي الله عنها

لقد علمنا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب خديجة حباً جماً. فلما ماتت أرسل الله جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم بصورة عائشة ليعلم أنها ستكون زوجته... وتقر الأيام ويتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ويحبها النبي صلى الله عليه وسلم حباً جماً... وكانت هي أيضاً تحبه حباً لا يخطر على قلب بشر.

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٢٢٥) كتاب النكاح.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وكانت تراه يحبها ويرفق بها ويعمل كل ما في وسعه من أجل إسعادها ولطالما أسمعها كلمات الحب الجميلة التي جعلتها تشعر وكأنها تطير فوق السحاب. لكن مع ذلك . . . ما بالها تسمع النبي ﷺ يُثنى على خديجة كثيراً وكانت تتساءل وتقول: إن خديجة امرأة كبيرة في السن، وماتت منذ سنوات، ومع ذلك فهو لا يكف عن ذكر محاسنها وفضائلها حتى إنه ليفرح كل الفرح إذا سمع أحداً يذكرها بخير ويفرح إذا رأى أحد أقاربها أو إحدى صديقاتها. **وكان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا إلى أصدقاء خديجة».**

* ولذلك كانت عائشة تغضب كثيراً إذا سمعت النبي ﷺ يثنى على خديجة وكان قلبها يعتصر ألماً لذلك وتعالوا بنا لنرى ماذا كانت تقول عائشة عن غيرها من خديجة رضي الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان رسول الله ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت

له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول :
«إنها كانت وكانت... وكان لي منها ولد»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أيضا - أنها قالت: ما غرت على نساء
النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة. وإني لم أدركها. قالت:
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: «أرسلوا بها
إلى أصدقاء خديجة». قالت: فأغضبته يوماً فقلت:
خديجة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني رزقت جها»^(٢).

وعن عائشة قالت: دخلت امرأة سوداء على النبي
صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليها. قالت: فقلت: يا رسول الله،
أقبلت على هذه السوداء هذا الإقبال! فقال: «إنها كانت
تدخل على خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها أيضا - أنها قالت: «استأذنت هالة بنت
خويلد - أخت خديجة - على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف
استئذان خديجة، فارتاع لذلك فقال: «اللهم هالة».

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٣٨١٨) كتاب المناقب، ومسلم (٤٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة/ باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(٣) **حسن:** رواه أحمد، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٠٥٦).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

قالت: فغرت. فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها» (١).

فغضب محمد ﷺ من قول عائشة غضباً ما رأت عائشة محمداً قط يغضبه، وتغير وجهه تغيراً ما شاهدته عليه إلا عندما تعتربه شدة نزول الوحي عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء».

حينئذ كفت عائشة عن التعريض بخديجة رضي الله عنها، وقد رأت زوجها الحبيب يغضب كل هذا الغضب لأجلها، وإن ظلت من بعد ذلك رغم تعدد ضررائها، تردد قولها: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، لما كنت أسمعه يذكرها (٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٨٢١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٣٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أزواج النبي (ص: ١٦٣-١٦٤).

قصة العسل

تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش، بنت عمته، وكانت بارعة الجمال، وقد تزوجها النبي ﷺ بأمر من الله، مما جعلها لذلك تفخر على سائر نساءه بقولها لهن: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات. وتحت وطأة الغيرة راحت عائشة، تؤازرها حفصة تدبران حيلة تُبعدان بها الرسول ﷺ عن زينب بنت جحش، وقد رأته يحتبس عندها وقتاً أكثر مما يحتبس عند سائر نساءه، وذلك عندما يدور عليهن كل يوم يستطلع حالهن، ويسألهن حاجتهن.

واتفقت عائشة وحفصة - وأشركتا سودة في اتفاقهما هذا - على أيتهن يجيئها الرسول بعد خروجه من عند زينب تقول له: رائحتك مغاير^(١) (والمغاير طعام حلو ذو رائحة كريهة) وكان النبي يكره الرائحة الكريهة.

وجاء الرسول ﷺ، بعد خروجه من عند زينب، فلما أقبل عليها قالت: إني أشم رائحة مغاير، .. أكلت مغاير؟!

(١) انظر السمط الثمين (٨٠، ٨١).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فلما أتى حفصة قالت له ما قالت عائشة: أكلت مغافير؟؟
ولما جاء سودة وسألته: هل أكلت مغافير؟! .
قال: «لا».

قالت: فما هذه الريح؟! .

قال: «سقتني زينب شربة من عسل».

وحرم النبي ﷺ على نفسه العسل الذي كان يشربه
عند زينب، فيحتبسه عندها أكثر من غيرها .
وأحست سودة بالأسف والندم لما فعلت هي وعائشة
وحفصة، إذ حرم الرسول ﷺ من طعام كان يحبه،
فقالت لهما: سبحان الله! والله لقد حرمناه!
فردت عليها عائشة التي كانت غيرتها تغلبها على
أمرها: اسكتي!

وانتصرت عائشة على زينب، وحرمتها من احتباس
الرسول عندها أكثر مما يجب، وهو الوقت الذي كان
يقضيه في ارتشاف العسل^(١).



(١) أزواج النبي (ص: ١٧٠ - ١٧١).

أشركاني في سلمكما

كان كثيراً ما يشتد أبو بكر على عائشة رضي الله عنها، أو يُعنفها في أمر من الأمور، في سبيل راحة الرسول صلوات الله عليه، وكان الرسول صلوات الله عليه ربما يمنعه عنها، ويحول بينه وبين ابنته عائشة رضي الله عنها.
وقد حدث أن شكى النبي صلوات الله عليه يوماً عائشة إلى أبيها، فغضب أبو بكر على عائشة وضربها ضربة موجعة، فتألم الرسول صلوات الله عليه لذلك، وقال لأبي بكر لائماً: «غفر الله لك يا أبا بكر! ما أردت هذا...».
فلما انصرف أبو بكر أقبل صلوات الله عليه على زوجته الحبيبة عائشة يراضئها، ويطيب خاطرها وهو يقول: «ألا ترين أنني قد حُلت بين الرجل وبينك؟!»
وعاد أبو بكر رضي الله عنه فوجد الرسول صلوات الله عليه يضحك عائشة ويفاكهنها فقال: يا رسول الله، أشركاني في سلمكما كما أشركتماني في حربكما^(١).

رواه أبو داود - صحيح - * * * صحيح ابن ماجه

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٩٩) كتاب الأدب - وقال الأرنؤوط: إسناده قوي، ومصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٩٠١).

أدبها مع النبي ﷺ

ومع تلك الغيرة التي ملأت قلب أمنا عائشة لشدة حبها للنبي ﷺ إلا أنها كانت في قمة الأدب مع رسول الله ﷺ.

عن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عنى راضية، وإذا كنت على غضبي» قالت: فقلت: ومن أين تعرف ذلك؟

قال: «أما إذا كنت عنى راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد! وإذا كنت غضبي، قلت: لا ورب إبراهيم!» قالت: قلت: أجل: والله يا رسول الله! ما أهجر إلا اسمك^(١).

زهد عائشة رضي الله عنها

لقد نشأت عائشة في بيت أبيها الصديق ﷺ فتعلمت الزهد منه... نعم والله فهو الذي جعل ماله كله لله ولم يتعلق قلبه لحظة واحدة بحطام الدنيا الزائل. فلما تزوجها رسول الله ﷺ - سيد الزاهدين -

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٢٨) كتاب النكاح، ومسلم (٨٠) (٢٤٣٩) كتاب فضائل الصحابة.

بلغت عنده درجة الكمال في الزهد لأنها كانت ترى الزهد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في كل لحظة ورأت بعينها كيف ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم زهرة الحياة الدنيا واختار ما عند الله - جل وعلا - .

ولقد عرضت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند الله جناح بعوضه، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو كان لى مثل أحد ذهباً، لَسَرَنى أن لا تمرَّ علىَّ ثلاث لَيالٍ وَعَندى منه شىءٌ إلا شَيْئاً أَرُصُّدُهُ لَدِينِ» (١).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوِّفَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وما فى بَيْتى من شىءٍ يأكلُهُ ذُو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شَعِيرٍ فى رَفِّ لى، فأكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلىَّ، فَكَلَّتْهُ فَفَنَى (٢).

وعن عمرو بن الحارث أخى جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارث أمّ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٨٩) كتاب الاستقراض، ومسلم (٩٩١) كتاب الزكاة .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٥١) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٧٣) كتاب الزهد والرقائق .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

المؤمنين ﷺ، قال: «مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً» (١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثْرَفَى جَنْبَهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً، فَقَالَ: ﷺ «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَآكِبٍ اسْتَنْظَلَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» (٢).

وعن عائشة ﷺ، قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خَبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَينِ مُتَّابِعِينَ حَتَّى قُبِضَ (٣).

وفى رواية: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْذُ قَدَمِ الْمَدِينَةِ

(١) صحيح أخرجه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩) وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٦٨) والسلسلة الصحيحة (٤٣٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٧) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الشيخ الألبانى فى «صحيح الجامع» (٥٦٦٨) و«السلسلة الصحيحة» (٤٣٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٤١٦) كتاب الأطعمة، ومسلم (٢٩٧٠) كتاب الزهد والرفائق.

مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تَبَاعًا حَتَّى قُبِضَ. عن ابن أبي عمير
 وعن عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ
 يَا ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهَيْلَالِ ثُمَّ الْهَيْلَالِ ثُمَّ الْهَيْلَالِ
 ثَلَاثَ أَهْلَةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي آيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم نَارٌ. قُلْتُ: يَا خَالَهٗ فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ:
 الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
 جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ وَكَانُوا يَرْسَلُونَ إِلَى
 رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْبَانِهَا فَيَسْقِينَا ^(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لَمَّا حَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
 الْخَنْدَقَ، أَصَابَهُمْ جَهْدٌ شَدِيدٌ، حَتَّى رِبَطَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم
 عَلَى بَطْنِهِ حَجْرًا مِنَ الْجَوْعِ» ^(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ،
 فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَبَاءَةً مَثْنِيَّةً، فَرَجَعْتُ إِلَى
 مَنْزِلِهَا، فَبَعَثْتُ إِلَى بَفِرَاشِ حَشْوِهِ الصَّوْفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٢٥٦٧) كتاب الهيئة، ومسلم (٢٩٧٢) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) **صحيح:** رواه أحمد (٣/٣٠١)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري رجاله ثقات رجال الشيخين غير أيمن المكي والد عبد الواحد فمن رجال البخاري.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

رسول الله ﷺ ، فقال: «ما هذا؟» فقلت: فلانة الأنصارية دخلت عليّ، فرأت فراشك، فبعثت إليّ بهذا. فقال: «رُدِّيهِ» فلم أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «يا عائشة، رُدِّيهِ، والله لو شئت، لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة (١)» .

فلما تعايشت بقلبها وجوارحها مع زهد أبيها ﷺ وزهد زوجها الحبيب ﷺ كانت حياتها كلها صفحة ناصعة من الزهد في متاع الدنيا وزينتها وأصبح قلبها لا يتطلع إلا إلى رضوان الله (عز وجل) وجنته .

عن عائشة رحمها الله قالت: ما شبعت بعد النبي ﷺ من طعام إلا ولو شئت أن أبكى لبكيت وما شبع آل محمد ﷺ حتى قبض .

وعن عروة قال: رأيتها تقسم سبعين ألفاً وهي تُرْفَعُ درعها (٢) .

وقال عروة: (بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٣/٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٤٨٤).
(٢) الزهد/ للإمام أحمد (ص: ٢٠٥-٢٠٦).

درهم، فقسمتها، لم تترك منها شيئاً، فقالت بريرة: «أنت صائمة، فهلا اشتريت لنا منها بدرهم لحمًا؟» قالت: «لو ذكرتني لفعلت»^(١)، وعنه أيضا قال: «وإن عائشة تصدقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها» - رضى الله تعالى عنها -^(٢).

وعن عائشة قالت: جاءنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما ثمرة ورفعت إلى فيها ثمرة لتأكلها فاستطعمتها ابتساها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلوات الله عليه فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار»^(٣).

أختار الله ورسوله

كانت حياة النبي صلوات الله عليه متصلة بالعبادة وتبليغ الرسالة، ولم تكن الدنيا ومتاعها همًّا يهتم له رسول الله صلوات الله عليه، ولذلك فقد حمل شدة العيش أمهات المؤمنين فاجتمعن

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤٧/٢)، والحاكم (١٣/٤).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٤٥/٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٠) كتاب البر والصلة والآداب.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

على أن يسألن رسول الله ﷺ توسيع النفقة عليهن، فغضب عليه الصلاة والسلام منهن، واعتزلهن في مشربة له، - وهي غرفة عالية - ثم أمره رب العزة أن يخيرهن بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره ممن يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها، وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال، ولهن عند الله في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، فاخترن ﷺ الله ورسوله والدار الآخرة، . . . فأى خير أكمل من خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وتروى السيدة عائشة رضِيَ اللهُ عنها تخييرها عند نزول الآيات الكريمة، فقال ﷺ لعائشة: «إني ذاكرك أمراً فلا عليك ألا تعجلي حتى تستأمرى أبويك». **قالت:** قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه.

قالت عائشة: ثم قال عليه السلام: «إن الله عز وجل قال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعِكُنَّ وَأَسْرِحْكِنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)».

(١) سورة الاحزاب: الآيات: (٢٨ ، ٢٩).

قالت: أفي هذا أستمروا أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت: ثم فعل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت^(١).

لقد اختارت عائشة رضي الله عنها الله ورسوله والدار الآخرة، وتركت اختيار الحياة الدنيا وزيتها، وكذلك أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وقد أعد للمحسنات منهن أجراً عظيماً، لأنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة^(٢).

الصائمة العابدة

ولقد كانت أمنا عائشة رضي الله عنها يضرب بها المثل في العبادة فكانت تصوم العام كله ولا تُفطر إلا في يوم عيد الفطر أو الأضحى وكانت تقوم الليل تصلي وتبكي وكانت تُكثر من ذكر الله وقراءة القرآن وكانت تُردد الآية من الليل حتى الصباح وهي تبكي من خشية الله (جل وعلا).

(١) انظر تفسير ابن كثير للآية (٣/ ٤٨١)، والحديث متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٢) أزواج النبي (ص: ١٥٢).

جهادها

ولقد كانت رضي الله عنها حريصة كل الحرص على أن لا يفوتها أى طاعة تتقرب بها إلى الله عز وجل .
وبلغ حرصها على كل ما يقربها من الله (عز وجل) أن استأذنت من الرسول صلى الله عليه وسلم لكى يأذن لها بالجهاد فى سبيل الله - من كثرة ما سمعت عن فضائل الجهاد والمجاهدين .

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم

فى الجهاد فقال: «جهادكن الحج»^(١) .

لقد كانت عائشة رضي الله عنها مثلاً يُحتذى وقدوة يُقتدى بها فى جهاد النساء، فضربت المثل على مشاركة المرأة المسلمة فى صدر الإسلام فى تحمل بعض أعباء الجهاد بما يتناسب وتكوين المرأة المسلمة .

ففى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم خرجت عائشة رضي الله عنها وكثير من النسوة من نساء وبنات الصحابة رضوان الله عليهم، . . . وكل عمل النساء الغالب فى الجهاد فى سبيل

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٧٥) كتاب الجهاد والسير .

الله ينحصر في سقى الماء، وتمريض الجرحى، وإخلاء القتلى، وقد تطور الأمر فشاركت بعض النسوة في القتال فعلاً مثل أم عمارة رضي الله عنها، وصفية بنت عبد المطلب عمه النبي صلوات الله وسلامه عليه.

وبدأت مشاركة عائشة رضي الله عنها في الجهاد بعد غزوة بدر.

في غزوة أحد

جاءت غزوة أحد وخرج الرسول صلوات الله وسلامه عليه لقتال المشركين، وخرجت عائشة مع النساء تسقى الجرحى وتحمل قِرب الماء على عاتقها، لتفرغها في أفواه المجاهدين وفي ذلك يتحدث أنس بن مالك فيقول: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم لمشمرتان، أرى خدام سوقهما تنقلان القِرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواههم، ثم ترجعان فتملأنها ثم تحيثان تفرغانه في أفواه القوم (١). هكذا كانت عائشة مجاهدة في سبيل الله خلف زوجها النبي صلوات الله وسلامه عليه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٨٠) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨١١) كتاب الجهاد والسير.

قصة الإفك

لم تسترح نفوس المنافقين الذين رأوا انتصارات الإسلام تتوسع يوماً بعد يوم، ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحسر وتتلاشى إلى أن مقتهم مجتمعهم، فأرادوا بزعمهم أن يوجهوا ضربة قاصمة إلى النبي الكريم ﷺ، فرموا أمنا الطاهرة الصديقة بنت الصديق بالبهتان العظيم.

وكان عبد الله بن أبي ابن سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام وطفق يکید للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى، ولكن حكمة الله سبحانه كانت له وللمنافقين بالمرصاد، فكانت تلجمهم وتكبتهم.

نعم إن الابتلاء سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير... ولكن الابتلاء الذي تعرضت له أمنا عائشة رضي الله عنها كان ابتلاءً يفتت الصخور والجبال ويعصف بالقلوب، فلقد اتهمت في أعز شيء تملكه المرأة - اتهمت في عرضها -!!!. إن هذا لهُو البلاء العظيم.. عائشة رضي الله عنها تُتهم في عرضها، وهي الزهرة التقية النقية التي نبتت في حقل الإسلام وسقيت

بمَاء الوحي... ورسول الله ﷺ يُتهم في عرضه وهو القائم على صيانة حُرُمات الأمة وأعراض المسلمين... والصدِّيق رضي الله عنه يُتهم في عرض ابنته الغالية!!! .
 وكان لحديث الإفك وَقَع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . . . ومرت عليها وعلى البيت النبوي الطاهر والبيت البكري الصادق أوقات قاسية حرجة، امتدت إلى شهر من الزمن، حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للضعيفة الصدِّيقة بنت الصدِّيق، وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذي رُمى بالحديث الآثم، كما وسمت المنافقين بميسم الزور والبهتان الذي ظل يلاحقهم إلى النهاية^(١).

بركة عائشة ونزول آية التيمم

ومن بركات أمنا الغالية (عائشة) رضي الله عنها أن الله (عز وجل) أنزل بسببها آية التيمم تيسيراً على المسلمين ففرح المسلمون لذلك فرحاً شديداً... . . . فيا لها من أم مباركة فاح عبير بركتها على كل من حولها من المسلمين.

(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ١٨٠) بتصرف.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فقد خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كانوا بالبيداء، وفي موقع استراحة الجيش، انقطع عُقد عائشة رضوان الله عليها، فأقام الرسول ﷺ على التماسه والبحث عنه، وقام الناس معه يبحثون عن العُقد، ولم يكن معهم ماء يكفيهم، فأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: أما ترى ما صنعت ابنتك عائشة، أقامت برسول الله وبالناس، وليسوا على مقربة من ماء وليس معهم ماء!!

تقول عائشة عن هذا الموقف: فعاتبني أبو بكر، فقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان النبي ﷺ على فخذي، فنام رسول الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم، قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾ (١).

فقال أسيد بن الحضير - وهو أحد نقباء الأنصار -: ما هذا بأول بركتكم يا آل أبي بكر!

(١) سورة المائدة: الآية: (٦).

قالت عائشة رضي الله عنها: فبعثنا البعير الذي كنت عليه،
فوجدنا العقد تحته ^(١) .

وفاة الرسول صلوات الله عليه

* إن الأحداث العظيمة تسبقها بعض العلامات التي
تشير إلى قرب وقوعها.

وقد تم للمسلمين فتح مكة أم القرى في السنة الثامنة
من الهجرة المباركة، وفي السنة التاسعة أقبلت الوفود تُقر
بالإسلام أو تعطى الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وأرهب
جيشُ العسرة الذي خرج به النبي صلوات الله عليه جحافل الروم
حتى فرّوا من مواجهته، ودانت جزيرة العرب بالإسلام،
وكان ذلك بعد عشر سنين من جهاد النبي صلوات الله عليه المتواصل
وصحابه الكرام رضي الله عنهم، فكل العلامات تشير إلى انتهاء
مهمة رسول الله صلوات الله عليه فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة،
ونصح الأمة، وكشف الغمة، وأصبح الناس على المحجة
البيضاء ليلها كنهارها لا يزيع عنها إلا هالك ^(٢) .

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٤) كتاب النيم، ومسلم (٣٦٧) كتاب الحيف.

(٢) وقفات تربوية (ص: ٤٠٣).

العلامات التي أشارت

إلى قرب انتهاء أجله ﷺ

ولقد سبق موت النبي ﷺ علامات تشير إلى قرب انتهاء أجله ﷺ فمن بين ذلك: أنه ﷺ كان يعتكف كل سنة عشرًا في رمضان فاعتكف في السنة الأخيرة عشرين ليلة وكان جبريل يعارضه القرآن مرة في رمضان فعارضه في السنة الأخيرة مرتين.

*** ومن ذلك ما رواه أحمد عن معاذ قال:** لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، خرج معه رسول الله ﷺ يوصيه، ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» فبكى معاذ جشعًا لفراق رسول الله ﷺ، ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إن أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٣٥/٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٤٩٧).

* وخرج النبي ﷺ للحج في السنة العاشرة وقال:

«خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس» (١).

ونزل عليه بعرفة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢).

* وفي ثاني أيام التشريق نزل عليه قوله عز وجل: ﴿إذا

جاء نصر الله والفتح (١) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا

(٢) فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ (٣).

- فكانت هذه السورة تخبر بانتهاء أجل النبي ﷺ

وتنعي إليه نفسه.

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ خرج إلى أحد

فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات.

* ومن هذه العلامات كثرة تتابع الوحي على رسول

الله ﷺ.

* ومن هذه العلامات أنه ﷺ كان يرغبهم في كثرة

ملازمته والجلوس إليه قبل أن يحرموا ذلك، ويتمنى

(١) صحيح: زواه مسلم (١٢٩٧) كتاب الحج.

(٢) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٣) سورة النصر: الآيات: (١-٣).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أحدهم لو رآه بأهله وماله . **عن أبي هريرة** **رضي الله عنه** قال قال رسول الله ﷺ :
«والذي نفس محمد بيده ليأتين علي أحدكم يوم ولا يراني،
ثم لأن يراني أحب إليه من أهله وماله معهم» (١) .
فأولوه علي أنه نعى نفسه إليهم وعرفهم ما يحدث
لهم بعده من تمنى لقائه عند فقدهم ما كانوا يشاهدون من
بركاته عليه السلام . **ومن هذه الإشارات** زيارته لأهل البقيع واستغفاره
لهم :

*** عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال :** «بعثنى
رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال : «يا أبا
مويهبة، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع، فانطلق
معي» ، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم ، قال :
«السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما
أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها
أولها، الآخرة شر من الأولى، ثم أقبل علي» . فقال : «يا أبا
مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٣٦٤) كتاب الفضائل .

الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». **قال:** فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف فبدأ برسول الله صلوات الله وسلاماته عليه وجعه الذي قبضه الله فيه ^(١).

بداية مرضه صلوات الله وسلاماته عليه

وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ وكان يوم الاثنين شهد رسول الله صلوات الله وسلاماته عليه جنازة في البقيع، فلما رجع، وهو في الطريق أخذه صداع في رأسه، وارتفعت درجة حرارة النبي صلوات الله وسلاماته عليه . . فدخل على عائشة فوجدتها تقول: وأرأساه.

فقال: «بل أنا والله يا عائشة وأرأساه».

ثم أخذ المرض يشتد برسول الله صلوات الله وسلاماته عليه حتى ازداد عليه ثقل المرض وهو في بيت ميمونة . . فدعا النبي صلوات الله وسلاماته عليه نساءه واستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة فأذن له جميعاً.

(١) رواه أحمد (١٥٥٦٧).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

ويدخل عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فوجد النبي ﷺ وقد اشتد عليه المرض فقال له: يا رسول الله! إنك لتوعك وعكاً شديداً.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم».

قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل»^(١).

وطلب النبي ﷺ منهم أن يسكبوا عليه سبع قرب من الماء فأحضروا ماءً كثيراً وأخذوا يصبوا عليه الماء حتى زالت عنه بعض الحرارة رضي الله عنه.

وقام النبي ﷺ يخطب في الناس وينعى نفسه إليه فقال: «إن عبداً خيره الله بين زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده؛ فاختر ما عند الله».

ولم يفهم أحدٌ من الصحابة أن هذه لحظات الوداع، إلا أبو بكر الذي بكى وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٦٤٨) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٩٠٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة.

مُروا أبا بكر فليُصلَ بالناس

والنبي صلوات الله عليه مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم - يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام - وقد صلى بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب، فقرأ فيها بالمرسلات. وعند العشاء زاد ثقل المرض بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ثقل النبي صلوات الله عليه فقال: «أصلي الناس؟».

قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسول الله.

قال: «ضعوا لي ماءً في المخضب».

قالت: ففعلنا. فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال صلوات الله عليه: «أصلي الناس؟».

قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله.

فقال: ضعوا لي ماءً في المخضب.

قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: «أصلي الناس؟».

فقلنا لا، هم ينتظرونك يا رسول الله .
فقال «ضعوا لى ماءً فى المخضب» فقعد فاغتسل ثم
 ذهب لينوء فأغمى عليه ثم أفاق فقال: «أصلى الناس؟» .
فقلنا: لا هم ينتظرونك يا رسول الله . . . والناس
 عكوف فى المسجد ينتظرون النبى عليه السلام لصلاة
 العشاء الآخر - فأرسل النبى ﷺ إلى أبى بكر بأن
 يصلى بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ
 يأمرك أن تصلى بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً
 - يا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك .
 فصلى أبو بكر تلك الأيام ^(١)!

قبل الوفاة بيوم

وقبل يوم من الوفاة - يوم الأحد - أعتق النبى ﷺ
 غلماناً، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب
 للمسلمين أسلحته، وفى الليل استعارت عائشة الزيت
 للمصباح من جاريتها، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند
 يهودى بثلاثين صاعاً من الشعير ^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٨٧) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٨) كتاب الصلاة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٤٤٦٧) كتاب المغازى، ومسلم (١٦٠٣) كتاب المساقاة.

آخر يوم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في صبح اليوم الذي لحق فيه بالرفيق الأعلى ينظر إلى ثمرة جهاده وصبره فألقى على أصحابه الذين أحبه وأحبهم نظرة وداع فكادوا يُفستون من الفرح به صلى الله عليه وسلم ظناً منهم أنه صلى الله عليه وسلم قد عوفى من مرضه ولم يظنوا أنه ينظر إليهم نظرة الوداع حتى يلتقى بهم على حوضه وفي جنة الله عز وجل . . . ولو علموا ذلك لتفطرت قلوبهم .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلى لهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين - وهم صفوف في الصلاة - كشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجر، فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم يضحك فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي صلى الله عليه وسلم فنكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف وظن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إلى الصلاة فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر فتوفى من يومه^(١). ثم لم تأت على النبي صلى الله عليه وسلم صلاة أخرى^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٨٠) كتاب الأذان، ومسلم (٤١٩) كتاب الصلاة.

(٢) نقلاً من وقفات تربوية (ص: ٤١٢) للدكتور أحمد فريد.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

* وكان الله تعالى أراد أن يُطمئن النبي ﷺ على كمال انقياد أمته وحسن اتباعها فأشهدته آخر وقت حضره وهو في الدنيا، إذ أقبل المؤمنون من بيوتهم إلى المسجد فجر الاثنين الذي قبض فيه، واصطفوا لصلاتهم خشعاً مخبتين، وراء إمام رقيق التلاوة فيأض الإخلاص، ورفع النبي ﷺ الستر المضروب على منزل عائشة، وفتح الباب وبرز للناس.

فكاد المسلمون يُفتنون في صلاتهم ابتهاجاً برؤيته، وتفرجوا يُفسحون له مكاناً فأشار بيده: أن اثبتوا على صلאתكم، وتبسم فرحاً من هيئتهم في صلاتهم.

قال أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله أحسن هيئة منه في تلك الساعة.

ثم رجع وانصرف الناس، وهم يظنون أن رسول الله قد أفاق من وجعه، واطمأن أبو بكر لهذا الظن، فرجع إلى أهله بالسنع - في ضواحي المدينة.

قالت عائشة: وعاد رسول الله من المسجد، فاضطجع

في حجرى^(١).

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ٥١٨).

النبى صلوات الله عليه ينعى نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبى صلوات الله عليه ، فلم تغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية رسول الله صلوات الله عليه .

قال: «مرحباً بابنتى» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله .
ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمة .
ثم إنه سارها فضحكت أيضاً .

فقلت: ما رأيت كالיום فرحاً أقرب من حزن .
فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله صلوات الله عليه بحديثه
دوننا ثم تبكين؟

وسألتهما عما قال فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله صلوات الله عليه .

حتى إذا قبض سألتهما فقالت: إنه كان حدثنى: «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به فى العام مرتين، ولا أرانى إلا قد حضر أجلى، وإنك أول أهلى لحوقاً بى، ونعم السلف أنا لك» فبكت لذلك .

ثم إنه سارنى فقال: «ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك» (١).

ليس على أبيك كرب بعد اليوم

وعن أنس قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاها فقالت فاطمة عليها السلام: وا كرب أبتاه، فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» (٢).

شدة تأثر النبي ﷺ

بالطعام المسموم (يوم خيبر)

* ودعا النبي ﷺ الحسن والحسين فقبلهما وأوصى بهما خيراً ثم دعا أزواجه فوعظهن وذكّرهن بالله (عز وجل).

وأحس رسول الله بأثار السم يوم خيبر تجرى فى جسده، فاشتد الوجع والألم عليه، وهو يقول: «لا إله إلا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٢٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٤٦٢) كتاب المغازى - وأحمد (٢٠٤/٣).

الله إن للموت لسكرات» (١).
 عن عائشة، زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط، حتى يرى مقعده في الجنة، ثم يُخَيَّر» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ، ورأسه على فخذي، غشي عليه ساعة ثم أفاق. فأشخص بصره إلى السقف. ثم قال: «اللهم! الرفيق الأعلى». قالت عائشة: قلت: إذا لا يختارنا.

وفى رواية: قالت عائشة: توفى رسول الله ﷺ في بيتي، وفي يومي وليليتي، وبين سحري ونحري. ودخل عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواك رطب، فنظر إليه، حتى ظننت أنه يريدني، فأخذته، فمضغته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إليه. فاستن به كأحسن ما رأيته مُستنًا قط؛ ثم ذهب يرفعه إليّ، فسقطت يده، فأخذت أدعو له بدعاء كان يدعو به له جبريل، وكان هو يدعو به إذا مرض، فلم يدع به في مرضه ذلك. فرفع بصره إلى السماء،

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٤٩) كتاب المغازي.

وقال: «الرفيق الأعلى» وفاضت نفسه. فالحمد لله الذي جمع بين ريقى وريقه في آخر يوم من الدنيا»^(١).

اللهم الرفيق الأعلى

ثم نزل جبريل عليه السلام بقول:

يا محمد إن ربك إليك مُشتاق، وإنه قد بعث معي ملك الموت يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ وما استأذن على أحد قبلك، ولن يَسْتَأْذِنَ على أحد بعدك، وهذا آخرُ عَهْدِي بالدنيا ولن أهبط إلى الأرض بعد ذلك على أحد من بعدك.
فقال رسول الله ﷺ: «وأنا مُشتاق إلى ربي».

ثم نظر إلى السماء، وتحركت شفتاه قائلاً: «مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى». وغمضت عينا رسول الله، وسكت صوته، وصعدت روحه لمولاه، وأن للجسد المتعب أن يسترّيح، ولرسول الله

(١) أخرجه أحمد (٤٨/٦)، وصححه الحاكم (٧/٤) ووافقه الذهبي.
والسحر: الرنة - النحر: أعلى الصدر - استن: استاك.

أَنْ يَعِيشَ بِرُوحِهِ فِي السَّمَاءِ بِجِوَارِ رَبِّهِ وَمَوْلَاهُ، فَإِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. عن زكاة خصال: ١٠٤٤
 وَأَظْلَمْتَ أَرْجَاءَ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُنِيرَةً بِرَسُولِ اللَّهِ
 حَتَّى قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ
 أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَمَا
 رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمِ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ
 اللَّهِ ج: (١) ب: رَأَيْتُ يَوْمًا قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ، وَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمِ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ

وتم تاويل الرؤيا

وَدُفِنَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه فِي غُرْفَةِ أَمْنَا عَائِشَةَ رضي الله عنها.
 وَمِنْ أَجْلِ وَأَعْظَمِ الْمَكْرَمَاتِ الَّتِي حَظَّتْ بِهَا أَمْنَا عَائِشَةُ
رضي الله عنها أَنْ حَجَرْتَهَا دُفِنَ فِيهَا أَعْظَمُ ثَلَاثَةِ فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ
 الْإِسْلَامِيَّةِ: فَكَانَ أَعْظَمُهُمْ جَمِيعًا رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه الَّذِي
 دُفِنَ فِي حَجَرْتِهَا ثُمَّ دُفِنَ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ دُفِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ جَمِيعًا.

(١) حياة محمد (ص: ٢٥٣ : ٢٥٥).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

ولقد رأت عائشة ذلك الفضل من قبل، فقد قالت لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: رأيت كأن ثلاثة أقمار سقطن في حجري، فقال لها: إن صدقت رؤياك دُفن في بيتك ثلاثة من خير أهل الأرض، فلما دُفن النبي صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرها ثم دُفن القمر الثاني فكان أبو بكر نفسه، ثم القمر الثالث، فكان عمر رضي الله عنه، وبهذا تم تأويل رؤيا عائشة من قبل وقد جعلها الله حقاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

عائشة رضي الله عنها وحياء

يعجز القلم عن وصفه

إن المرأة المؤمنة بفطرتها التقية تستحي من أي رجل حتى ولو كان زوجها فما ظنك بمن لا تستحي من الأحياء فحسب بل تستحي من الأموات!!!.

إنها أمنا الطاهرة التقية عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذي دُفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي رضي الله عنه واضعة ثوبي،

وأقول: «إنما هو زوجي وأبي» فلما دُفن عمر رضي الله عنه، والله ما دخلته إلا مشدودة على ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه (١).

بعد وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم

وظلت أمنا عائشة رضي الله عنها بعد وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم - على العهد صائمة قائمة عالمة بالكتاب والسنة، يأتيها من كل حدب وصوب أهل العلم يقصدون أخذ العلم من نبعه الصافي، فلقد كانت موسوعة نادرة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم فكانت تُعلم الجاهل وتهدي الحائر وتُرشد الناس إلى الفضائل ومكارم الأخلاق.

وعاشت في ظل الخلافة الإسلامية الراشدة وكانوا جميعاً يعلمون قدرها ومكانتها الغالية السامقة... فهي حبيبة الحبيب صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين ومنارة العلم التي فاح عبيرها على الكون كله فملأت الدنيا علماً وديناً وأدباً ومعرفة وزهداً وورعاً.



(١) صحيح: رواه أحمد (٢٠٢/٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (١٧٧١).

فى عهد أبيها ﷺ

لذمت السيدة عائشة بعد وفاة النبي ﷺ فى حجرتها
تعزى نفسها بجواره ﷺ، وانشغل الناس وعلى رأسهم
أميرهم أبو بكر بحروب الردة، ولما أراد أزواج النبي
ﷺ أن يرسلن عثمان إلى أبى بكر ﷺ يسألنه ميراثهن
من رسول الله ﷺ قالت عائشة ﷺ: أو ليس قد
قال رسول الله ﷺ: «لا نورث، ما تركناه فهو
صدقة»^(١).

ولم تكن خلافة الصديق طويلة الأمد، بعيدة الزمن،
فقد اتفقت الروايات أن أبى بكر استكمل فى خلافته سن
رسول الله ﷺ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر
وعشر ليالٍ، وكانت ولادته بعد عام الفيل بستين وأربعة
أشهر وأياماً، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين^(٢).

وقد امتد المرض بأبى بكر خمسة عشر يوماً والناس
يعودونه، والسيدة عائشة ﷺ تُشرف على تمريضه، وفيما

(١) رواه أحمد (٢٦٢/٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط
مسلم.

(٢) الشيخ على الطنطاوى فى كتابه أبو بكر.

كان المرض يشتد على أبيها كانت تعزى نفسها ببعض الأشعار، فبينها أبو بكر رضي الله عنه وهو في شدة المرض، كي تستبدل الأشعار بالقرآن الكريم^(١).

وتجددت الأحزان في قلبها بموت أبيها

وبعد حياة طويلة مليئة بالحب والبذل والتضحية والفداء والعدل والإيثار.

نام خليفة رسول الله صلوات الله عليه على فراش الموت ليلحق بحبيبه وصاحبه رسول الله صلوات الله عليه في جنة الرحمن جل وعلا إخواناً على سررٍ متقابلين. عن عائشة رضي الله عنها أول ما بُدئ مرض أبي بكر أنه اغتسل، وكان يوماً بارداً فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بالصلاة، وكانوا يعودونه وكان عثمان ألزمهم له في مرضه.

وعن عائشة قالت: لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة

(١) أزواج النبي (ص: ٢١٢-٢١٣).

فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى فنظرنا فإذا عبدٌ نوبى كان يحمل صبيانه، وإذا بغيرٌ كان يسقى بستاناً له فبعثنا بهما إلى عمر. فبكى عمر وقال: رحمة الله على أبى بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً^(١).

ثم قال: يا عائشة: إنه ليس أحدٌ من أهلى أحب إلىّ منك، وقد كنت أعطيتك بستاناً وإن فى نفسى منه شيئاً فرُدِّيه إلى الميراث.

قالت: نعم فرددته.

وقال ﷺ: أما إنّنا منذ وكّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خيش ثيابهم على ظهورنا، وليس عندنا من فىء المسلمين قليلٌ ولا كثيرٌ إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح، وجرّد هذه القطيفة، فإذا متُّ فابعثوا بهن إلى عمر، وابرئى منهن ففعلت، فلما جاء الرسولُ (عمر) بكى حتى جعلت دموعه تسيل فى الأرض، ويقول: رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله

(١) صفة الصفوة (١) / ١٠٨.

أبا بكر، لقد أتعب من بعده، رحم الله أبا بكر، لقد أتعب من بعده (١).
 واستمر مرض أبي بكر مدة خمسة عشر يوماً حتى كان يوم الإثنين ليلة الثلاثاء في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة.
قال: أي يوم هذا؟ قالوا: يوم الإثنين، قال: فإن ميت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، فإن أحب الأيام والليالي إلى أقربها من رسول الله ﷺ (٢).
 وتوفى - رحمه الله - وهو ابن ثلاث وستين سنة.

الفقيهة الربانية

التي حمل عنها ربع الشريعة

* فيها هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديقة بنت الصديق رضي الله عنه حبيبة رسول الله ﷺ، الفقيهة الربانية، المبرأة من فوق سبع سموات.

(١) الطبقات (٣ / ١٤٧).

(٢) أخرجه أحمد (١ / ٨ ، رقم ٤٥).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

لحق النبي ﷺ بربه وهي لم تخطُ بعد إلى التاسعة عشرة، على أنها ملأت أرجاء الأرض علمًا، فهي في رواية الحديث نسيج وحدها، ولم يكن بين أصحاب النبي ﷺ من كان أروى منها ومن أبي هريرة رضي الله عنه، على أنها كانت أدق منه وأوثق.

قال الزهري: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل».

وقال عطاء: «كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة».

وعن عروة بن الزبير قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بفقهِ ولا بطلبٍ ولا بشعرٍ من عائشة رضي الله عنها»^(١).

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثٌ قطُّ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا»^(٢).

(١) طبقات ابن سعد (٧/٣٩-٥٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذی (٣٨٨٣)، وصححه العلامة الألبانی رحمه الله في المشكاة (٦١٨٥).

وقال مسروق: «رأيت مشيخة أصحاب محمد صلوات الله عليهم

يسألونها عن الفرائض»^(١).

لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات وكانت من أنفذ الناس رأياً في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكانت رضي الله عنها تحسن أن تقرأ، ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم، وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها.

وكانت تزورها النساء في بيتها فتعلمهن، . . . وهذه المرأة المخزومية التي قطعت يدها تقول عنها الرواية: «. . . فكانت تأتي بعد ذلك إلى بيت عائشة تتفقه في دينها»^(٢).

وكانت زوجات رسول الله صلوات الله عليهم جميعاً قسيمات عائشة رضي الله عنها في إذاعة العلم وإفاضة الدين على المسلمين.



(١) «الإجابة» للزركشي (ص: ٥٧).

(٢) كتاب مواقف من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين/ للمصنف (١/ ٥٢٧-٥٣٠) بتصرف.

مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وبعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه تولى عمر رضي الله عنه الإمارة فأصبح أمير المؤمنين... وعاش المسلمون في عهده في ظل العدل والرحمة وكانوا ينتقلون من نصر إلى نصر... وتم الأيام ويُقتل عمر رضي الله عنه ليموت شهيداً كما أخبره بذلك الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

اتسم دور عائشة رضي الله عنها في عهد عمر بن الخطاب بالجانب العلمي، فقد بدأت تظهر مكانتها العلمية حتى إن عمر رضي الله عنه وغيره من كبار الصحابة كان إذا أشكل عليهم أمر، وبخاصة في الشؤون الشخصية للإنسان والتي تجلب حرجاً أحياناً، كانوا يسألون عنه عائشة رضي الله عنها.

وقد ذُكر أن أزواج النبي ﷺ كن يحفظن من حديث النبي كثيراً، وكانت عائشة تُفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت رحمها الله، وكان الأكاابر من أصحاب رسول الله ﷺ، عمر وعثمان بعده يرسلان إليها فيسألانها عن السنن (١).

(١) الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٧٥).

وفي اللحظات الأخيرة من حياة الفاروق رضي الله عنه قال لابنه: يا عبد الله بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنني لست اليوم للمؤمنين أميراً - وقل: يستأذن عمر ابن الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه، فسلم فاستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي. . فقال: يقرأ عليك عمر ابن الخطاب السلام، ويستأذن أن يُدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثره به اليوم على نفسى.

فيا له من إشار يفوق الخيال. . . . إنها تؤثره بأعز ما كانت تتمناه. . . فرضى الله عنها وأرضاها ^(١).

(١) صحايات حول الرسول (ص: ١٦٥).

حضورها يوم الجمل

ولما حدثت الفتنة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما خرجت أمنا عائشة رضي الله عنها تريد الإصلاح بين الناس والمطالبة بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه.

ولم يكن حضور أمنا عائشة في يوم الجمل لحرب عليّ ابن أبي طالب كما يقول أعداء الإسلام وإنما كان خروجها من أجل الإصلاح بين المسلمين ومن أجل المطالبة بالقصاص من الذين قتلوا أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ولكن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أرسل إلى أمنا عائشة رضي الله عنها من يقنعهما بتأجيل المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان حتى تهدأ الأمور وتستقر الأحوال في البلاد وتموت الفتنة في مهدها... ورضيت أمنا عائشة بذلك هي وطلحة والزبير رضي الله عنهم واتفقوا جميعاً على الصلح.

لكن أعداء الله دبروا بالليل مؤامرة جعلت عليّ بن أبي طالب يظن أن طلحة والزبير قد غدرا به وجعلت طلحة والزبير يظنان أن عليّ بن أبي طالب قد غدر بهما

فنشبت الحرب بينهم بلا قصد ولا تدبير .
 وحزنت أمنا عائشة على هذا حزناً شديداً وأخذت
 تبكي وهي التي ما أرادت إلا الصلح بين المسلمين .
 * وظلت بعد موقعة الجمل عاكفة في بيتها تبكي نادمة
 على خروجها في يوم الجمل حتى آخر لحظة في حياتها
 لأنها لم يخطر على بالها أبداً أن ترى المسلمين يقتل
 بعضهم بعضاً
 ولم يكن ذلك إلا بسبب الفتنة التي أثارها أعداء
 الإسلام وإلا فأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم الناس
 أخلاقاً ورحمة ورفقاً وعدلاً ، وأبعد الناس عن الظلم
 والجور وحب الدنيا رضى الله عنهم أجمعين

والله اعلم
 * * *
 * * *
 * * *

وحان وقت الرحيل

وبعد هذه الرحلة الطويلة من العبادة والعلم والبذل والعطاء والتضحية لدين الله (عز وجل) نامت الصديقة الطاهرة المطهرة على فراش الموت بعدما ملأت الدنيا علماً وفقهاً وزهداً وورعاً... فلقد آن الآوان لأمنا الغالية أن تستريح وأن تبدأ رحلتها مع النعيم المقيم فهي زوجة الحبيب ﷺ في الدنيا وفي الآخرة. فهنيئاً لها ثم هنيئاً لها ثم هنيئاً لها.

وفي شهر رمضان من السنة الثامنة والخمسين للهجرة ألم المرض بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكانت وصيتها أن تُدفن بالبقيع مع صواحبها أمهات المؤمنين وآل بيت رسول الله ﷺ.

وفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، توفيت أم المؤمنين عائشة وصعدت روحها إلى ربها راضية مرضية.

ولما سمعت أم المؤمنين أم سلمة الصرخة على عائشة

قالت: والله لقد كنت أحب الناس إلى رسول الله صلوات الله عليه إلا أباهما.

ودُفنت من ليلتها بعد صلاة الوتر (١).

وقدم أبو هريرة رضي الله عنه فصلّى عليها، فاجتمع الناس، ونزل أهل العوالي، وحضروا جنازتها، فلم تُر ليلة أكثر ناساً منها (٢).

* ولا تملك ونحن نودع أمنا الغالية إلا أن نتلو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (٣)

فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها.



(١) طبقات ابن سعد (٨ / ٧٦).

(٢) نساء أهل البيت (ص: ١٦٦).

(٣) سورة القمر: الآيتان: (٥٤، ٥٥).

حفصة بنت عمر رضي الله عنها

حفصة بنت عمر رضي الله عنها

جبايى الحلوين:

وها نحن على موعد مع صفحة جديدة نتعرف من خلالها على أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها . . . تلكم الزهرة التى جمع الله لها من المكارم والفضائل ما يعجز القلم عن وصفه .

* فأبوها هو فاروق الأمة الأكبر عمر بن الخطاب

رضي الله عنه .

إنه الرجل الذى كان إسلامه فتحاً وكانت هجرته نصراً وكانت ولايته عدلاً .

إنه الرجل الذى قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله جعل الحق

على قلب ولسان عمر »^(١) .

(١) صحيح: أحمد (٥٣/٢) ، والترمذى (٣٦٨٢) كتاب المناقب ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٣٦) .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وقال عنه: «لو كان نبيُّ بعدى لكان عمر»^(١).

إنه الرجل الذي نزل القرآن أكثر من مرة موافقاً لرأيه .

إنه الرجل الذي بشره النبي ﷺ بالجنة .

إنه الرجل الذي أخبره النبي ﷺ بأن الشيطان يخافه

ويهرب منه .

إنه الرجل الذي حفرت الدموع خطين أسودين في

وجهه من كثرة البكاء .

إنه العابد الزاهد المجاهد .

* وعمها هو زيد بن الخطاب الذي شهد بدرًا والمشاهد

- واستشهد في يوم اليمامة - إنه الرجل الذي قال عنه

عمر رضي الله عنه : سبقني إلى الحسين أسلم قبلي واستشهد

قبلي . . . وقال عنه : ما هبت الصبا إلا ذكرتني زيد بن

الخطاب .

* وأمها زينب بنت مظعون أخت الصحابي الجليل

عثمان بن مظعون (الذي لما مات جاء إليه الحبيب ﷺ

(١) حسن: رواه الترمذي (٣٦٨٦) كتاب المناقب، وحسنه العلامة الألباني رحمه

الله في الصحيحة (٣٢٧).

وقبله وسالت دموعه على خدّ عثمان^(١) . . . وهو أول من
دُفن بالقيع . . .

* وعمتها هي فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها وهي إحدى
السابقات إلى الإسلام هي وزوجها سعيد بن زيد أحد
العشرة المبشرين بالجنة .

* وأخوها هو العابد الزاهد التقى الورع العالم عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما الذي قال عنه الحبيب صلى الله عليه وسلم : «إن عبد
الله رجلٌ صالح»^(٢) .

وقالت عنه أمنا عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أحداً ألزم للأمر
الأول من ابن عمر^(٣) .

* شهد بدرًا من أهلها سبعة: عمر، وعمها زيد،
وزوجها حُنيس، وأخوالها: عثمان وعبد الله وقُدّامة بنو
مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون ابن خالها .



(١) صحيح: رواه الترمذى (٩٨٩) وقال: حديث صحيح . وأحمد (٦ / ٣ / ٤) ،

وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترمذى .

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٣٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٧٩) كتاب
فضائل الصحابة .

(٣) سير أعلام النبلاء/ للذهبي (٣ / ٢١١) .

من هنا نبدأ

وإذا أردنا أن نتكلم عن سيرة أمتنا حفصة رضي الله عنها فلا بد أن نبدأ من سيرة أبيها عمر رضي الله عنه.
فلقد وُلد عمر بن الخطاب بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة.

وكان شجاعاً قوياً يخافه القريب والبعيد.
وكان يُحكى عنه الحكايات والحكايات عن قوته وشجاعته وفروسيته وكان يفوز على أقرانه في سباق الخيل بل كان يفوز عليهم في حلبة المصارعة فلم يكن هناك أحدٌ يقدر عليه... واشتهر بين أهل مكة حتى أصبح حديث الناس في مجالسهم.
لكنه انشغل بعد ذلك بالتجارة فبدأ يزاول التجارة ويشغل بها.

وعمر بن الخطاب من قبيلة عدى بن كعب، وهي قبيلة عدنانية من قريش.

على أن قبيلة عمر لم تبلغ من المكانة في مكة قبل الإسلام ما بلغه بنو هاشم وبنو أمية، فلم يكن لها من

مناصب مكية سواء أكانت دينية أو غيرها، ولم تكن ثرية غنية كما كانا (هاشم وأميمة) ومع ذلك كانت تنافس بنى عبد شمس الشرف، وتحاول أن تبلغ مكانتهم، وظل هذا التنافس ممتداً عبر الأجيال. عن ابن جرير هذا عن قبيلة عمر بن الخطاب والد أمنا أم المؤمنين حفصة والتي نحن بذكر سيرتها، أما أبوه فهو الخطاب ابن نفيل. عن ابن جرير

وقد كان الخطاب والد عمر شريفاً في قومه، لكنه لم يكن ذا مال ولا خدم وقد كان بنى عدى قبيلة عمر يشعرون بقله حولهم لقله عددهم، ولذلك أجلاهم بنو عبد شمس عن منازلهم عند الصفا، فلا عجب أن يسعى الخطاب للنساء طلباً للولد لا طلباً للشهوة، فهو يلتمس كثرة الولد ليحمي نفسه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وكان الخطاب رجلاً ذكياً، موفور الاحترام في قومه، شجاعاً يخوض المعارك على رأس بنى عدى في جراءة وثبات. عن ابن جرير

نشأ عمر في طفولته وصباه نشأة البادية الخشنة ونشأة

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أمثاله من أبناء قريش وقد امتاز على أمثاله من شباب قريش بتعلمه القراءة، فكان ممن تعلموا القراءة، وهؤلاء كانوا قليلين جداً، فلم يكن في قريش كلها حين بُعث النبي ﷺ غير سبعة عشر رجلاً يقرؤون ويكتبون. **ثبَّ** عمر عن الطوق وأصبح فتى يافعاً، وخرج يرعى لأبيه إبله في ضواحي مكة المكرمة. **تدرَّج** عمر من الصبا إلى الشباب، وبدا عليه مظهر القوة بين أقرانه، فقد فاقهم (عمر) طولاً وجسامة. **وقد أتقن** عمر في مطلع شبابه ألواناً من رياضة البدن، كالمصارعة وركوب الخيل والفروسية. **وكان** ركوب الخيل أحب ألوان الرياضة إليه طول حياته. **وكان** له في الحرب مواقف ورثها عن أخواله بنى مخزوم. **وبقدر** شغفه وحبّه للفروسية والمصارعة وغيرهما من ضروب الرياضة وألوانها، بقدر ذلك أحب عمر الشعر وتذوقه ورواه، فقد كان يسمع الشعراء في سوق عكاظ

وفى غير عكاظ، فيحفظ عنهم ويروى ما يعجبه من شعرهم، وتعرف عمر على أنساب العرب من أبيه الخطّاب، فصار من أنسب العرب للعرب، وكان عمر جيد البيان حسن الكلام، مما جعل قريش تختاره سفيراً لها فى أكثر سفاراتها إلى غيرها من القبائل، وكان يحكم فى المشاحنات والمنافرات كحكم أبيه وقومه بنى عدى من قبله.

ولما تمّ لعمر شبابه هوت نفسه إلى الزواج، وقد ورث عن بنى عدى ميلهم لكثرة الزوجات طلباً للولد، فنزوح فى حياته تسع نسوة ولدن له اثنى عشر ولداً: ثمانية بنين وأربع بنات.

وقد كان عمر رضي الله عنه من أشد شباب قريش على المسلمين وكان يبالغ فى شدته وهو دون الخامسة والعشرين مع معارضيه، فكان يحارب الخارجين على عبادة الأصنام أشد الحرب.

الانشأة المباركة

وبعد هذه المقدمة عن تلكم العائلة العمرية التي نشأت فيها أمنا حفصة رضي الله عنها فلنا أن نتخيل كيف أنها نشأت نشأة مباركة وعاشت في ظل بيثة ينذر أن نجد لها مثيلاً.

ولدت حفصة رضي الله عنها عندما كانت قريش تجدد بناء الكعبة وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين... وكان ذلك عندما حسم النبي صلى الله عليه وسلم الخلاف بينهم على وضع الحجر الأسود مكانه، وذلك بحكمته ورأيه السيد وبصيرته الشاقبة صلى الله عليه وسلم.

ولقد كانت حفصة رضي الله عنها تحب العلم والأدب فتعلمت الكتابة من الشفاء بنت عبد الله القرشية العدوية، وظلت تطلب العلم حتى أصبحت إحدى فصيحيات النساء في قريش ^(١).



(١) صحايات حول الرسول (ص: ١٧١).

شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

وفي وسط الجاهلية العمياء التي كانت تعيشها قريش وغيرها من قبائل العرب شاء الله أن يُبعث النبي صلى الله عليه وسلم ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور. وبعث النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ يدعو قومه إلى الإسلام فعادوه أشد العداوة وأذوه إيذاءً شديداً هو وأصحابه. . . فصبر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين واحتسبوا كل هذا عند الله (جل وعلا).

إسلام حمزة بن عبد المطلب

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه

وفي وسط هذا الظلم والإيذاء الشديد للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حدث ما لم يتوقعه المشركون فلقد أسلم حمزة بن عبد المطلب الذي كان الناس يعملون له ألف حساب بسبب قوته وشجاعته.

وأسلم عدد آخر من الرجال على رأسهم: عمرو بن عبسة وضماد الأزدي وأبو ذر الغفاري.

ولكن الضربة القاضية لظهر المشركين بعد إسلام حمزة هي إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
فقد أسلم عمر بعد إسلام حمزة بأيام وذهب إلى دار الأرقم وأسلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم.
ولكن كيف كانت قصة إسلامه؟ فتعالوا بنا لنعرف قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قصة إسلام عمر رضي الله عنه

لقد كان عمر رضي الله عنه شديداً في الجاهلية... ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم وأمن معه عدد قليل من الناس كان عمر يؤذيهم ويعذبهم عذاباً شديداً حتى أنه كان يُعذب بعض الجوارى ثم يتركهن ويقول لهن: أنا ما تركتكن رحمة بكن ولكن لأنني مللت منكن.
وكان يشرب الخمر كثيراً.
وفي يوم من الأيام لقي عمر امرأة تُسمى (أم عبد الله بنت أبي حثمة) وكانت قد عازمت على أن ترحل هي وزوجها (عامر) إلى بلاد الحبشة فراراً من تعذيب

قريش . . . فقال لها عمر: إلى أين يا أم عبد الله؟
قالت: نخرج في أرض الله فقد آذيتُمونا وقهرتُمونا
 حتى يجعل الله لنا فرجًا.

فقال عمر: صحبكم الله يا أم عبد الله.
فلما عاد زوجها عامر قالت له: لقد لقيت عمر وقال لي
 كذا ورأيتَه يتكلم برفقة شديدة.

فقال زوجها عامر: أتظنين أن عمر سيُسلم؟! . . .
 والله لو أسلم حمار الخطاب ما أسلم عمر بن الخطاب.
 * هكذا كان الناس جميعًا في يأس شديد من إسلام
 عمر لكن الله إذا أراد شيئًا هيأ له أسبابه.

* ففي يوم من الأيام خرج عمر بن الخطاب إلى حانة
 من حانات الخمر يشرب الخمر فلم يجد صاحب الحانة
 فقال في نفسه: لو أني جثت الكعبة فطُفت بها سبعة
 أشواط . . . فلما ذهب إلى الكعبة وجد النبي صلوات الله عليه قائمًا
 يصلي فقال عمر: إنها فرصة عظيمة أن أستمع إلى
 محمد لأعرف ماذا يقول

قال: فأردت أن أقرب منه ولكن أريد ألا يرانى حتى لا يفرع منى
قال: فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب الكعبة حتى لا يرانى . وجعلت أمشى رويداً رويداً حتى أصبحت أمامه لكنه لا يرانى لأنى كنت خلف أستار الكعبة .
قال: فلما سمعت القرآن تعجبت من حلاوته فتأثرت به ثم قلت فى نفسى إنه لقول شاعر فسمعت النبى يقرأ ويقول: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ ﴾ (١) .

فقال عمر: إنه كاهن (٢) .

فقرأ النبى ﷺ: ﴿ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

وظل عمر واقفاً فى مكانه حتى انتهى النبى ﷺ من صلاته ثم انصرف .

*** وبدأ عمر يعيش صراعاً مع نفسه:** هل يظل على شركه ليعيش آمناً مطمئناً بين قومه وعشيرته الذين

(١) سورة الحاقة: الآيتان: (٤٠-٤١) .

(٢) الكاهن: هو الذى يدعى معرفة الغيب ويقوم بخدمة المعبد .

يحاربون كل من أسلم أم يُسلم ويعادى قومه وعشيرته وبخاصة وأن له مكانة كبيرة في قريش فهو سفير قريش .

ومن أجل ذلك تأخر إسلام (عمر) قليلاً لكن الله هياً له الأسباب التي جعلت قلبه ينشرح للإسلام .

فقد كان النبي ﷺ يدعو في ذلك الوقت ويقول: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»^(١)

ففى يوم من الأيام علم عمر أن النبي ﷺ وبعض أصحابه قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا فأخذ سيفه يريد قتل النبي ﷺ فلقيه رجل من بنى زُهرة - وهم أخوال النبي ﷺ -

فقال له: إلى أين يا عمر؟

قال: إلى محمد لأقتله فقد فرّق أمر قريش وعاب دينها وسب أهتها.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٦٨١) كتاب المناقب وصححه العلامة الألبانى فى صحيح سنن الترمذى (٢٩٠٧).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فقال له الرجل: وهل تظن أن بنى هاشم وبنى عبد مناف سيتركوك تمشى على الأرض بعدها دون أن يقتلوك بعد أن قتلت محمداً؟

فقال له عمر: يبدو أنك قد صبأت وتركت دين قومك واتبعت محمداً. بشر مائة منكم بما نزل به الله **قال الرجل:** ألا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال عمر: وأي أهل بيت؟ يا بنو عبد مناف **قال الرجل:** لقد أسلمت أختك فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد واتبعا محمداً على دينه.

فرجع عمر وذهب إلى أخته فاطمة وزوجها سعيد ابن زيد رضي الله عنهما وكان خباب بن الأرت رضي الله عنه يجلس معهما يُعلمهما القرآن وكان معه صحيفة مكتوب فيها سورة (طه).

فلما اقترب عمر من بيت أخته سمع صوت رجل يُعلمها القرآن فلما دخل اختبأ خباب في مكان من البيت.

فقال عمر لأخته: ما هذا الصوت الذي سمعته؟

قالت: ما سمعنا شيئاً. إلهها ما تستدعيه بعمه وثقت
فقال لها عمر: لقد سمعت أنكما اتبعتما محمداً على
دينه. **قالت:** يا كافر! يا كافر! لا نرى إلهاً غير إلهنا فإلهنا
فقال له سعيد: أما آن الآوان يا عمر لأن تُسلم لله وتدع
الأصنام التي يعبدها قومك. **فقال لها عمر:** يا
فقام عمر وضربه ضرباً شديداً حتى طرحه أرضاً
فقامت فاطمة لتدافع عن زوجها فضربها عمر حتى سالت
الدماء من وجهها. **فقال لها عمر:** يا كافر! يا كافر!
فقالت له: نعم لقد أسلمنا لله... أشهد أن لا إله إلا
الله وأشهد أن محمداً رسول الله... فاصنع ما بدا لك...
فلما رأى عمر الدماء تسيل من وجه أخته رق قلبه لها
رقة شديدة وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي
بيدك. **فقال لها عمر:** ما حلفت بعمه بعمه بعمه
فقالت له: إنني أخشى أن تمزقها. **فقال لها عمر:**
فحلف لها عمر أن لن يمسها بسوء. **فقال لها عمر:**
فقالت له: إنك مشركٌ نجسٌ وهذه الصحيفة لا يمسها
إلا المطهرون فقم واغتسل.

فقام عمر فاعْتَسَلَ ثم عاد إليها وأخذ منها الصحيفة وبدأ يقرأ فيها ﴿طه﴾ (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴿ حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١).

فأحسَّ عمر بروعة القرآن وعظمته فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج من مخبئه وقال له: أبشر يا عمر فقد سمعت رسول الله يدعو فيقول: «اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام» وإني لأرجو الله أن تكون أنت يا عمر.

فقال عمر لخباب: يا خباب دلني على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من فتحة بالباب، فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ

(١) سورة طه: الآيات: (١-١٤).

ﷺ وهو فزع، فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له، فإن كان يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «أئذن له»، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بردائه، ثم جذبه جذبة شديدة وقال: «ما جاء بك يا ابن الخطاب؟»، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنزل الله بك قارعة»؛ فقال عمر: يا رسول الله، جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله، قال: فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة، عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم.

وأصر على أن يخرجوا جميعاً أمام المشركين ليعرفوا أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء.

* وخرج المسلمون لأول مرة يجهرون بكلمة التوحيد أمام المشركين في صَفَيْنَ.. على رأس الصف الأول عمر ابن الخطاب.. وعلى رأس الصف الثاني حمزة بن عبد

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

المطلب . فعرف المشركون أن المسلمين قد أصبحوا أقوياء -
بفضل الله جل وعلا - .

إن إسلام (عمر) كان فتحاً

ولقد كان إسلامه سبباً عظيماً في ظهور الإسلام
وقوته، وذلك لما كان يتميز به من القوة والشجاعة فكان لا
يخاف في الله لومة لائم .

* قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزة منذ أسلم
عمر» (١) .

وقال عبد الله بن مسعود: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن
هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة، ولقد كنا ما
نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً
حتى صلى عند الكعبة، وصلينا معه .
وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب
رسول الله ﷺ إلى الحبشة .

* * *
(١) صحيح: زواه البخاري (٣٦٨٤) كتاب المناقب، رقم: ١٠٠٠٠

نعمة الإسلام

وبعد ما أسلم عمر وأعلن التوحيد لله جل وعلا أصبح إنساناً آخر فلقد غيره الإيمان والإسلام فبعد أن كان حريصاً كل الحرص على أن يقتل النبي صلى الله عليه وسلم أصبح يتمنى أن يفدى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله وأولاده.

وبعد أن كان يعذب المسلمين أصبح رقيق القلب رحيمًا بكل من حوله حتى أننا سنراه قريباً بعد أن أصبح أميراً للمؤمنين يجلس بجوار البعير المريض ويكي ويقول: والله ما أدري ما بك وإني لأخشى أن يسألني الله عنك يوم القيامة.

وبعد أن كان يصد الناس عن الإسلام أصبح يتمنى أن يُسلم الكون كله لله جل وعلا.

عاش عمر رضي الله عنه في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم منه ويتربى بين يديه ويفديه بنفسه ويدافع عنه ويبذل كل ما يستطيع لخدمة هذا الدين العظيم.



زواجها من خنيس بن حذافة

وهكذا نشأت حفصة رضي الله عنها في بيت أبيها الذي كان
مُقرَّباً من رسول الله صلَّى الله عليه وآله . . . فنشأت نشأة إيمانية
مباركة .

ولما اكتملت أنوثتها رضي الله عنها تقدَّم لها أحد السابقين إلى
الإسلام (خنيس بن حذافة) وهو أخو (عبد الله بن
حذافة) رضي الله عنهما فتزوجها خنيس وعاشت معه في سعادة
غامرة في ظل الإيمان والطاعة .

وكان خنيس قد أسلم قبل دخول النبي صلَّى الله عليه وآله دار
الأرقم بن أبي الأرقم وكان إسلامه على يدي أبي بكر
الصديق رضي الله عنه .

فَضَرُوا إِلَى اللَّهِ

واشْتَدَّ إِيْذَاءُ الْمُشْرِكِينَ لِأَصْحَابِ الْحَبِيبِ صلَّى الله عليه وآله فَأَشَارَ
النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَكَانَ
خُنَيْسٌ مِمَّنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّ

الإيذاء والتعذيب يزداد يوماً بعد يوم أخذ زوجته حفصة وهاجرا إلى يثرب (المدينة المنورة) بعدما أذن الحبيب ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة. وهناك عاش الزوجان في رحاب الأنصار وازدادت سعادتهما بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة - الذي لما دخل المدينة أضاء منها كل شيء - وما أجملها والله من حياة مع الحبيب ﷺ.

فراق مؤلم

ولما كانت غزوة بدر التي كتب الله فيها النصر والعزة للمسلمين... كان خُنَيْسُ بْنُ خَدِيجٍ من أبطال تلك الغزوة فقد كان يشتهي ويتمنى الشهادة من أعماق قلبه فلما شارك في تلك الغزوة أصيب بجراحات كثيرة في جسده ومع ذلك ظل يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. ولما انتهت غزوة بدر عاد خُنَيْسُ إلى المدينة متأثراً بجراحه.

ومات هذا الصحابي الجليل الذي بذل نفسه لله - جل وعلا - وفاز بأعظم منقبة فقد صَلَّى عليه الحبيب ﷺ

ودفنه بالبقيع إلى جانب قبر الصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه. رواه أحمد بن حنبل في مسنده وهكذا كان الفراق المؤلم... وهكذا ترملت حفصة رضي الله عنها وهي في سن مبكرة وحزنت لموته حزناً كاد أن يمزق قلبها، لكنها كانت في قمة سعادتها لأنه مات ميتة كريمة وسوف تشهد له جراحه التي كانت كلها في سبيل الله - جل وعلا - .

هكذا أصبحت أمًا للمؤمنين

وتألم عمر لابنته الشابة التي ترملت في الثامنة عشرة من عمرها. رواه ابن جرير في مسنده وأوجعه أن يلمح الترميل يغتال شبابها، ويمتص حيويتها، ويخنق صباها، وبدأ يشعر بانقباض أليم كلما دخل بيته، ورأى ابنته في حزنها، فبدا له - بعد تفكير طويل - أن يختار لها زوجاً، قد تأنس إلى صحبته ^(١).

(١) صور من سير الصحابييات (ص: ١١٣).

فعرضها أبوها على أبي بكر، فلم يُجبه بشيء؛
وعرضها على عثمان، فقال: بدا لي ألا أتزوج اليوم.
فحزن منهما وانكسر قلبه وشكا حاله إلى النبي ﷺ.
فقال: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان؛ ويتزوج عثمان
من هي خير من حفصة» فتزوج النبي ﷺ حفصة.
وتزوج رسول الله ﷺ عثمان بابنته أم كلثوم بعد
وفاة أختها رقية.

ولما أن زوجها عمر، لقيه أبو بكر، فاعتذر، وقال: لا
تحزن مني فإن رسول الله ﷺ، كان قد ذكر حفصة؛
فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها^(١).
وتزوج رسول الله ﷺ حفصة سنة ثلاث من
الهجرة قبل غزوة أحد وأصدقها أربعمئة درهم، وكان
ذلك أعظم إكرام ومنة وإحسان لحفصة وأبيها ﷺ.



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٠٥) كتاب المغاري، بنحوه.

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٠٠٥) كتاب المغاري، بنحوه.

مكانتها العالية

وكانت حفصة رضي الله عنها تحتل مكانة عالية في قلب النبي عليه السلام بل وكانت منزلتها بين أزواجه أيضاً عالية.

حتى كانت أمنا عائشة رضي الله عنها تقول عنها: هي التي كانت تساميني من أزواج النبي عليه السلام (١).

غير أن حياة أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن لم تخلُ من بعض المشاعر البشرية التي تعتربها الغيرة أو التنافس أو ما شابه ذلك، ولذا فقد كان النبي الحبيب عليه السلام يعالج أموره بالتربية الإلهية في بيته مع زوجاته ومع أصحابه وأمه، ويأخذ بيد الجميع إلى جادة الصواب (٢).



(١) السير / للذهبي (٢ / ٢٢٧).

(٢) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٢٣٠).

تسابق إلى مرضاة الحبيب صلى الله عليه وسلم

ولقد عاشت حفصة رضي الله عنها مع الحبيب صلى الله عليه وسلم أجمل أيام عمرها فكانت كل يوم تزداد علماً وفقهاً وطاعة لله - جل وعلا - . . . ولم لا؟ وهي التي تنهل من النبع والمعين الصافي.

ولقد كانت تتسابق مع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لا تدخر جهداً في إدخال السعادة والسرور عليه صلى الله عليه وسلم فكانت كل لحظة تمر عليها وهي بجوار النبي صلى الله عليه وسلم تجعلها تقترب من الله أكثر وأكثر، فلقد تعلمت من الحبيب صلى الله عليه وسلم كل طاعة تُقربها من الله عز وجل.

وهكذا تكون الحياة الزوجية التي تجعل السعادة ترفرف على البيت.



إنها زوجة النبي ﷺ في الجنة

وفي يوم من الأيام طلق الحبيب ﷺ حفصة رضي الله عنها فانكسر قلبها وأظلمت الدنيا كلها في عينيها وهي لا تصدق أن زوجها وحييها ونبيها ﷺ قد طلقها... وإذا بالأمين جبريل - عليه السلام - ينزل بأمر من الملك - جل جلاله - يشق السموات السبع ليأمر الحبيب ﷺ بأن يراجعها ويردها مرة أخرى.

فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ ، طلق حفصة تطلقه، ثم راجعها بأمر جبريل - عليه السلام - له بذلك، وقال: «إنها صوامة، قوامة، وهي زوجتك في الجنة» (١)

وبالها من منقبة عظيمة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها... فهذا هو قدر أمنا حفصة رضي الله عنها عند الله عز وجل.



(١) صحيح: رواه أبو داود (٢٢٨٣) كتاب الطلاق، والنسائي (٣٥٦٠) كتاب الطلاق، وابن ماجه (٢٠١٦) كتاب الطلاق، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٠٠٧).

علمها وفقهها

عُرِفَتْ أُمُّنا حَفْصَةُ رضي الله عنها بِالْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَالتَّقْوَى، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ أَحْلَتْهَا مَحَلًّا كَرِيمًا لَدَى رَسُولِ اللَّهِ الْكَرِيمِ صلوات الله عليه، وَظَلَّتْ تَحْتَفِظُ بِالْمَكَانَةِ نَفْسَهَا فِي عَهْدِ الْخِلاَفَةِ الرَّاشِدَةِ وَخِصُوصًا فِي خِلاَفَةِ وَالِدِهَا، فَكَثِيرًا مَا كَانَ يَرْكُنُ إِلَى آرَائِهَا وَأَحْكَامِهَا الْفَقْهِيَّةِ، وَكَانَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ رضي الله عنها مَرْجَعًا لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي مَجَالِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَالْعِبَادَةِ، وَقَدْ كَانَ أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْمُقْتَدَى بِرَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه يَتَلَقَى عَنْهَا مَا رَأَتْهُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه.

أَضِيفَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ قَدْ اخْتَارَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةَ مِنْ بَيْنِ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ صلوات الله عليه لِتَكُونَ حَافِظَةَ الْقُرْآنِ الَّذِي جَمَعَهُ، . . . وَلَعَلَّ اخْتِيَارَ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ لَهَا لِتَلِكِ الصِّفَاتِ الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا مِنَ التَّقَى وَالْعِلْمِ نَاهِيكَ أَنَّهَا كَانَتْ تَتَقَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي عَهْدِهَا، فَقَدْ كَانَ قَلِيلٌ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ فَكَيْفَ بِالنِّسَاءِ؟

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

لذا فقد كانت أم المؤمنين حفصة التلميذة النبوية النجيبة التي نقلت كثيراً من الأحكام النبوية إلى الناس (١).

وفاة الحبيب ﷺ

وظلت حفصة رضي الله عنها مثلاً للزوجة الوفية الصادقة التي لا تدخر جهداً في إسعاد زوجها عليه السلام. وما زالت السعادة تخيم على هذا البيت المبارك إلى أن جاء اليوم الذي أظلم فيه الكون كله لما توفى الحبيب عليه السلام فاعتصر قلبها من الحزن على وفاة النبي عليه السلام الذي كان زوجها وحييها ونبيها عليه السلام. وظلت رضي الله عنها بعد وفاة الحبيب عليه السلام على عهدا عابدة لله - جل وعلا - حتى كانت يشهد لها القريب والبعيد بفضلها في الصلاة والعبادة.



(١) نساء مبشرات بالجنة (ص: ٢٣٦).

الفاروق يتولى الخلافة

ولما تولى الفاروق رضي الله عنه خلافة المسلمين لم تتغير حفصة رضي الله عنها بل ظلت تعيش حياة الزهد والتقشف تتقرب إلى الله تعالى يوماً بعد يوم بكثرة الصيام والقيام لأنها تعلم يقيناً أنه لا ينفعها سلطان والدها وإنما ينفعها عملها الصالح الذي تقف به بين يدي الله عز وجل.

مقتل الفاروق رضي الله عنه

وكانت حفصة رضي الله عنها تشهد أمجاد أبيها ومآثره وزهده وورعه وعدله وفتوحاته إلى أن جاء اليوم الذي قُتل فيه بطعنات غادرة من خنجر أبي لؤلؤة المجوسى - عليه من الله ما يستحقه - ونام الفاروق فى اللحظات الأخيرة من عمره المملء بالبذل والعطاء والتضحية والفداء فدخلت عليه ابنته حفصة رضي الله عنها وبكت ساعة لموته ثم خرجت وهى تحتسب أباها عند الله عز وجل.



حملت أمانة القرآن على أعناقها

لقد حملت أمنا حفصة رضي الله عنها أمانة القرآن على أعناقها فهي التي اختارها أبو بكر رضي الله عنه ليحفظ عندها القرآن الذي جمعه زيد بن ثابت . . وظلت الصحف التي جُمع فيها القرآن عندها إلى عهد عثمان رضي الله عنه حتى جمعها في مصحفٍ واحدٍ .

وها هي قصة جمع القرآن

جهَّز أبو بكر رضي الله عنه جيشًا بقيادة خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة لمحاربة (مسيلمة الكذاب) - عليه من الله ما يستحقه- ، فحاربوه أشد محاربة إلى أن خذله الله، وقتله . . . وقُتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة من حملة القرآن، قيل: سبعمائة، وقيل: أكثر وذلك في موقعة اليمامة، فبدأ التفكير في جمع القرآن قبل أن يُقتل الباكون .

ولنستمع القصة من كاتب وحي رسول الله ﷺ زيد ابن ثابت رضي الله عنه .

يقول زيد: أرسل إلى أبو بكر الصديق عقب مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد كثر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن كثر القتل بالقراء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيف نفع شيئاً لم يفعله رسول الله صلوات الله عليه وآله؟! عنه

قال عمر: هذا والله خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلوات الله عليه وآله، فتتبع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. . .

قال: فتتبع القرآن أجمعه من الحجارة وجريد

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

النخل وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجد لها مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (١) حتى خاتمة السورة.

فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته - أي طوال حياته - ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها (٢).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه أرسل إليها ليأخذ الصحف من عندها ليجمع القرآن في مصحف واحد.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إليك

(١) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٤٩٨٦) كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن، والترمذي في التفسير، والنسائي (٢٩٣/٥) كتاب المناقب.

بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق^(١) .



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٨٦) كتاب فضائل القرآن.

وحان وقت الرحيل

فى سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية، شعرت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بقرب اللقاء مع الله عز وجل ومع الأحبة، ولم تمض بضعة أيام من شهر شعبان من تلك السنة حتى لحقت بالرفيق الأعلى^(١).

وطار الخبر فى أرجاء المدينة أن توفيت حارسة القرآن زوج النبى ﷺ، وأقبل الصحابة الكرام لتشيع جنازتها وفى مقدمتهم سيدنا أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضي الله عنهما، وصلى عليها والى المدينة آنذاك مروان ابن الحكم، ودُفنت فى البقيع، ونزل فى قبرها إخوتها عبد الله وعاصم، وسالم وعبد الله وحمزة بنو أخيها عبد الله بن عمر رضى الله عنهم جميعاً - . . . وكان عمرها عندما توفيت ثلاثاً وستين سنة رضي الله عنها، وكانت قد أوصت إلى أخيها عبد الله بمال وصدقة.

وهكذا رحلت أمانا حفصة رضي الله عنها بعد حياة طويلة مليئة بالعبادة والبذل والتضحية والفداء. . . رحلت لتلحق

(١) صفة الصفوة (٢ / ٤٠) والطبقات (٨ / ٨٦).

حفصة بنت عمر رضي الله عنها

بزوجها وحبیبها ونبیها محمد صلی الله علیه وسلم فی جنة الرحمن... نعم فهی التي قال عنها جبریل - علیه السلام - للنبی صلی الله علیه وسلم : «إنها صوامة قوامة وهی زوجتك فی الجنة»^(١).

فرضی الله عنها وأرضاها وجعلها فی صحبة الحبيب صلی الله علیه وسلم فی جنته ومستقر رحمته إنه ولی ذلك والقادر علیه^(٢).



(١) صحیح : وقد تقدم.
(٢) صحایب حول الرسول (١٧٢ - ١٨٢) بتصرف.

زينب بنت خزيمة
رضي الله عنها

زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

حبايبي الحلوين:

وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على
أم فاضلة من أمهات المؤمنين .
ها نحن نُحلق في سماء تلکم الزهرة النقية التقية التي
لم تكن أمًا للمؤمنين فحسب بل كانت أمًا للمساكين . . .
إنها الكريمة التي حُبَّ إليها الجود والإنفاق فكانت لا
يأتيها درهم ولا دينار إلا أنفقته على الفقراء والمساكين
حتى لُقبت بأم المساكين .
فتعالوا بنا لنفتح تلك الصفحة المباركة التي نتعرف من
خلالها: على أمنا الحبيبة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .



هكذا كانت بدايتها المباركة

لقد وُلدت أمنا الحبيبة زينب بنت خزيمة رضي الله عنها في مكة قبل بعثة النبي بثلاثة عشر سنة تقريباً.
وكانت طيبة رقيقة القلب تحب الخير لكل الناس من حولها. . . ولذا كانت رحيمة بالفقراء واليتامى والمساكين.
وكانت ترى أحوال الناس في الجاهلية فستبكي مما تراه من جاهلية بغیضة وسوء في الأخلاق والمعاملات. . .
وكانت تتمنى أن يرسل الله من يُنقذ البشرية من هذا الضلال.

وما هو إلا فترة يسيرة حتى سمعت ببعثة النبي صلوات الله عليه وآله
ففرحت أشد الفرح وكانت في ذلك الوقت صغيرة في السن لكنها كانت تسمع الناس يقولون عن النبي صلوات الله عليه وآله
قبل البعثة أنه الصادق الأمين.

ومن أجل ذلك لم تتردد لحظة واحدة في أن تكون من السابقات إلى الدخول في الإسلام فكانت ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ

تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبدأ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١﴾ .

فعاشرت في رحاب الإسلام من مهده ورأت كيف كان المسلمون يضحون بكل شيء من أجل أن يظفروا بنعمة التوحيد فازدادت ثباتاً واستمساكاً بدينها فكانت صائمة قائمة عابدة لله جل وعلا لا تفتقر لحظة عن ذكر الله ولا عن الإنفاق على الفقراء والمساكين حتى لُقبت بأم المساكين . . . وهي أخت أم المؤمنين ميمونة لامها .

زواجها قبل أن تدخل بيت النبي صلوات الله عليه وآله

وكانت أمنا الغالية زينب بنت خزيمة رضي الله عنها زوجة للصحابي الجليل عبد الله بن جحش رضي الله عنه قبل أن تكون زوجة للنبي صلوات الله عليه وآله وأماً للمؤمنين .

تزوجها عبد الله بن جحش الذي كان ابن عمه رسول الله صلوات الله عليه وآله وفي الوقت ذاته فهو صهر رسول الله صلوات الله عليه وآله وذلك لأن النبي صلوات الله عليه وآله تزوج أخته زينب بنت جحش رضي الله عنها التي أمر الله نبيه صلوات الله عليه وآله بزواجها من فوق سبع سماوات .

(١) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

ومرت الأيام وكانت زينب بنت خزيمة تعيش في
سعادة وهناء مع زوجها عبد الله بن جحش لكن الأيام
الجميلة تمر سريعاً فقد حان وقت غزوة أحد ودخل عبد
الله بن جحش ليجاهد في سبيل الله جل وعلا فلقبه
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فقال له عبد الله: يا سعد هيا بنا ندعو عسى الله أن
يرزقنا الشهادة في سبيله.

فقام سعد بن أبي وقاص يدعو الله أن يرزقه الشهادة
ثم قام عبد الله بن جحش وسأل الله أن يرزقه الشهادة
على يد رجل قوى شديد لا يكتفى بقتله فحسب... بل
يقطع أنفه وأذنه فيكون ذلك كله في سبيل الله.

ودارت رحى الحرب وسارع عبد الله بن جحش إلى
المعركة خلف خاله حمزة بن عبد المطلب يصول ويجول،
ويقاتل الأعداء بشدة وبأس، وهو عازم على الشهادة...
وكادت قريش أن تنهزم لولا أن غادر الرماة مواقعهم في
الجبيل هابطين إلى الميدان ليجمعوا الأموال والأسلاب،
وهناك تغير وجه المعركة، فاستشهد عدد كبير من

المسلمين ، وفي هذه الأثناء كان عبد الله يضرب بسيفه كل من يقابله من المشركين حتى لقيه أبو الحكم بن الأحنس بن شريق فصوب إلى عبد الله ضربة قاضية. فسقط شهيداً بدمائه الزكية الطاهرة. عن أبي بصير

ومرَّ عليه سعد بن أبي وقاص فوجده مقتولاً وقد قُطعت أنفه وأذناه كما تمنى فقال عنه سعد: صدق الله فصدقه الله. عن أبي بصير

ولما انتهت غزوة أحد وقف الحبيب صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن جحش فحزن عليه حزناً شديداً. وأمر بدفنه مع حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد. عن أبي بصير

وهكذا أصبحت أمًّا للمؤمنين

ولما استشهد زوجها في سبيل الله - جل وعلا - ما كان منها إلا أن احتسبته عند الله ورضيت بقضاء الله عز وجل فهي صاحبة القلب الذي امتلأ إيماناً وتوكلاً و يقيناً وثقة في الله عز وجل .

لقد كانت تشعر في قرارة نفسها بأن الله سيعوضها

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

خيراً وسيرزقها زوجاً هو خير من زوجها الأول ولكن يا ترى من هو هذا الزوج الكريم؟! .
إنها لم يخطر ببالها لحظة واحدة أنها ستكون زوجة لسيد الأولين والآخرين ﷺ ولكن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كُنْ فيكون... . فما إن انقضت عدتها وإذا برسول الله ﷺ يتقدم لخطبتها وإذا بها تتساءل مع نفسها: يا ترى من الرجل الذي يتولى أمر زوجي؟ وما هي إلا لحظات حتى قالت في نفسها: وهل هناك خير من رسول الله ﷺ فجعلت أمرها إليه فالرسول ﷺ هو خير من يتولى أمرها ويرعى شأنها.
ولقد أصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم وبني لها حجرة متواضعة بجوار حجرة عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر رضي الله عنهم جميعاً.
وهكذا أصبحت زينب رضي الله عنها أمّاً للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ .

هكذا ازدادت رافة ورحمة بالمساكين

ولقد كانت أمنا زينب رضي الله عنها رحيمة بالمساكين حتى قبل البعثة فلما أسلمت ازدادت رحمة ورافة بهم... ولما أصبحت زوجة للحبيب صلوات الله عليه ازدادت رافة ورحمة بالمساكين فلقد كانت ترى في كل لحظة ينابيع الرحمة تتدفق من قلب الحبيب صلوات الله عليه بل كانت ترى إحسانه وعطفه على فقراء المؤمنين وكانت تسمع النبي صلوات الله عليه وهو يحضّر المسلمين على الإنفاق على الفقراء والمساكين ويرتفع بقلوبهم وأرواحهم إلى درجة الإيثار.

فلقد كانت تسمع النبي صلوات الله عليه وهو يقول: «ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكًا تلقًا» (١).

وكانت تسمعه يقول: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة» (٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٤٢) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠١٠) كتاب الزكاة.
(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٢١٣/١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

وكانت تسمعه وهو يقول: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة، أحب إلى من أن أعتكف فى المسجد شهراً، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق يُفسد العمل، كما يفسد الخل العسل»^(١).

فكانت تسمع هذا الكلام المبارك فتسمو نفسها ويتطلع قلبها إلى النعيم الدائم فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فكانت لا تدخر درهماً ولا ديناراً... فهى التى كانت تُسمى فى الجاهلية «أم المساكين» فكيف بحالها وقد أصبحت أمًّا للمؤمنين.

(١) حسن: أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب قضاء الخواص (ص ٤٧ ، رقم ٣٦)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٦).

جعلت وقتها كله لله - جل وعلا -

كانت السيدتان النييلتان عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر رضي الله عنهما، أسبق من زينب أم المساكين إلى دخول البيت النبوي الطاهر الكريم؛ وكان لهاتين الكريمتين: عائشة وحفصة، مكانة كبرى، ومنزلة عظمى عند رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ولذلك لم تستشعر عائشة، ولا حفصة، نحو الوافدة الجديدة زينب بنت خزيمة أية غيرة، أو أي شيء من دوافع الغضب الأنثوي. بعض النساء ساءت بالله

وأما زينب بنت خزيمة أم المساكين، فلم تكن راغبة هي الأخرى في منافسة عائشة وحفصة اللتين سبقتاها إلى بيت النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

كانت زينب بنت خزيمة عليها سحابات الرضوان، تعيش في عالم العطف والمودة والحنان، وتعيش في دفاء الإسلام وعظمته، فكانت تحسّ سعادة عظيمة في رحمة المساكين، وفي رقتها عليهم ورفقها بهم، والإحسان إليهم، فجعلت وقتها كله في عبادة الله عز وجل، ثم في

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

رعاية المساكين وإطعامهم، والتصدق عليهم، ولهذا غلب عليها تسمية أم المساكين.

في رحاب الحبيب ﷺ

وعاشتنا أمنا زينب رضي الله عنها في رحاب الحبيب ﷺ أجمل أيام عمرها فكانت ملازمة للنبي ﷺ تأخذ من هديه ودلّه وعلمه وأخلاقه ورحمته فكانت تزداد إيماناً يوماً بعد يوم حتى كانت لا تطمح نفسها في أي شيء من حُطام الدنيا الزائل بل كانت تشتاق إلى رضوان الله - جل وعلا - وإلى جنته التي أعدها لعباده الصالحين.



وحان وقت الرحيل

وظلت خلال هذه الفترة اليسيرة التي عاشتها في بيت النبي صلوات الله عليه وآله عابدة صائمة قائمة لله - جل وعلا - ... ولكنها لم يطل مقامها عند رسول الله صلوات الله عليه وآله كثيراً فما هي إلا شهور قليلة حتى جاءت اللحظة التي نامت فيها أمنا زينب رضي الله عنها على فراش الموت لتكون أول زوجة للنبي صلوات الله عليه وآله تموت في المدينة.

فلما ماتت تجددت الأحزان في قلب رسول الله صلوات الله عليه وآله فتذكر بموتها موت خديجة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين . وهكذا دخلت زينب بنت خزيمة رضي الله عنها بيت رسول الله صلوات الله عليه وآله في هدوء الأبرار وصمت العابدين، وخرجت في صمت الخاشعين لتُدفن في البقيع وتفوز بصلاة رسول الله صلوات الله عليه وآله عليها والدعاء لها.

لقد توفيت أم المساكين، ولم تر شيئاً عن النبي صلوات الله عليه وآله .

ولعل هذا يعود إلى انشغالها بأحوال المساكين، وإلى قلة مكثها في بيت رسول الله صلوات الله عليه وآله .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وهكذا رحلت أم المساكين التي لم تبخل لحظة واحدة عليهم، بل جادت بكل ما تملك لتجد ذلك كله عند الله - جل وعلا - الذي لا تضيع عنده الودائع... فلقد كانت تنقل عيشها من دنياها لأخراها لتسعد في الجنة بالنعيم الذي لا ينقطع ولا يزول.

قال تعالى: ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿ (١)

ولا تملك ونحن نودع أمنا الغالية إلا أن نتلو قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿ (٢)

فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها (٣).

(١) سورة الزخرف: الآيات: (٦٨-٧٣).

(٢) سورة القمر: الآيات: (٥٤، ٥٥).

(٣) صحايبات حول الرسول/ للمصنف (ص: ١٨٦ : ١٩١) بتصرف.

أم سلمة رضي الله عنها

حبايب الحلوين:

وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على
أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

إنها أم المؤمنين التي أحاط بها المجد من كل جانب .
فأبوها هو أبو أمية بن المغيرة القرشي . . سيد من
سادات قريش ورجل من أكرم وأجود الرجال في قريش
حتى إنه كان يقال له: (زاد الرأكب) لأن الرُكبان كانوا إذا
سافروا معه لا يحملون زاداً ولا طعاماً فقد كان يكفيهم
ويُعطيهم ويُغنيهم .

وأما زوجها فهو عبد الله بن عبد الأسد بن المغيرة أحد
العشرة السابقين إلى الإسلام فقد كان لم يُسلم قبله إلا
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعدد قليل لا يتجاوز عدد أصابع
اليدين .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وهي في نفس الوقت بنت عم خالد بن الوليد رضي الله عنه
سيف الله المسلول... وكان اسمها هند بنت أبي أمية
فلما أنجبت سلمة سُميت بأم سلمة.
فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها
العطرة.

نشأة عريقة وزيجة مباركة

نشأت هند في بيت عريق أصيل، يجمع المجد من
طرفي الجود والشجاعة، وكانت منذ صباها وفتوتها ذات
شخصية قوية تفرض احترامها، وكانت من أجمل النساء.
وحين بلغت أشدها واستوى عودها، تقدم لخطبتها
أحد فتيان قريش المعدودين، وفرسانها المشهورين،
وشجعانها الأبطال: عبد الله بن عبد الأسد بن مخزوم
(أبو سلمة)، وأمه برة بنت عبد المطلب بن هاشم عمه
النبي ﷺ، وكان أبو سلمة أخا للنبي ﷺ من
الرضاع، أرضعتها ثوية مولاة أبي لهب. رضي الله عنه
وتم الزواج، فسعدا بذلك سعادة كبرى^(١).

(١) صور من سير الصحابيات / السحيانى (ص: ١٧٧).

وكانت أم سلمة تعيش حياة النعيم والرِّخاء، والسَّعةِ
 ينفق عليها زوجها ويرعاها، ويحنو عليها حنوَّ المرضعاتِ
 على الطفل الصغير، فقد عُرِفَتْ بين أترابها بكمالِ
 طلعتها، وجمالِ روحها، ورقَّةِ طبعها، ناهيك بكرمِ
 والدها الذي غطى رجال مكة وما حولها. ص: ٢٢٦
 لكنها، وفي غضون أيام، تترك هذا النعيم كلَّه، لتنتقل
 إلى نعيم رُوحى آخر، عبقت مكة كلها بأريجه، إنه عقبُ
 الإسلام الذي يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم، وسارعت أمُ
 سلمة وزوجها إلى الإيمان بالله، فكانا من السعداء ^(١).
 وهكذا انتظم الزوجان في ركب الإيمان منذ المراحل
 الأولى.

الهجرة إلى الحبشة

لما علم المشركون بإسلام هند (أم سلمة) وزوجها
 سلطوا عليهما وعلى كل المؤمنين ألواناً من العذاب
 وحاولوا بشتى الوسائل والأساليب أن يردوهم عن
 دينهم.

(١) نساء أهل البيت (ص: ٢٢٧).

فلما رأى رسول الله ﷺ ما يُصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» (١) فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام... فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، اتهموا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقتة (٢).

(١) صحيح: أخرجه البيهقي في «السنن» (٩/٩) وفي «الدلائل» (٢/ ٣٠١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٣١٩٠).

(٢) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٥) والبطارقة: جمع بطريق وهو القائد أو الحاذق في الحرب.

أم سلمة رضي الله عنها تحكى قصة المسلمين مع النجاشي

كانت أم سلمة رضي الله عنها من أوائل المهاجرين إلى الحبشة وهناك ولدت لزوجها أبي سلمة ابنته زينب ثم بعد ذلك ولدت له سلمة وعمر ودرة.

وها هي تروى فى إحدى الجلسات المباركة قصة الهجرة إلى الحبشة وتقول: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار (النجاشي) أمناً على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نُؤذَى ولا نسمع شيئاً نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدتين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم^(١) فحملوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقًا إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن

(١) الأدم: الجلود وهو اسم جمع.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

يكلّمهم، قالت: فخرجنا حتى قدّمنا على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارفته بطريق، إلا دفعنا إليه هديته قبل أن يكلّمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم إنه قد ضوى ^(١) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يُسلمهم إلينا ولا يكلّمهم، فإن قومهم أعلى بهم عيناً ^(٢) وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما: نعم، ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي، فقبلها منهما، ثم كلّمناه فقالا له:

أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم

(١) ضوى: لجأ واتى ليلاً.

(٢) أعلى بهم عيناً: أى أبصر بهم.

إليهم، فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. لأنه سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين

قالت (أم سلمة): ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله ابن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ^(١) من أن يسمع كلامهم النجاشي... قالت: فقالت بطارقتة خوله: صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. لأنه سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاها الله، إذا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادى، واختاروني على من سواى، حتى أدعوهم فأسالهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني. لأنه سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم فدعاهم. لأنه سبحانه وتعالى لا يحب الظالمين

فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما

(١) كانت هذه القصة قبل إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

تقولون للرجل إذا جثتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته^(١)، فنشروا مصاحفهم حوله. وسألت أمة من زوجات النبي ﷺ عن رجل من بني النضير سألهم النجاشي، فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ **قالت:** فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه). **فقال له:** أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأسى الفواحش، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان... وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة

(١) الأساقفة: هم علماء النصارى الذين يقيمون لهم دينهم.

الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. (قالت: فعددت عليه أمور الإسلام) فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا على ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عباد الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قالت: قال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، قالت: فقرأ عليه صدراً من ﴿كَيْهَيْعَصَ﴾ (١).

(١) سورة مريم: الآية: (١).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

قالت: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون. بنا بنت عبد المطلب

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم^(١). بنا بنت عبد المطلب

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين: لا تفعل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبدٌ. بنا بنت عبد المطلب

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه. بنا بنت عبد المطلب

قالت: فأرسل إليهم؛ ليسألهم عنه. بنا بنت عبد المطلب

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم ثم قال

(١) خضراءهم: أي شجرتهم التي تفرعوا منها.

بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ يقول: هو عبد الله ورسوله وروحه

وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

قالت: فضرب النجاشى بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا

العود، قالت: فتناخرت^(١) بطارقتة حوله حين قال ما قال: فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضى

(والشيوم: الأمنون) من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لى ذبراً

(جبلًا) من ذهب، وأنى آذيت رجلاً منكم.

(١) تناخرت: أى تكلمت، وكأنه كلام من غضب ونفور.

رُدُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بهما، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين رَدَّ على مُلكى، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فى فاطبعم فيه. **قالت:** فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

قالت: فو الله إننا على ذلك إذ نزل به - يعنى من ينازع النجاشى فى ملكه - قالت: فو الله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزننا عند ذلك تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشى فيأتى رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه... قالت: وسار النجاشى وبينهما عرض النيل قالت: فقال أصحاب رسول الله ﷺ من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه أنا. **قالت:** وكان من أحدث القوم سناً قالت: فنفعوا له قربة فجعلها فى صدره ثم سبَّح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم قالت: ودعونا الله تعالى للنجاشى بالظهور (النصر) على عدوه

والتمكن له في بلاده، . . . وعاد الزبير ليشرهم بانتصار النجاشي على عدوه فكبر المسلمون وفرحوا بذلك فرحاً شديداً . . . واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة ^(١) .

ومرت الأيام على أم سلمة وزوجها، وهما والمهاجرون عند نجاشي الحبشة في خير جوار، حتى جاءت إليهم الأخبار تقص عليهم نبأ إعزاز الإسلام بدخول نفر كبير من أبناء قريش فيه، حينئذ رأى أكثر المهاجرين - وقد عَزَّ الإسلام ، ويات المسلمون لا يخشون اضطهاد قريش لهم - أن يعودوا إلى موطنهم مكة .

وعلى ذلك ارتحل إلى مكة نفر من المهاجرين، كان فيهم أبو سلمة وامراته أم سلمة رضي الله عنهما .

وفي الطريق جاءت الأخبار من جديد إلى القادمين تُعرفهم أن قريشاً حينما رأت دخول الناس في الإسلام أفواجاً ضاعفت من إيذائهم وزادت في اضطهادهم بل

(١) قال الشيخ الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي: أخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازي (١/ ٢١١-٢١٣ من ابن هشام) وأحمد (١٧٤٠) من طريق ابن إسحاق بسند صحيح .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

زادت أن كتبت على نفسها صحيفة علقتها في جوف الكعبة، آلت على نفسها ألا تتعامل مع بنى هاشم الذين انضموا إلى محمد، وألا يتعاملوا معها، وضربت عليهم حصاراً اقتصادياً وحاصرتهم في شعب أبي طالب، وهدفها من ذلك أن تُميت محمداً ﷺ ومن يناصره جوعاً.

ماذا يفعل القادمون من الحبشة، وقد واجهتهم هذه الأنبياء السيئة؟؟

أيعودون - ومنهم أم سلمة وزوجها - من حيث جاؤوا، أم يدخلوا مكة ليواجهوا من أذى قريش أكثر مما واجهوا قبل الهجرة؟.

وتشاور العائدون فيما يفعلون فقرر بعضهم أن يكروا راجعين من حيث جاؤوا وقرر البعض الآخر أن يدخل مكة ويلقى فيها ما يلقى المسلمون.



أبو سلمة وأم سلمة يدخلان مكة

وكان فيمن قرر دخول مكة أبو سلمة وزوجته أم سلمة
رضي الله عنهما .

ورأى أبو سلمة أن يدخل في جوار خاله أبي
طالب، عم رسول الله، ليجيره من أذى المشركين
ولكن بنى مخزوم لم يرضهم أن يحمي أبو طالب أبا
سلمة وقد طمعوا أن ينالوا من أبي سلمة حتى يفتنوه
عن دينه، فساروا إلى أبي طالب يقولون له: يا أبا
طالب؛ لقد منعت منا ابن أخيك محمداً، فما لك
ولصاحبنا تمنعه منا؟! .

قال أبو طالب: إنه استجار بي، وهو ابن أختي وإن لم
أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أختي .

وبقى أبو سلمة رضي الله عنه في جوار خاله أبي طالب،
وبموته - موت أبي طالب - نال المشركون من محمد
ﷺ ومن أتباعه ما لم ينالوه .

وبقيت أم سلمة رضي الله عنها إلى جانب زوجها تقاسي ما

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

يقاسى من الآلام والعذاب، حتى بايع الأنصار من أهل المدينة رسول الله ﷺ، فكانت هى وزوجها من أوائل من أعدوا أنفسهم لترك ديارهم وبلدهم، والمهاجرة إلى المدينة فى سبيل دين الله.

ولكن، هل استطاعت أم سلمة وزوجها أن ينجوا من إيذاء المشركين، وأن ينفذا إلى مطلبهما من تربص المتربصين؟! .

لا . . . فقد كان المشركون لا يزالون يطمعون فى أن يردوا أم سلمة وزوجها عن دين الإسلام، ولا يزال فى مقدورهم أن ينالوهما بالإيذاء، وأن يفتنوهما بالتعذيب، وكان لهم معهما قصة أليمة، كانت أم سلمة ترويها كما روت قصة هجرة المسلمين للحبيشة^(١).



(١) أزواج النبى / ١. عبد المنعم الهاشمى (مس: ٣٢٥ - ٣٢٧).

صبر واحتساب

ولقد تحملت أم سلمة رضي الله عنها الإيذاء الشديد عند هجرتها مع زوجها إلى المدينة المنورة فصبرت واحتسبت ذلك كله عند الله - جل وعلا - .

والآن، دعونا نعيش ثانية رحلة الهجرة إلى المدينة المنورة مع الأسرة الصابرة.

* وها هي أم سلمة رضي الله عنها تحكي قصة هجرتها إلى المدينة المنورة وتحكي قصة الابتلاء الشديد الذي تعرضت له عند الهجرة وتقول: لما أجمع أبو سلمة رضي الله عنه الخروج إلى المدينة، (أى فى الهجرة)، رحّل لى بغيره، ثم حملنى عليه، وجعل معى ابنى «سلمة بن أبى سلمة» فى حجرى، ثم خرج يقود بى بغيره. فلما رآته رجال بنى المغيرة قاموا إليه، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بها فى البلاد؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذونى منه. قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

قالت: فتجاذبوا ابني «سلمة» بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة.

قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي.

قالت: فكنت أخرج كل غداة، فأجلس في الأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسى سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي (أحد بني المغيرة) فرأى ما بي، فرحمني.

فقال لبني المغيرة: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟

قالت: فقالوا لي: الحقى بزوجك إن شئت.

قالت: فردّ بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني.

قالت: فارتحلتُ بعيري، ثم أخذت ابني، فوضعتَه في حجرى، ثم خرجتُ أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

فقال: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي

بالمدينة قال: أَوْ مَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قلت: مَا مَعِيَ إِلَّا اللَّهُ
وَبَنِي هَذَا.

فقال: وَاللَّهِ! مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ، فَأَخِذْ بِخَطَامِ الْبَعِيرِ،
فَانْطَلِقْ مَعِيَ يَهُوَى بِي، فَوَاللَّهِ! مَا صَحَبْتُ رَجُلًا مِنَ
العرب قط أرى أنه كان أكرم منه. وكان إذا بلغ المنزل أناخ
بي، ثم استأخر عني حتى إذا نزلت استأخر بعيري، فحطَّ
عنه، ثم قيَّده في الشجر، ثم تنحَّى إلى شجرة،
فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم
استأخر عني، وقال: اركبي، فإذا ركبت فاستويت على
بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل بي، فلم يزل
يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة.

فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء،
قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة بها
نازلاً - فادخلها على بركة الله. ثم انصرف راجعاً
إلى مكة.

فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما

أصاب آل أبي سلمة؛ وما رأيتُ صاحبًا قط كان أكرم من
عثمان بن طلحة (١).

في رحاب الحبيب ﷺ

ولما نزلت أم سلمة مع زوجها ﷺ في رحاب الأنصار
بالمدينة المنورة امتلأ قلبها بالسعادة والسرور... فلما أذن
الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة وإذا بالسعادة
تكتمل في قلب أم سلمة وزوجها ﷺ.

وفي ربوع المدينة المنورة عاش الزوجان يعبدان الله
تعالى ويتزودان ب زاد التقوى ويتعلمان الخير كله بين يدي
الحبيب ﷺ. وعكفت أم سلمة على رعاية وتربية
أولادها على حب الله ورسوله ﷺ حتى أصبح أولادها
من خيرة الصحابة الذين حازوا شرف الصحبة وهم:
زينب وعمر وسلمة ودرة.



(١) البداية والنهاية (٣/ ١٦٩)، ابن هشام (٢/ ٧٥، ٧٦).

صفحة من أرض الشرف والبطولة

وعلى الرغم من انشغالها بعبادة ربها عز وجل ومعرفة سنة نبيها صلوات الله عليه وآله وتربية أبنائها إلا أنها كانت تشجع زوجها دائماً على الخروج للجهاد في سبيل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله).

وحين قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وأعلن الجهاد ضد أعداء الملة والدين انخرط أبو سلمة في صفوف المجاهدين في سبيل الله تحت راية رسول الله صلوات الله عليه وآله يخوض غمار المعارك، ويبلى فيها أحسن البلاء، فكان له في بدر صولات وجولات.

ومضى عام، فإذا المشركون يتجهزون لقتال المسلمين وخرج المسلمون إلى أحد وهناك التقوا مع المشركين، وكان أبو سلمة رضي الله عنه من الجنود الأوفياء في الجيش الحمدي، وفي أحد رماه أبو أسامة الجشمي بسهم في عضده، ولما عاد المسلمون إلى المدينة مكث أبو سلمة شهراً يداوى جرحه ويعالجه، وبجانبه زوجته الوفية أم سلمة، تقوم على رعايته وخدمته إلى أن برأ جرحه.

وهكذا عرفت أنه أرض أحد إذ بلل ثراها بدمه الزكي الطاهر.

سرية أبي سلمة

ولما تجرأت بعض القبائل على المسلمين بعد غزوة أحد أرسل النبي ﷺ سرية أبي سلمة. وأول من قام ضد المسلمين بعد نكسة أحد هم بنو أسد بن خزيمة.

فقد نقلت استخبارات المدينة أن طلحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما، يدعون بني أسد بن خزيمة إلى حرب رسول الله ﷺ فسارع رسول الله ﷺ إلى بعث سرية قوامها مائة وخمسون مقاتلاً من المهاجرين والأنصار، وأمر عليهم «أبا سلمة» وعقد له لواء، وباغت أبو سلمة بني أسد بن خزيمة في ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم، فتشتتوا في الأمر، وأصاب المسلمون إبلاً وشاء لهم، فاستاقوها، وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين لم يلقوا حرباً.

ونجح أبو سلمة في مهمته، وعاد إلى المدينة ظافراً منتصراً، إلا أن جرحه الذي أصيب به يوم موقعة أحد ثم التأم، كان الثأمة ظاهراً سطحياً، فقد عاد فانفجر عليه، وما زال به حتى أسقمه وألزمه الفراش أياماً طويلة.

وفاة أبي سلمة رضي الله عنه

بقيت أم سلمة رضي الله عنها إلى جانب زوجها تمرضه وتعتنى به، وداوم الرسول صلوات الله عليه عيادته وزيارته والسؤال عنه، فهو صاحبه وابن عمته، وظل على هذه الحال، حتى نزل قضاء الله في أبي سلمة، فلفظ أنفاسه والنبي صلوات الله عليه بجانب فراشه يدعو له بخير حتى مات.

ولما نام أبو سلمة على فراش الموت دار بينه وبين زوجته أم سلمة رضي الله عنها هذا الحوار الروحاني.

قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تزوج، إلا جمع الله بينهما في الجنة. فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدى، ولا أتزوج بعدك. قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم. قال: إذا

مِتْ تَزَوِجِي . اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلْمَةَ بَعْدِي رَجُلًا خَيْرًا مِنِّي ، لَا يُحْزِنُهَا وَلَا يُؤْذِيهَا .
ودخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شقَّ بصره فأغمضه ثم قال : «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» فضجَّ ناسٌ من أهله فقال : «لا تدعوا علي أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» ثم قال : «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه»^(١).

الزواج المبارك

وتأتى المنحة الربانية لتنزل على أم سلمة فتصبح - بفضل الله - إحدى أمهات المؤمنين لتغدو من البيت الطاهر الكريم . . . ويا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل .

عن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تُصيِّبه مُصيبةٌ فيقول ما أمره الله: (إنا

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٢٠) كتاب الجنائز عن أم سلمة رضي الله عنها.

لله وإنا إليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لى خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أى المسلمين خيراً من أبى سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ^(١) . . . ثم إنى قلتها، وأردت أن أقول: «وأبدلنى خيراً منها» فقلت: ومن خير من أبى سلمة؟ فلم أزل حتى قلتها، فلما انقضت عدتها، خطبها أبو بكر، فردته، وخطبها عمر فردته، فبعث إليها النبي ﷺ فقالت: مرحباً برسول الله ﷺ وبرسوله . . . ثم قالت لرسول رسول الله ﷺ: أخبر رسول الله ﷺ أنى غيرى (أى كثيرة الغيرة) وأنى مصيبة (أى ذات صبيان وأولاد صغار) وليس أحدٌ من أوليائى شاهداً. فبعث إليها النبي ﷺ .

وقال لها: «أما ما ذكرت من غيرتك فإنى أدعو الله عز وجل أن يذهبها عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابنى مثل الذى أصابك، وأما ما ذكرت من العيال، فإنما عيالك عيالى وأما الأولياء فليس أحدٌ منهم إلا سيرضى بى»^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٨) كتاب الجنائز.

(٢) انظر التخرىج السابق.

ثم تزوج رسول الله ﷺ من أم سلمة؛ فاستجاب الله دعاءها وأخلفها خيراً من أبي سلمة.

فى بيت الزوجية

ومن أول لحظة دخلت فيها (أم سلمة) بيت الزوجية فإذا بها تقوم بأعباء المنزل وتدبر شئونه على أفضل وجه. عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أيم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً، وقامت آخر الليل تطحن - يعنى: أم سلمة^(١).

وكانت عاقلة لبيبة حسنة الرأى والفهم... بل كانت تسعى دائماً لإدخال السعادة والسرور على رسول الله ﷺ.

وعلمت زوجات الرسول ﷺ بزواجه من أم سلمة:

ذات الجمال والعزة، والشرف والشخصية الأخاذة الجذابة القوية، وقابلت سودة الخبر كعادتها بالرضا والتسليم، أما عائشة فقد استبدَّ بها التفكير، واستولت عليها الغيرة، وتملَّكها لذلك حزن شديد، لما وُصف لها من جمال أم

(١) أزواج النبی (ص: ٣٣٥).

سلمة، فتحايلت حتى رأتها، فرأت فيها أضعاف ما وُصفت به، فشكت عائشة ما بها إلى ضررتها حفصة التي كانت تتخذها في مثل هذه الأمور صاحبة لها، فهوَّنت عليها حفصة خطر جمال أم سلمة، وقالت له: إنها ليست كما تقولين، إنما هي الغيرة^(١). وأحست عائشة ما لأم سلمة من منزلة وأحست أنها ستنافسها حتى إنها كانت تقول عن أم سلمة، وعن زينب بنت جحش التي تزوجها النبي صلوات الله بعد أم سلمة: كانتا أحب نسائه إليه بعدى.

صاحبة القلب الرحيم

وكانت رضيها رحيمة بكل من حولها تحب أن تحمل لهم البُشري دائما لتُدخل السعادة على قلوب الناس. فهي التي حملت خبر توبة الله تعالى على (أبي لبابة) وذلك عندما أرسله الحبيب صلوات الله إلى بني قريظة وكان أبو لبابة رضيها حليفاً لليهود بني قريظة في الجاهلية، فلما

(١) أزواج النبي (ص: ٣٣٥).

خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق فقرر النبي ﷺ أن ينزلوا على حكمه فيهم فأرسلوا إلى أبي لبابة فأرادوا أن يستشيروه في أمرهم وسألوه: هل ترى أن نزل على حكم محمد ﷺ؟ فقال لهم أبو لبابة: نعم فانزلوا وأوما إلى حلقه بالذبح - أي أنكم إذا نزلتم على حكمه فلن يكون لكم إلا الذبح - فأحس أبو لبابة أنه قد خان الله ورسوله ﷺ فندم وعاد، فربط نفسه في عمود المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ مما صنعت. فنزلت توبة أبي لبابة على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة فاستأذنت النبي ﷺ في أن تبشره بتوبة الله عليه فأذن لها فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك.

قالت أم سلمة: فثار الناس، وأسرعوا إليه ليُطلقوه، ولكن أبا لبابة أبي وقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطلقني بيده الشريفة.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه، وغمر السرور أبا لبابة بأن تجاوز

الله عما أسرف. رضي الله عنها رضي الله عنها رضي الله عنها
 * وكانت سبيًا في أن يسامح النبي ﷺ ابن عمه
 (أبو سفيان بن الحارث) وابن عمته (عبد الله بن أبي أمية)
 فقد لقي رسول الله ﷺ بالأبواء فالتمسا الدخول عليه
 فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى. . وهنا
 تدخلت أم سلمة رضي الله عنها وكلمت الحبيب ﷺ ليسامحهما
 ويعفو عن زلتهما فيما مضى فقالت: يا رسول الله! لا
 يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال
 (عليّ) لأبي سفيان: اتت رسول الله ﷺ من قبل
 وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ
 آتٰرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَاِنْ كُنَّا لَخٰطِئِيْنَ﴾ ^(١) فإنه لا يرضى أن يكون
 أحد أحسن منه قولاً. ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له
 رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَشْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ
 أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ﴾ ^{(٢)(٣)}.

* * *

(١) سورة يوسف: الآية: (٩١).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٩٢).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٤) وصححه ووافقه الذهبي.

موقفها العظيم يوم الحديبية

وكان لأم سلمة من المواقف التي تُظهر رجاحة عقلها الكثير والكثير وكان من بين تلك المواقف موقفها في يوم الحديبية .

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارِع والعقل البالغ والرأى الصائب وإشارتها على النبي ﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها .

فإنه لما صالح النبي ﷺ أهل مكة وجاءه سهيل بن عمرو ليكتب معه كتاب الهدنة والصلح وكان من بنود هذا الصلح أنه إذا جاء رجل من المشركين يريد أن يُسلم فعلى النبي ﷺ أن يردّه إلى المشركين وإذا ذهب رجل مسلم يريد أن يلحق بالمشركين فعلى المشركين أن يقبلوه فحزن أصحاب الحبيب ﷺ حزناً شديداً حتى قام عمر بن الخطاب رضيه الله وقال للحبيب ﷺ : ألسنت نبى الله حقاً؟ قال : «بلى» ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : «بلى» . قلت : فلم نعطى الدنيّة فى ديننا إذا؟ قال :

«إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري». قلت: أو ليس كنت تُحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى. فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومُطَوِّفٌ به». قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نُعطى الدنْيَةَ في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل، إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال بلى. فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحدٌ دخل النبي ﷺ على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس.

وهنا جاء دور (أم سلمة) العاقلة اللببية التي أنقذت

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

الصحابة بفضل الله وحده من الوقوع في معصية رسول الله ﷺ .

فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر - أي تذبح الهدى - ، وتدعو حالقك فيحلقك . . . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر الهدى، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا^(١).

وبهذا نجا الصحابة الكرام من مخالفة الحبيب المصطفى ﷺ وذلك ببركة رأى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها التي تذكرنا بمواقف أم المؤمنين خديجة عليها سحائب الرضوان . . . وإن نسى التاريخ فلا ينسى مواقف أم سلمة رضي الله عنها، وخصوصاً ذلك اليوم الذي يُقرن باسمها كلما ذكر يوم الخديبية^(٢).



(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣٤) كتاب الشروط.

(٢) صحاحيات حول الرسول (ص: ٢٠٢ - ٢٠٤).

مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

كان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وتحدث عن توبة الله عليهم أيضاً فقال: نهى رسول الله ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، ولم يَنْهَ عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الأمر، وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلى على النبي ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلى عليّ، فأنزل الله توبتنا على نبيه حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة رضوان الله عليها، وكانت أم سلمة محسنة في شأنى، معينة في أمرى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة تيب على كعب» - أى تاب الله على كعب - .

قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟

قال: «إذا يحطكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة» ،

أدعية المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر، أذن بتوبة الله علينا (١).

والآية الكريمة التي نزلت في توبة هؤلاء تقول: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

وبذلك نعتت أم سلمة بهذه البركة وهذا الشرف العظيم أن ينزل القرآن في بيتها على رسول الله، فتكون الوحيدة من نساء النبي ﷺ بعد عائشة رضي الله عنها التي ينزل في بيتها وحياً يوحي على رسول الله ﷺ، مما يجعل لأم المؤمنين أم سلمة مكانة وأى مكانة وفضل وأى فضل وشرف يحق لها إن أرادت أن تفخر على صاحباتها، ولكن لم تفعل بل داومت على حمد الله وشكره وتسيبته (٣).

- (١) صحيح: رواه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٦٧٧)، وأخرجه في كتاب الاستئذان برقم (٦٢٥٥).
- (٢) سورة التوبة: الآية: (١١٨).
- (٣) أزواج النبي (ص: ٣٣٩-٣٤٠).

كانت تُعدُّ من فقهاء الصحابيَّات

قال الإمام الذمبي عنها: وكانت تُعدُّ من فقهاء الصحابيَّات (١).

وكيف لا تصل إلى تلك المرتبة والمنزلة العالية وهي التي سمعت القرآن الكريم والسُّنة المطهرة من فم الحبيب صلوات الله عليه وآله.

لقد كانت ممن يُرجع إليها في بعض الأحكام والفتاوى وبخاصة فيما يخص فقه المرأة المسلمة حتى كان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه يرسل فيسألها عن بعض الأحكام (٢).

وأما الثروة الخديشية التي أثرت عن أم المؤمنين أم سلمة فتبلغ ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثاً، حفظتها عن رسول الله صلوات الله عليه وآله.



(١) السير (٢/٣-٢).

(٢) زاد المعاد (٢/٧٨).

وحان وقت الرحيل

كانت أم سلمة رضي الله عنها من المعمرات فقد عاشت نحواً من تسعين سنة وعاشت الخلافة الراشدة وامتدت بها الحياة إلى عهد يزيد بن معاوية . وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين . عمّرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوجمت لذلك، وغُشى عليها، وحزنت عليه كثيراً . ولم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى رحمة الله ^(١) . وكان ذلك سنة إحدى وستين . وهكذا رحلت أم المؤمنين لتكون زوجاً للنبي صلى الله عليه وآله في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها .



(١) سير أعلام النبلاء/ للنعمي (٢/ ٢٠٢).

زینب بنت جحش رضی اللہ عنہا

زينب بنت جحش رضي الله عنها

حبايب الحلوين: وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها التي جمعت المجد والفضل من أطرافه كلها.

* فابن خالها أشرف خلق الله على الإطلاق، سيدنا رسول الله ﷺ.

* وجدُّ الرسول الكريم وجدُّها لأُمها عبد المطلب بن هاشم سيد قومه.

* وخالها سيد الشهداء، وأسد الرحمن، وفارس رسول الله، سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأرضاه.

* وأخوها صاحب أول راية عُقدت في الإسلام، وأول من دُعي بأمر المؤمنين وأحد الشهداء سيدنا عبد الله ابن جحش رضي الله عنه.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

- * وأخوها أيضاً أحد شعراء الإسلام المجيدين سيدنا أبو أحمد ابن جحش.
 - * وأختها إحدى السابقات إلى الإسلام حمنة بنت جحش.
 - * وأمها عمه رسول الله ﷺ التي أطعمها النبي أربعين وسقاً من تمر خبير أميمة بنت عبد المطلب.
 - * وهي **رُوَيْبِئَةُ** الوحيدة التي زوّجت من فوق سبع سموات^(١).
- فتعالوا بنا لتتعاشق بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها العطرة.

من هنا كانت البداية

وُلدت زينب **رُوَيْبِئَةُ** في مكة قبل البعثة بثلاث وثلاثين سنة ونشأت في بيت شرف وحسب ونسب.
وكانت نفسها تتوق إلى حياة طاهرة نظيفة بعيدة عن أدران الشرك والجاهلية... وبدأت نسيمات الإسلام تفوح

(١) نساء مبشرات بالجنة/ ١. أحمد خليل جمعة (ص: ٢٤٧ - ٢٤٨).

بأريجها الفواح في مكة المكرمة وبدأت شمس الإسلام تضيء أرجاء الكون كله وإذا بالقلوب الطاهرة تفتح أبوابها على مصراعيها لتستقبل هذا النور الذي جاء به الحبيب صلوات الله عليه من عند ربه عز وجل .

وكان عبد الله بن جحش شقيقها يرى النبي صلوات الله عليه قبل مبعثه فكان يعجب كل العجب من رجاحة عقله وأمانته وصدقه وحسن عشرته، ولذلك فقد كان يحمل له في قلبه قدرًا عظيمًا من المحبة والتقدير والاحترام .

ومن هنا فإنه ما إن بُعث الحبيب صلوات الله عليه حتى أسلم (عبد الله) ولم يتلأأ أو يتلعثم . . . وكان إسلامه قبل أن يدخل الحبيب صلوات الله عليه دار الأرقم، فكان من السابقين إلى الإسلام^(١) .

وقام يحمل أمانة هذا الدين ليدعو الناس من حوله إلى جنة الدنيا والآخرة فدعا أخويه فأسلما ودعا أختيه (زينب وحمنة) فأسلمتا ودخلوا جميعاً في دين الله - جل وعلا - لتكتمل السعادة في قلوبهم .

(١) أصحاب الرسول صلوات الله عليه / للمصنف (٢/ ٤٧٨ - ٤٧٩) .

هجرة وصبر واحتساب

فلما لامس الإيمان شغاف قلبها أخذت تنهل من معين القرآن والسنة ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً وأخذت تتقرب إلى الله - جل وعلا - يوماً بعد يوم حتى أحسَّت بأنها تعيش في جنة حقيقية - ولكن الجنة لا بد لها من الصبر والتضحية - .

فما أن علم كفار قريش بانتشار الإسلام حتى قاموا ليصبوا العذاب صباً على أصحاب الحبيب ﷺ . . . ولقد تحملت زينب ونساء قومها نصيباً من أذى قريش .

ولما أذن الله بالهجرة إلى المدينة، هاجر بنو جحش بقيادة سيدنا عبد الله بن جحش ومعه أخوه أبو أحمد عبد ابن جحش، وكان أبو أحمد هذا شاعراً ضريراً البصر، وكان معهما محمد بن عبد الله بن جحش، وهاجر معهم نساؤهم: زينب بنت جحش بطلة ترجمتنا اليوم، وحمنة بنت جحش - زوج مصعب بن عمير - وأم حبيب بنت جحش - زوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

زينب بنت جحش رضي الله عنها

ولما خرج بنو جحش من دارهم، عدا عليها أبو سفيان ابن حرب، فباعها من عمرو بن علقمة، فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها داراً خيراً منها في الجنة؟».

قال: بلى، قال: «فذلك لك».

في رحاب الأنصار

وعاشت زينب رضي الله عنها أجمل أيام حياتها في رحاب أخواتها من نساء الأنصار. وماذا نقول نحن عن الأنصار بعد قول الله عز وجل عنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

واحتلت زينب مكانة عالية بين النساء فقد كانت كهفماً وملاذاً للمساكين والمحتاجين... تجود عليهم بالمال والمتاع

(١) سورة الحشر: الآية: (٩).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

لأنها علمت يقيناً أن المؤمن لا بد أن يغرَس الخير في الدنيا
ليجنى النعيم في الآخرة .
وكانت صوَّامة قوَّامة تصوم النهار وتقوم الليل تناجي
ربها وتبكي بين يديه - سبحانه وتعالى - وكانت بارَّةً بمن
حولها تحب الخير لكل الناس وكان الله عز وجل يؤهلها
لتكون بعد ذلك أمًّا للمؤمنين .

زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنه

وتعالوا بنا لنبدأ قصة زواجها من زيد بن حارثة
رضي الله عنه كان زيد بن حارثة يعيش في سعادة وهناء مع
أمه سَعْدَى بنت ثعلبة ومع أبيه حارثة بن شُرْحبِيل .
وفي يوم من الأيام أخذته أمه في زيارة لبعض أقاربه
فأغارت عليهم مجموعة من قُطَاعِ الطَّرْقِ وأخذوا زيد بن
حارثة وهو يومئذ غلامٌ صغيرٌ وذهبوا به إلى سوق عكاظ
وعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام وأعطاه لعمته
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ورأت حب النبي صلى الله عليه وسلم

لزيد بن حارثة وهبته له وكان ذلك قبل بعثة النبي ﷺ
 وظل حارثة والد زيد يبكي هو وأم زيد بكاءً مريراً
 على فقد ولدهما زيد... وأخذا يبحثان عنه في كل
 مكان ولكن دون جدوى.

زيد يختار النبي ﷺ على أبيه وأمه

وفي يوم من الأيام حجَّ أناس من قبيلة زيد بن حارثة
 فرأوه في مكة وعادوا ليخبروا والده بذلك الخبر السار.
 فما كان من والده حارثة إلا أن أخذ أخاه كعب بن
 شرحبيل (عم زيد) وأخذ مالا كثيراً ليفدى ابنه وذهب إلى
 مكة فلما وصلا مكة سألا عن النبي ﷺ فقيل لهم: إنه
 في المسجد فدخلا عليه وقال له: يا محمد يا ابن سيد
 قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه لقد جئنا إليك من أجل
 أن نغدي ابننا بألمال وسنعطيك كل ما تريد.

فقال النبي ﷺ: «من هو ابنكم؟»

قالوا: زيد بن حارثة.

فقال لهم: «ألا أخبركم بأفضل من ذلك؟»

قالوا: ما هو؟

قال ﷺ: «ادعوه وخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير مال ولا فداء وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار علي من أختارني أحداً» فقالوا له: لقد أحسنت إلينا وأنصفت.

فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: «فأنا من قد علمت، ورأيت محبتي لك فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمنزلة الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أهلك وعمك، وأهل بيتك؟ قال: نعم، إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجته إلى الحجر فقال: يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثه، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.



زواجه من زينب بنت جحش

لما أعتق النبي ﷺ زيد بن حارثة فأصبح زيد مولى رسول الله ﷺ فأراد النبي ﷺ أن يكرمه أكثر وأكثر، وذلك بأن يزوجه من فتاة حرة حسبية نسيبة. وأراد النبي ﷺ أن يحطم الفوارق الطباقية حتى يشعر الناس جميعاً أنه لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى. ولذلك قرر النبي ﷺ أن يزوج زيد بن حارثة من ابنة عمته زينب بنت جحش الحسبية النسيبة الجميلة التي يتمناها كل حسيب ونسيب في أرض الجزيرة... فرفضت زينب في بداية الأمر أن تتزوج من زيد بن حارثة لأنه مولى من الموالى... فلما نزل قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(١)، قالت: يا رسول الله أترضاه لى زوجاً؟ قال: «نعم». قالت: إذن لا أعصى رسول الله ﷺ قد رضيته لنفسى.

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وساق زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى بنى جحش عشرة دنائير وستين درهماً، ودرعاً، وخماراً، وملحفة وإزاراً، وخمسين مُدّاً من الطعام، وعشرة أمداد من التمر، . . . أعطاه ذلك كله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

واستمرت الحياة الزوجية بينهما قرابة سنة ثم بدأت الخلافات الزوجية تنشأ بينهما مما جعل هذا الزواج يخلو من المحبة والصفاء والمودة .

وكان زيد يشكوها للحبيب صلى الله عليه وسلم فكان يقول له: «أمسك عليك زوجك واتق الله»، فكان صلى الله عليه وسلم ينصحه بإمساكها ولكن الله يريد خلاف ذلك «والله غالبٌ على أمره» فآله عز وجل يريد أن تكون زينب زوجة الحبيب صلى الله عليه وسلم ليُبطل عادة التبني .

وازدادت الفجوة بين زيد وزينب رضي الله عنها يوماً بعد يوم حتى وصلت الحياة بينهما إلى طريقٍ مسدود فكان لا بد من الطلاق فجاء أمر الله عز وجل فأذن بطلاقها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواجها .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ

أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ
وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا
زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَانِهِمْ إِذَا
قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١﴾ .

وهكذا أصبحت أمًّا للمؤمنين

فلما طلق زيد زينب رضي الله عنها وانقضت عدتها تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنال أعظم منقبة في الكون كله فتكون
زوجة لسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ولتكون أمًّا
للمؤمنين .

وهنا أرسل النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى زينب بنت
جحش ليخبرها بأن الله عز وجل قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم
بأن يتزوجها .

فذهب إليها زيد فوجدها تُخَمَّرُ عَجِينَهَا فلما رآها
أحسَّ بخجلٍ شديدٍ ولم يستطع أن ينظر إليها بعد أن علم
أنها ستكون زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمًّا للمؤمنين .

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٧).

أدبها المؤمن زوجات الرسول ﷺ

فأعطاها ظهره وأخبرها بهذه البشرى العظيمة: بأنها ستكون زوجة لرسول الله ﷺ ففرحت فرحاً شديداً وسجدت شكراً لله جل وعلا وجعلت على نفسها صوم شهرين شكراً لله على هذه النعمة العظيمة. وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن وعمل النبي ﷺ وليمة وأطعم أصحابه خبزاً ولحماً... فكان الناس يأكلون ويخرجون... وبقي ثلاثة يتحدثون في بيت النبي ﷺ.

يقول أنس بن مالك رضى الله عنه: فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتبع حُجر نساءه يُسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله ﷺ كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزلت آية الحجاب.

فكان من بركات زينب رضى الله عنها ومن فضائلها نزول آية الحجاب بسببها وذلك في صبيحة عرسها. وهكذا زوج الله سبحانه وتعالى زينب من نبيه ﷺ

بَنَصْرٌ كِتَابَهُ بِلَا وُلَى وَلَا شَاهِدٍ، حَتَّى كَانَتْ تَفْخَرُ بِذَلِكَ عَلَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ وَتَقُولُ: «زَوْجُكُمْ أَهَالِيكُمْ وَزَوْجُنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ» (١).

منزلتها عند رسول الله صلوات الله عليه وآله

وكانت رضي الله عنها تحتل منزلة عالية في قلب رسول الله صلوات الله عليه وآله بعد عائشة رضي الله عنها ولذلك كانت أمنا عائشة تقول عنها: «وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلوات الله عليه وآله» (٢).

لقد نالت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها مكانة عالية منذ دخولها ذلك البيت الطاهر فقد أكرمها الله عز وجل بصفات جلية رفعت من قدرها ومكانتها عند رسول الله صلوات الله عليه وآله.

وكانت زينب تقتبس من أخلاق الرسول صلوات الله عليه وآله وتسير خلفه وتقتدى به في كل أعمال الخير فكانت زاهدة عابدة

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٤٢٠) كتاب التوحيد.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٢٧٧٠) كتاب فضائل الصحابة.

كريمة سخية النفس يُضربُ بها المثل في الجود والكرم.
وكانت زينب بنت جحش أم المؤمنين ﷺ كثيرة
الصلاة، خاشعة القلب، موصولة دائماً بالله عز وجل،
وكان رسول الله ﷺ يحب هذه الصفات العالية فيها،
وتعجبه صلاتها وصلتها بربها عز وجل.

وكانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ بثلاثة
أشياء: **أولها:** أن جدّها وجدّ النبي ﷺ واحد.
وثانيها: أن الله عز وجل هو الذي أمر بزواجها من
فوق سبع سموات.
وثالثها: أن السفير في ذلك الزواج هو جبريل عليه
السلام.

مع نساء النبي ﷺ

وشعر نساء النبي ﷺ بما لزينب من مكانة أولائها
الله إياها، وشملها بها رسوله وشعرن بحب الرسول
ﷺ لها، وأحسن بميله إليها.

وكانت أكثرهن بهذا الشعور حساً ودراية، زوجة الرسول صلوات الله عليه المحببة إلى قلبه عائشة رضي الله عنها، فقد شعرت بما احتلت زينب من مكانة في قلب الرسول صلوات الله عليه قاربت أن تساوي مكانتها هي في قلبه، وأحست بما نالت زينب من رضاه، وحازت من إعجابه، حتى كانت عائشة تقول في ذلك: لم تكن واحدة من نساء النبي صلوات الله عليه تناصبنى غير زينب.

كما كانت تقول عن حب الرسول صلوات الله عليه لزوجتيه: زينب وأم سلمة: كانتا أحب نسائه إليه فيما أحسب بعدى، . . . وكان لشعور زوجات النبي صلوات الله عليه بما لزينب من المكانة لدى الرسول أن شعرن بالغيرة من زينب، وعددها أخطر منافسة لهن في حب الرسول صلوات الله عليه، وكانت أكثر الزوجات أيضاً بهذا الشعور حساسية عائشة بنت أبي بكر، فلم تستطع عائشة أن تكتم ما بنفسها من غيرة من زينب، حينما كانت ترى رسول الله صلوات الله عليه يطيل المقام عند زينب في أثناء دورته اليومية على نسائه لتفقد شؤونهن، فكانت تسعى إلى زوجة رسول الله حفصة

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

بنت عمر بن الخطاب وهي التي كانت عائشة تصطفيها
وتتخذها صديقة. فتألفه الله بها زوجها
وكانت أن انفقت هي وحفصة، وأشركتا معهما في
هذا الاتفاق سودة بنت زمعة، على أن أيتهن يجيئها
الرسول ﷺ بعد خروجه من عند زينب تقول له:
رائحتك مغاير «والمغاير طعام حلو ذو رائحة كريهة».
وكان النبي ﷺ يكره الرائحة الكريهة.

فلما غادر النبي ﷺ زينب وجاء إلى عائشة في
دورته اليومية على نسائه قالت له عائشة: إني أشم رائحة
مغاير، هل أكلت مغاير؟ فلما أتى حفصة قالت له ما
قالت عائشة، وهكذا سأله سودة، فلما أجابها بالنفي،
سألت فما هذه الريح؟!
قال: «سقتني زينب شربة من غسل».

فكان من هذه المؤامرة التي تأمرتها بعض زوجات
الرسول نتيجة غيرتهن من احتباس الرسول عند زينب؛ أن
حرّم الرسول ﷺ شرب العسل عند زينب، وبذلك زال
السبب الذي كان يحتسبه عندها أكثر من غيرها،

وحرمت زينب من مقام الرسول لديها أكثر من ضرائرها. وكما كانت عائشة الزوجة الحبيبة من الرسول تغار ممن ينافسها في حب زوجها، كانت زينب أيضاً تغار من شدة تعلق النبي صلوات الله عليه بعائشة رضي الله عنها.

مع عائشة رضي الله عنها

بالرغم من أن الرسول صلوات الله عليه كان يقسم أوقاته بالعدل بين نسائه، فيدور عليهن كل يوم يتفقد أمورهن ويرعى شؤونهن ثم يبيت عند كل واحدة منهن ليلة؛ وبالرغم من أنه يساويهن في النفقة، ويقسم بينهن ما يهدى إليه من هدايا المسلمين، كانت زينب ونساء النبي صلوات الله عليه ينقمن على عائشة تحرياً للمسلمين بهداياهم يومها، إذ يبعثون بها إلى الرسول في بيتها، ناشدين من وراء ذلك مرضاة الرسول، لما يعلمون من منزلة عائشة ومكانتها عنده. وتزعمت زينب مجتمعاً لزوجات النبي صلوات الله عليه يتناقشن ويتشاورن في هذا الأمر، واتفقت معهن في هذا المجتمع على أن يطلبن من فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليه السفارة

بينهن وبين أبيها، بأن تطلب منه مساواتهن بعائشة، بأن يأمر الناس أن يرسلوا إليه هداياهم أينما كان. **ودخلت فاطمة على الرسول (وعائشة عنده) تقول: إن نساءك أرسلنني إليك، وهن يشدنك العدل في ابنة أبي قحافة!!**

فأجابته قائلة:

وسأل النبي ابته: «أى بنية، ألسن تحبين ما أحب؟».

قالت: بلى.

قال: «فأحبيها» يعني عائشة.

وعادت فاطمة إلى زوجات الرسول تُعرفهن ما كان، ولكن زوجات الرسول لم يقتنعن بما جاءتهن به فاطمة، وطلبن منها أن تعاود سفارتها بينهن وبين أبيها، ورفضت فاطمة أن تعاود أباهما فيما ردها عنه، فلم تجد زوجات النبي حينئذ أحداً خيراً من زينب يوفدنها سفيرة لهن إلى زوجهن الرسول ﷺ.

فذهبت تقوم بوساطتها وهي تعلم حق العلم مكانتها عند الرسول ﷺ، وتحس بمقدرتها على مواجهة عائشة الحبيبة المقربة إلى قلب زوجها، ولما استأذنت زينب على

الرسول صلوات الله عليه قال: «هذه زينب فأذنوا لها».^(١)
 وكلمت زينب الرسول صلوات الله عليه وعائشة معه واستطال
 بزینب الكلام حتى نالت بكلامها عائشة بمنال كبير،
 وغضبت عائشة لما نالتها به زينب، وتحفزت للرد عليها بما
 نالتها به، ولكن الرسول صلوات الله عليه أشار لها أن تسكت،
 وسكنت، ولكن زينب اندفعت بكل ما تحسه من غيظ
 وغيرة، وبكل ما تشعر به من أن مركزها ومكانتها
 يؤهلانها إلى المبالغة في النيل من عائشة حتى لم يجد معه
 الرسول بدءاً من أن يترك لعائشة حق الرد عليها^(٢)، فردت
 عليها عائشة حتى أفحمتها فتبسم النبي صلوات الله عليه وقال: «إنها
 ابنة أبي بكر»^(٣).



(١) أزواج النبي / أ. عبد المتعم الهاشمي (ص: ٣٦٤ - ٣٦٧).
 (٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٨١) كتاب الهيئة، ومسلم (٢٤٤٢) كتاب
 فضائل الصحابة.

مكانتها في قلب عائشة رضي الله عنها

ولما كانت حادثة (الإفك) التي كادت أن تعصف بقلب أمنا عائشة رضي الله عنها وإذا بأمنا زينب رضي الله عنها تقف موقفاً عظيماً جعلها تحتل مكاناً عالياً في قلب أمنا عائشة رضي الله عنها.

ففي الحديث الذي رواه البخاري في حادثة الإفك - وفيه - :

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب ابنة جحش عن أمري فقال: «يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت: يا رسول الله ﷺ أحمى سمعي وبصري ما علمت إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تسأمني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع^(١).



(١) صحيح: رواه البخاري (٤٧٥٠) كتاب تفسير القرآن.

مع الرسول صلوات الله عليه في الغزو والحج

لما خرج رسول الله صلوات الله عليه إلى الطائف كان معه امرأتان من نسائه وهما: أم سلمة وزينب رضي الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد ضرب لزوجتيه قُبتين، ثم كان يصلى بين القبتين في وقت حصار الطائف كله. وفي حجة الوداع كانت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها مع رسول الله صلوات الله عليه، وقد قال عليه الصلاة والسلام لنسائه في حجة الوداع: «هذه ثم ظهور الحُصْر^(١)». أي لا تخرجن من بيوتكن بعد ذلك وتلزمن الحُصْر (والحصر جمع حصير). وكانت نساء النبي صلوات الله عليه يحججن كلهن إلا سودة بنت زمعة وزينب بنت جحش قالتا: لا تحركنا دابة بعد رسول الله صلوات الله عليه.^(٣)

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٧٢٢) كتاب المناسك، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٤٠١).
 (٢) أي: لا تعدن تخرجن من بيوتكن وتلزمن الحُصْر، والحصر جمع حصير.
 (٣) الطبقات (٨/ ٢٠٨).

زهدها في الدنيا وزينتها الفانية

لم تكن أم المؤمنين زينب رضي الله عنها تحفل بالمال أو بشيء من زخرف الدنيا، بل كانت تعمل بيدها، فكانت تدبغ وتخرز وتبيع ما تصنعه، وتتصدق به في سبيل الله عز وجل، ومما يشير إلى كرامتها عند الله واستجابة دعائها، ويشير أيضاً إلى زهدها في المال مهما كثر ما روته شاهدة عيان على ذلك، وهي برزة بنت رافع تحدثنا عن هذا فتقول: لما خرج العطاء، أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زينب بنت جحش رضي الله عنها بالذي لها، فلما أدخل عليها قالت: غفر الله لعمر، غيرى من أخواتى كان أقوى على قسَم هذا منى. قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله! واسترت منه بثوب وقالت: صبُّوه واطرحوا عليه ثوباً، ثم قالت لى: أدخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان وبنى فلان - من أهل رحمها وأيتامها - حتى بقيت بقية تحت الثوب، فقالت لها برزة بنت رافع: غفر الله لك يا أم المؤمنين، والله لقد كان لنا في هذا حق، فقالت: فلکم ما تحت الثوب فوجدنا تحته خمسة

وثمانين درهماً. ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لا يُدركني عطاءٌ لعمر بعد عامي هذا. قال: فماتت (١).

وحان وقت الرحيل

ظلت زينب رضي الله عنها على حالها بعد وفاة النبي صلوات الله عليه حتى ماتت، وكانت أول من لحقت بزوجها من زوجات النبي صلوات الله عليه، فقد ظلت تقية، بارة بالفقراء، متصدقة بما تعمل بيديها على الأيتام والمساكين. وكان من أقوال النبي صلوات الله عليه لزوجاته، يبشرهن بأول من تلحق به منهن بعد موته: «أسرعن لحاقاً بي أطولكن يداً» (٢).

فكان نساء النبي صلوات الله عليه إذا اجتمعن في منزل إحداهن بعد موت رسول الله صلوات الله عليه يمدون أيديهن إلى الجدار، يتناولن في أيتهن أطول يداً، فلم يزلن يفعلن ذلك حتى ماتت زينب ولم تكن بأطولهن، فعرفن حينئذ أن النبي

(١) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٠٩ - ١١٠) وصفة الصفوة (٢/ ٤٨ - ٤٩) والسير (٢/ ٢١٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٥٢) كتاب فضائل الصحابة.

أدهمات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إنما أراد بطول اليد الصدقة . ^(١) وكان من تصدق زينب على الفقراء وذوى الحاجة ومن حرصها على ألا تُخلف أو تترك شيئاً من بعدها دون صدقة أنها كانت قد أعدت كفنها الذى تكفن فيه بعد موتها . ثم خطر ببالها حين مرضت وحضرتها الوفاة ، أن عمر ربما أرسل إليها بكفن . فقالت توصى من حولها من أهلها : إني قد أعددت كفنى ، ولعل عمر يبعث إلى بكفن ، فإن بعث فتصدقوا بأحدهما ، فلما ماتت وبعث عمر إليها بكفن تصدقت عنها أختها حمنة بنت جحش بكفتها الذى كانت قد أعدته ^(١) . وفى اللحظات الأخيرة أوصت أن تُحمل على سرير رسول الله ﷺ ، وماتت ^(٢) فكانت أول نساء النبى لحوقاً به . ولما وصل نبأ وفاتها إلى سيدنا عمر بن الخطاب أمر منادياً فنادى : ألا لا يخرج على زينب إلا ذو رحم من أهلها ، وكان عمر رضوان الله عليه يطلع إلى شىء ^(٣) .

(١) أرواح النبى (ص : ٣٧٠) .

يسترها، فقالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها: قد رأيت بالحبشة يجعلون نعوشاً لموتاهم، فعملت نعشاً لزينب رضي الله عنها وغطته بثوب، فاستحسن هذا سيدنا عمر وأمر بعد ذلك منادياً فنادى أن اخرجوا على أمكم، وخرج المسلمون يشيعون أم المؤمنين زينب، وخرج أخوها أبو أحمد بن جحش رضي الله عنه يحمل سرير أخته وهو مكفوف - أعمى - وكان يبكي بكاء شديداً فقال له سيدنا عمر رضي الله عنه: يا أبا أحمد تنح عن السرير لا يعتك الناس - يشقون عليك - وكان يوماً صائفاً شديداً الحر، وازدحم المسلمون على سريرها، فقال أبو أحمد: يا عمر هذه التي نلنا بها كل خير، وإن البكاء يُبرد حرَّ ما أجد.

ودُفنت بالبييع، وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونزل قبرها أسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش، وعبد الله بن أبي أحمد بن جحش، ومحمد بن طلحة بن عبد الله وهو ابن أختها حمنة، . . . فكلهم محارم رضي الله عنهم (٢)(١).

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) نساء مبشرات بالجنة/ أ. أحمد خليل جمعة (ص: ٢٧٢-٢٧٣).

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

في هذا الكتاب

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

مباركة هي جويرية بنت الحارث التي كانت من المهاجرات
حبايبي الحلوين: ولقد كتبه الله في الدارين في
وها نحن على موعدٍ مع أمنا وأم المؤمنين جويرية بنت
الحارث رضي الله عنها التي كتب الله لها السعادة في الدارين في
الدنيا والآخرة وكانت مفتاحاً للخير الذي حصل لقومها.
ولذا قالت عنها أمنا عائشة رضي الله عنها: ما أعلم امرأة كانت
أعظم بركة على قومها منها.

فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أم
المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها التي كان اسمها برة
فسمّاها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجها (جويرية).



نشأة في أحضان النعيم

لقد وكدت جويرية بنت الحارث رضي الله عنها في أسرة ذات مكانة ووجاهة .

فأبوها هو الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وزعيم قبيلة بنى المصطلق وكان سيداً مطاعاً لا يستطيع أحد أن يخالف أمره .

وظلت رضي الله عنها في هذا النعيم وفي تلك الرفاهية زماناً حتى اكتملت حيويتها ونضجت أنوثتها فكانت مضرِباً للأمثال في جمالها وحسن خلقها وأدبها حتى كان يتمناها البعيد والقريب والغنى والشريف فتزوجها أحد فتيان خزاعة ألا وهو (مسافع بن صفوان) .

ولم يخطر ببالها في يوم من الأيام أن الله عز وجل سيختارها ويصطفئها لتكون مؤمنة بل ولتكون أمّاً للمؤمنين بزواجها من سيد الأولين والآخرين عليه السلام .



شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة

ولما أشرقت شمس الإسلام على أرض الجزيرة وبُعث النبي ﷺ وقام يدعو الناس إلى عبادة الله - جل وعلا - فاستجاب أصحاب القلوب الطاهرة وأعرض أصحاب القلوب المريضة الذين لا يريدون إلا هذا الحطام الزائل الفاني . وبدأت قريش تَصُبُّ العذاب صبًّا على من أسلم من أصحاب الحبيب ﷺ فلما رأى النبي ﷺ ذلك أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجروا وعاشوا في رحاب النجاشي ذلك الملك العادل . سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل هاجر

* ولما اشتد الإيذاء بأصحاب الحبيب ﷺ أمرهم بالهجرة إلى المدينة المنورة ثم هاجر بعدهم بزمن يسير لما أذن الله له بالهجرة . . فنزل الحبيب ﷺ وأصحابه في رحاب الأنصار الذين بذلوا كل شيء لخدمة دين الملك - جل جلاله - وأراد النبي ﷺ أن يُرسى دعائم الدولة المسلمة في المدينة المنورة لتكون قلعة للإسلام والمسلمين فتشرب عبير الإسلام وعطره على الكون كله^(١) .

(١) صحايات حول الرسول/ للمصنف (ص: ٢٢٥) .

ترسيخ دعائم الدولة المسلمة

ولما وصل النبي ﷺ إلى يثرب (المدينة المنورة) أراد أن يُرسخ دعائم الدولة المسلمة وذلك من خلال ثلاثة أشياء:

- ١- صلة الأمة بالله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
- ٢- صلة الأمة ببعضها البعض. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُخْلِصٌ لِلرِّجَالِ وَالدِّينِ﴾
- ٣- صلة الأمة بالأجانب عنها، ممن لا يدينون دينها. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَأْكُلْ رِزْقَ أَحَدٍ مِّنْهُم مِّنْ رِّزْقِهِ إِذْ كَانَ عَلَى الْكُلِّ وَالْيَتَامَىٰ وَالسُّكَّانِ بِرَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ السُّكَّانُ الْمُنْتَضِبُونَ﴾

* ففي الأمر الأول بادر الرسول ﷺ إلى بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام ولتُقام فيه الصلوات التي تربط قلب العبد برب العالمين جل وعلا.

* وأما عن الأمر الثاني فقد آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وهنا ظهرت عواطف الحب والإيثار والمواساة بصورة لا تخاطر على قلب بشر.

* أما الأمر الثالث، وهو صلة الأمة بالأجانب عنها، الذين لا يدينون بدينها، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام قد سنَّ في ذلك قوانين السماح والتجاوز التي لم تُعهد في عالم ملئ بالتعصب والتغالي، عندما جاء النبي عليه

الصلاة والسلام إلى المدينة، وجد بها يهوداً توطنوا
ومشركين مستقرين. سنة ١٢ هـ فسكنها حياً مستقراً
فلم يتجه فكره إلى رسم سياسة للإبعاد أو المصادرة
والخصام، بل قبل وجود اليهودية والوثنية، وعرض على
الفريقين أن يعاهدهم معاهدة السند للند، على أن لهم
دينهم وله دينه. سنة ١٢ هـ
واتفق المسلمون واليهود على الدفاع عن يثرب إذا
هاجمها عدو. وأقرت حرية الخروج من المدينة لمن يبتغي
تركها، والقعود فيها لمن يحفظ حرمتها ^(١).

مؤامرة من زعيم بنى المصطلق

وبعد أن أرسى النبي ﷺ دعائم الدولة المسلمة بدأ
يفكر في القبائل التي تعيش خارج المدينة ليدعوهم إلى
الإسلام فلقد بعث الله حبيبه ﷺ ليعبّد الكون كله لله
- جل وعلا - . وكان النبي ﷺ ينتقل - بإذن الله -
من نصر إلى نصر حتى سمع الكون كله بالإسلام
والمسلمين.

(١) ينصرف من فقه السيرة للغزالي.

آدميات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

ويبلغ بنى المصطلق ما كان من أمر رسول الله ومقدار ما وصلت إليه دعوته للإسلام من انتشار عمّ الكثير من قبائل العرب، فها هو ذا منذ هجرته من مكة إلى المدينة وهو يحقق للإسلام نصراً كبيراً، فهو في مدى ست سنوات كانت رسالته تغمر الجزيرة كلها بالنور... نور التشريع العظيم والدين القويم، فدخل في دعوته وفي دينه من العرب والعجم أفواج، من الرجال والنساء وحالفه كثير من القبائل. وها هو ﷺ قد انتصر على أعدائه من قريش وحلفائهم في غزوة الأحزاب، فانصرفوا عن المدينة مخذولين مدحورين بعد أن حاصروهم بجموعهم ما يقرب من الثلاثين يوماً؟

وها هو محمد ﷺ بنفسه يستأصل شأفة اليهود الذين حالفوه، وعاهدوه حين مقدّمه إلى المدينة، ثم نقضوا عهدهم، وأرادوا أن يغدروا شر غدر. وها هو ذا يرسل بجيوشه ﷺ لتأديب العصاة من القبائل الذين حالفوه ثم غدروا به، ويبعث برسله لتأليف الناس، ودعوتهم إلى الإسلام.

فَكَرَّ الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق في أمر محمد ﷺ ، وفي أمر انتشار دعوته وقبول رسالته ، وفي مدى خطر انتشار هذه الدعوة على قبيلته ، وعلى أمثالها من قبائل المشركين ، فرأى أن يسعى إلى تحريض قبائل العرب ، وجمع جموعهم ، ليخرج بهم إلى محاربة محمد ﷺ عسى أن يقضى عليه وعلى دعوته .

وبلغ النبي بالمدينة ما بيَّت بنو المصطلق ، وما دبر الحارث بن أبي ضرار فقرر أن يسارع هو إلى غزوهم قبل أن يغزوه .

أعدَّ محمد ﷺ عُدته ، وجَهَّز جيش المسلمين على عَجَلٍ ، وخرج على رأسه يقصد منازل بني المصطلق ، تصحبه من نسائه زوجته عائشة ^(١) .

هذا ما يروي عن رسول الله ﷺ في بيعة بدر وبعثته
 به رسول الله ﷺ في مكة * * *
 من مكة إلى بدر في ليلة بدر
 في بيعة بدر

(١) أزواج النبي (ص: ٢٧٣-٢٧٤) بتصرف. (٢٠٦) (ص: ٢٧٤)

المعركة

ولما خرج النبي ﷺ بالجيش كان الحارث بن أبي
ضرار قد أرسل عيناً (جاسوساً) ليأتيه بخبر الجيش
الإسلامي، فألقى المسلمون عليه القبض وقتلوه.

ولما بلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول
الله ﷺ وقتله عينه، خافوا خوفاً شديداً وتفرق عنهم
من كان معهم من العرب... ووصل رسول الله ﷺ
إلى ماء لبني المصطلق اسمه (المريسيع) وأمر أصحابه أن
يتهيئوا للقتال وكانت راية المهاجرين مع أبي بكر الصديق،
وراية الأنصار مع سعد بن عبادة، فتراموا بالنبل ساعة،
ثم أمر رسول الله ﷺ فحملوا حملة رجل واحد
فكانت النصره.

وانهزم المشركون وقتل من قُتل وسبى رسول الله
ﷺ النساء والذراري والنعم والشاء، ولم يُقتل من
المسلمين إلا رجل واحد، قتله رجل من الأنصار ظناً منه
أنه من العدو^(١).

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٥٣).

وكان مسافع بن صفوان زوج جويرية بنت الحارث من بين العشرة الذين قتلهم المسلمون وأما عن باقى الجيش فقد وقعوا أسرى فى أيدي المسلمين. فأخذوا نساءهم وغنم المسلمين غنائم كثيرة فقد غنموا أموالهم وسبوا نساءهم وذريتهم وأخذوا أغنامهم ونصرهم الله نصراً عزيزاً. فالتفت جويرية بنظرها إلى زوجها الأسير وكان من جملة السبي الذين وقعوا فى أيدي المسلمين (جويرية بنت الحارث) بنت زعيم القبيلة وقد ظهر الحزن على وجهها وامتلاً قلبها بالهم والغم لما توقعه من ذل الأسر وترك الأهل. وظلت تفكر فى مصيرها المجهول وكيف ستعيش بعد ذلك وهى التى كانت تعيش فى الرفاهية والتعيم.

الرحيل إلى المدينة وتقسيم الغنائم

بعد أن انتهى أمر غزوة بنى المصطلق بذلك النصر المبارك السريع، عاد الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة منصوراً مظفراً تساق الأسرى والغنائم والسبي من النساء

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

والذراري بين يديه، وكان ذلك شيئاً كثيراً أنعش المسلمين، وأغناهم؛ وكان عدد الأسرى أكثر من سبعمائة وكانت غنائم الإبل ألفى بعير، وغنائم الشاء خمسة آلاف شاة، وكان السبي من النساء والذراري أهل مائتى بيت.

هذا وقد قُسمت هذه الغنائم ووزعت الأسرى والسبايا والذراري بين المجاهدين وكانت من بين السبايا السيدة العاقلة جويرية بنت الحارث سيد بنى المصطلق؛ وكانت فتاة ما تزال فى زهرات العمر الأولى، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى رضي الله عنه (١). ففردت جويرية أن تنال حريتها فكاتبته ثابت بن قيس - أى اتفقت معه أن تعطيه تسع أواقٍ من الذهب على أن يعطيها حريتها فلا تكون أسيرة عند أحد - فوافق ثابت بن قيس على ذلك.

فخرجت جويرية وذهبت إلى رسول الله ﷺ لتسأله أن يساعدها على تفريج همها وفكاكها من الأسر. وجاءت جويرية إلى رسول الله ﷺ النبى الكريم،

(١) نساء أهل البيت / ١. أحمد خليل جمعة (ص: ٣٢٢).

الذي هزم قومها، وأسر رجالهم وسبى نساءهم وذريتهم بالأمس القريب، فكانت هي إحدى سبايا قومها، وهي ابنة سيدهم ورئيسهم. رضي الله عنه وقفت جويرية أمام الرسول الكريم صلوات الله عليه تستعينه على الخروج من سجن حريتها لتتنفس عيب الكرامة، وتستشعر العزة التي كانت تنقلب بين أظفارها، وطلبت منه صلوات الله عليه أن يعينها، وقصّت عليه القصص فقالت: يا رسول الله إنني امرأة مسلمة، أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قوم، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبني على ما لا طاقة لي به، ولا يدان لي، ولا قدرة عليه، وهو تسع أواق من الذهب، وما أكرهني على ذلك إلا أني رجوتك صلى الله عليك، وجئتك أسألك في كتابتي ^(١).

وكانت جويرية في غاية الحسن والجمال وكانت أمنا عائشة قد رأتها قبل أن تدخل على رسول الله صلوات الله عليه

(١) الإصابة (٤/ ٢٥٧) واللسط الثمين (ص: ١٣٥).

ورأت حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا وَبَهَائِهَا فَقَالَتْ: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقع في السهم لثابت بن قيس فكاتبته على نفسي، فجئتك أستعينك على كتابتي. **فأبى رسول الله ﷺ** فأنظر إليها النبي ﷺ نظرة عطف وإشفاق وتحركت عوامل الرحمة والنخوة والكرم في قلبه فهو الذي قال عنه الحق (جل وعلا): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١). **فقال لها ﷺ في رحمة وحنان: «فهل لك في خير من ذلك؟»** **فقالت متلهفة: وما هو يا رسول الله؟** **قال: «أقضى عنك كتابك، وأتزوجك!»** فانشرحت أساريرها وتهلل وجهها الجميل، وكادت أن تطير من فرحتها، فهذه نقلة كبيرة وشرف عظيم، إنه على

(١) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧).

غير المتوقع، فمن سبيّة أسيرة، جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه على أمرها، فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عليها الحرية والزواج والشرف. وانتبهت من مفاجأتها وأجابت الرسول على الفور: نعم يا رسول الله.

قال صلى الله عليه وسلم: «قد فعلت»^(١).

وانصرفت (برّة) من حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفس راضية مطمئنة، حتى يقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كتابها، ويؤدى ثمن خلاصها من الرّق وحصولها على الحرية والشرف والمكانة الطاهرة.

كانت أعظم الناس بركة على قومها

وتم الزواج المبارك ودخلت برّة بنت الحارث التي سمّاها النبي صلى الله عليه وسلم (جويرية بنت الحارث) بيت زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحت منذ هذه اللحظة أم المؤمنين.

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٣١) كتاب المناسك، وأحمد (٢٧٢/٦)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الإرواء (١٢١٢).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

فلما علم أصحاب الرسول ﷺ بخبر زواجها من رسول الله ﷺ قالوا: إن رسول الله ﷺ قد تزوج السيدة جويرية بنت الحارث فلا ينبغي أن يكون أهلها أسرى في أيدينا فهيا لنعتقهم جميعاً ونطلق أسرهم فأرسلوا كل ما في أيديهم من الأسرى فأصبحوا أحراراً ببركة هذا الزواج المبارك.

فبلغ ما أعتقوا مائة أهل بيت منهم، حتى قالت عائشة عن جويرية في ذلك: لا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها.

وهكذا أيضاً نال بنو المصطلق الشرف كل الشرف إذ صاروا أصهاراً لرسول الله وحظوا - وقد أسلموا - بنعمة الدنيا والآخرة.



ودخلت بيت النبوة

وبعد ما كانت جويرية رضي الله عنها تعيش في قصر أبيها ثم في قصر زوجها (مسافع) انتقلت الآن إلى بيت أعظم زوج في الدنيا كلها - محمد بن عبد الله صلوات الله عليه - الذي لم يكن يملك قصرًا ولا متاعًا زائلًا، وإنما كان يملك سعادة الدنيا والآخرة - بإذن الله - تلكم السعادة التي تكمن في شيء واحد ألا وهو: أن نُحقيق العبودية لله - جل وعلا - .

ودخلت رضي الله عنها إلى خدرها لتكون أمًا للمؤمنين وزوجًا لسيد الأولين والآخرين .

وعاشت أجمل أيام عمرها في هذا البيت المتواضع ونسيت حياة الترف والثراء التي كانت تحياها من قبل . . . فالدنيا كلها لا تساوي لحظة واحدة تقضيها بجوار الحبيب صلوات الله عليه الذي لو خُير أي مسلم بين دنياه كلها وبين نظرة واحدة في وجه الحبيب صلوات الله عليه لاختار تلك النظرة الغالية فكيف بمن تعيش معه وتصبح زوجة له لتكون من أهل

البيت اللاتى قال الله تعالى فيهن: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) (٢).

إسلام أبيها (الحارث بن أبي ضرار)

لم يهدأ بال هذا الرجل العربى الأصل والأرومة،
الخنزاعى القبيلة، لم يهدأ بال الحارث بن أبى ضرار سيد
بنى المصطلق منذ أن أخذت ابنته أسيرة ضمن الأسرى
الذين وقعوا غنيممة فى أيدي المسلمين، فراح يفكر ويدبر
ويعمل على فدائها واستردادها بأسرع ما تمكَّنه من ذلك
ظروفه وموارده.

وعلى ذلك سار الحارث إلى المدينة، وقد ساق معه
جمعاً من الإبل لفداء ابنته بها من المسلمين.

وبينما هو ينزل بمكان اسمه «العقيق» للراحة قبل
دخوله المدينة، وقد سرحت الإبل التى جاء بها لفداء ابنته
أمامه، أعجبه منها بعيران، ودَّ لو احتجزهما وأبقاهما

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) صحايات حول الرسول / للمصنف (ص: ٢٣١ - ٢٣٢).

لنفسه، ونفَّذ الحارث ما قامت نفسه إليه، فاحتجز
البعيرين، وغيبهما في شِعبٍ من شِعب العقيق، ثم أتى
المدينة يسوق باقي الإبل معه لفداء ابنته.

وقصد الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق إلى
النبي صلوات الله عليه ومعه الإبل يقول: يا محمد أصبتم ابنتي
وهذا فداؤها.

قال الرسول صلوات الله عليه: «فأين البعيران اللذان غيبتهما
بالعقيق؟».

فدهش الحارث أشد الدهشة لمعرفة الرسول صلوات الله عليه بما
كان منه، ولم يستطع إلا أن يهتف مسلماً: أشهد أن لا
إله إلا الله وأنت رسول الله، فوالله ما أطلع على ذلك
إلا الله!

وهكذا أسلم الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق
الذي كان يجمع جموع العرب لمحاربة محمد صلوات الله عليه
والقضاء عليه، كما أسلم معه ابنان له.
وأرسل الحارث فأتى بالبعيرين ليفدى ابنته قائلاً للرسول
صلوات الله عليه: هذا فداء ابنتي، فإن ابنتي لا يسبى مثلها!

فقال الرسول ﷺ: «أرأيت إن خيّرناها؟ أليس قد أحسنًا؟». فقالت: نعمت يا رسول الله، فماذا تريد؟
أجاب الخارث: بلى. فقالت: فماذا تريد؟
وسئلت برة فيما تختار، فقالت: اخترت رسول الله ﷺ... وأسلمت برة، وأعتقها النبي ﷺ وتزوجها وسماها «جويرية»^(١).

وها هو النبي ﷺ يعلمها الخير كله

كان بيت رسول الله ﷺ بيت طاعة وذكر وعبادة وخشوع.
وكانت جويرية ﷺ من القانتات العابدات الصائمات القائمات... وكانت لا تفتت أبداً عن ذكر رب الأرض والسموات.
وكانت تقتبس كل يوم نوراً من الهدى النبوي فكان النبي ﷺ يعلمها من القرآن ومن السنة ما يجعلها تعبد الله على علم، وكان النبي ﷺ كلما رآها يعلمها شيئاً جديداً لكي تزداد علماً وإيماناً وثباتاً على الحق الذي تحياه.

(١) أزواج النبي (ص: ٢٨٠-٢٨١) بتصرف.

عن جويرية بنت الحارث: أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة، وهي صائمة، فقال لها، «أصمت أمس؟» قالت: لا. قال: «أتريدين أن تصومي غداً؟» قالت: لا. قال: «فأطري» ^(١).
عن جويرية بنت الحارث أنها قالت: لما أتاني رسول الله ﷺ وهو قد رمى عليهما رسول الله ﷺ وهم في مصلاتها

أول النهار، ثم مر عليها في الظهيرة فوجدتها جالسة خاشعة تُسبِّح ربها فقال لها: «ما زلت على حالك؟»
 لقد مضى على حالها هذا وقت طويل، وهي خاشعة مُسبِّحة عابدة قانتة، عند ذلك أتحفها رسول الله ﷺ بخصوصية في الذكر والدعاء والابتهاال، أراد أن يعلمها تسبيحاً يليق بما رآه عليها من خشوع في العبادة وإخلاص فيها فقال لها: «ألا أعلمك كلمات تقولينهن: سبحان الله عدد خلقه» ثلاث مرات، «سبحان الله رضا نفسه» ثلاث مرات، «سبحان الله زنة عرشه» ثلاث مرات، «سبحان الله مداد كلماته» ثلاث مرات.

هنيئاً لأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها هذه

(١) صحيح: رواه البخاري (١٩٨٦) كتاب الصوم.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

الأقوال الطيبة التي منحها إياها رسول الله ﷺ .
وتقول جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: أتى عليّ رسول الله ﷺ فقال: «لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته»^(١).

راويّة الحديث

كانت السيدة جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها مستمعة جيدة لحديث رسول الله وواعية لما يقول، عاملة لما يريد وكانت تحب الخير للناس حباً جماً، وقد روى عنها حُبر الأمة عبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عمر رضوان الله عليهم أجمعين، وروى عنها أيضاً الطفيل ابن أخيها، ومجاهد، وآخرون.
ولأم المؤمنين جويرية رضي الله عنها سبعة أحاديث، منها حديث في صحيح الإمام البخاري، وفي صحيح مسلم حديثان^(٢).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٦١).

وفاة الحبيب صلى الله عليه وسلم

وهكذا تنقضى الأيام الجميلة مسرعة... فقد عاشت جويرية رضي الله عنها أعلى وأحلى أيامها في رحاب الحبيب صلى الله عليه وسلم ولكن سرعان ما جاءت الأحزان تطرق الأبواب ليفترق الأحباب... مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان لها زوجاً وحبيباً ورسولاً ومُعلماً. . . ففقدت كل ذلك في لحظة واحدة فحزنت عليه حزناً كاد أن يمزق قلبها ولكنها احتسبته عند الله - جل وعلا - لتفوز بأجر الصابرين الذين ينالون الأجر يوم القيامة بغير حساب. وعاشت في ظل الخلافة الراشدة. . . وكان الخلفاء يعرفون قدرها ومكانتها فكانت رضي الله عنها تُحظى بكل تقدير واحترام.



وحان وقت الرحيل

وعاشت أمنا جويرية بعد رسول الله ﷺ راضية مرضية، قضت شطر حياتها في أفياء عدل خلفاء النبي ﷺ ومع أزواج النبي الطاهرات، وكانت حياتها منعمة بالعلم والذكر والدعاء والتسبيح، وتلقين العلم لأهل العلم الذين ينشدون مآربهم العلمية في المدينة المنورة، ويقصدون منارات العلم، وشوامخ الرواة، ومن هؤلاء زوجات النبي الطاهرات ﷺ.

وكانت جويرية أم المؤمنين بما حفظته عن رسول الله ﷺ تحكى بعض الذكريات عن حياتها مع الرسول ﷺ، أو تتحدث عن قصة زواجها من رسول الله ﷺ.

وامتدت حياة أم المؤمنين جويرية ﷺ إلى خلافة سيدنا معاوية بن أبي سفيان ﷺ وقد بلغت سبعين سنة. ففي سنة خمسين^(١) من الهجرة النبوية الشريفة،

(١) طبقات ابن سعد (٨ / ١٢٠) وسير أعلام النبلاء (٢ / ٢٦٣) والمواهب اللدنية (٢ / ٩١).

شعرت أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها بقرب لقاء الله عز وجل،
وشعرت بالمرض يدب في جسدها، وفي شهر ربيع الأول
من السنة نفسها توفيت أم المؤمنين جويرية رضي الله عنها، وشُيِّعَ
جثمانها إلى البقيع لترقد إلى جانب أمهات المؤمنين،
وبنات الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، . . . وصلى عليها مروان
بن الحكم، وكان إذ ذاك أمير المدينة المنورة^(١).
فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس
مشاها.



(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٣٧-٣٣٨).

صفية بنت حىي رضيت الله عنها

صفية بنت حبيبي رضي الله عنها

حبايبى الحلويين:

وها نحن نفتح سوياً صفحة جديدة نتعرف من خلالها على أم المؤمنين صفية بنت حبيبي بن أخطب رضي الله عنها. إنها الأم التي ملأت الدنيا زهداً وورعاً وطاعة وحلماً. وحسبها أن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لها بالصدق والوفاء فقال صلى الله عليه وسلم: «والله إنها لصادقة»^(١).

بل زكّأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لها: «إنك لابنة نبي وإن عمك لنبى وإنك لزوجة نبي»^(٢).

فتعالوا بنا لتتعاشق بقلوبنا وأرواحنا مع سيرة أم المؤمنين صفية بنت حبيبي رضي الله عنها.



(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٣١/١١)، ومعمر بن راشد في جامعه (٢٩٤/٤).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٩٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في المشكاة (٦١٨٣).

كيف كانت البداية

لقد كانت صفية رضي الله عنها من يهود خيبر وكان أبوها (حبي بن أخطب) سيدهم المطاع فعاشت معه في رغدٍ ونعيم لكنها كانت تشعر أن النعيم الحقيقي هو نعيم القلب لا نعيم الجسد. لما اشتد عودها كان أشرف قومها يطمعون في الزواج منها فتزوجها سلام بن مشكم ثم فارقتها ليتزوجها من بعده كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو من كبار بني النضير أيضاً وصاحب حصن (القموصل) أمنع حصون خيبر.

شمس الإسلام.... وعداوة اليهود

ولما أشرقت شمس الإسلام على أرض الجزيرة كان اليهود - كما أسلفنا - تقطر قلوبهم خبثاً وحقداً وضغينة على النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته فقد كانوا يطمعون أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم واحداً منهم لا من العرب. وكانت صفية رضي الله عنها ترى الحقد الذي كان يخرج من قلب أبيها (حبي بن

أخطب) على النبي ﷺ وأصحابه . . ولعل الموقف الآتي يوضح لنا تلك الصورة واضحة جلية .

قالت صفية بنت حبي بن أخطب: كنت أحبُّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه .

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي (حبي بن أخطب) وعمي أبو ياسر بن أخطب .

قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس .

قالت: فأتيا كألين كسلانين ساقطين يمشيان في ضعف وفتور فهششت^(١) إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلى واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي، أبا ياسر، وهو يقول لأبي حبي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله؛ قال: أتعرفه وتُثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت^(٢) .

(١) هششت: أي بششت لهما فرحاً بهم .

(٢) لسيرة النبوة لابن هشام (٢/ ١٢٦ - ١٢٧) .

مؤامرات اليهود على الإسلام والمسلمين

لما أرسل الله - تعالى - محمداً ﷺ من العرب -
لا من اليهود - امتلأت نفوس اليهود بالحسد والغيرة،
وأكل الحقد والغیظ قلوبهم، وجعلوا يشككون في نبوته
وفي دينه ويقولون: ليس محمد هو الرسول الذي كنا
نتنظر، وليس دينه هو الدين الذي كنا نبتغي! وحرفوا ما
جاء في كتابهم عنه، وغيروا كل ما يدل عليه من اسم أو
صفة أو إشارة، علماً بأن النبي ﷺ جاء مُصدّقاً لما بين
أيديهم من الكتاب، موافقاً لكل ما يعرفون من صفة هذا
النبي الأُمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة،
ولكن طبيعة الأثرة غلبت على نفوسهم، إذ يعتقدون أنهم
أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار في الأرض، وأن الرسل
والأنبياء لا يكونون إلا منهم، وعزَّ عليهم أن يكون هذا
النبي من العرب، لذلك أضرموا له العداوة والبغضاء،
وظلت العداوة كامنة في صدورهم لرسول الله ﷺ
ولدعوته منذ بعثته.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة كانوا أول كافر به، بل إنهم منذ اليوم الأول الذي حلَّ فيه رسول الله ﷺ المدينة واجهه اليهود بالعداوة والمكر، وشجعوا بعض العرب على النفاق وإلقاء أسئلة التعنت، وتواصوا بينهم بالكيد الدائم للرسول ﷺ والإسلام^(١).

إجلاء يهود بنى قينقاع

وكان سبب إجلاء يهود بنى قينقاع أن امرأة مسلمة ذهبت إلى سوق بنى قينقاع لتبيع ذهبها فلما أعطت الذهب للتاجر اليهودي وجلست جانباً جاءها يهودي خبيث وطلب منها أن تكشف وجهها فرفضت فأخذ طرفاً من ثوبها وعقده إلى أعلى الثوب دون أن تدرى فلما قامت انكشف جزء من جسدها فصرخت ووقف اليهودي ضاحكاً فقام رجل من المسلمين على هذا اليهودي فقتله، فقام اليهود على هذا الرجل المسلم فقتلوه فلما علم النبي ﷺ بذلك أخرج يهود بنى قينقاع من المدينة وأجلاهم عنها.

(١) رجال مشهورون بالجنة (ص: ٢٦٨).

مؤامرة لقتل النبي ﷺ

وظل اليهود يتآمرون على النبي ﷺ وعلى المسلمين ويحتالون أشد أنواع الحيل لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقاتلوا المسلمين.

لكنهم خافوا من النبي ﷺ وأصحابه بعد الانتصار في يوم بدر وبعد إجلاء يهود بنى قينقاع.

ولكنهم بعد غزوة أحد تجرؤوا، فكاشفوا بالعداوة والغدر، وأخذوا يتصلون بالمنافقين وبالمشركين من أهل مكة سرًا ويعملون لصالحهم ضد المسلمين.

وصبر النبي ﷺ حتى ازدادوا جرأة وجسارة بعد وقعة الرجيع وبئر معونة، حتى قاموا بمؤامرة تهدف إلى القضاء على النبي ﷺ.

وبيان ذلك: أنه ﷺ خرج إليهم في نفرٍ من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الرجلين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري - وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة - فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ههنا حتى نقضى حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من

بيوتهم ينتظر وفاءهم بما وعدوا، وجلس معه أبو بكر وعمر وعلي وطائفة من أصحابه^(١). سنة ١٠ هـ

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا لذلك. فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيتُه داخلًا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣١٧).

أدبقات المؤمنین زوجات الرسول ﷺ

وما لبث رسول الله ﷺ أن بعث محمد بن مسلمة إلى بنى النضير ليخبرهم أن رسول الله ﷺ يأمرهم بالخروج.

ولم تجد يهود مفرأ من الخروج، فأقاموا أياماً يتجهزون للرحيل، لكن رئيس المنافقين - عبد الله بن أبي - بعث إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معى الفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١) وتنصركم قريظة وحلفاؤكم من غطفان.

وهناك عادت لليهود ثقتهم، واستقر رأيهم على المواجهة، وطمع رئيسهم حبي بن أخطب، فيما قاله رأس المنافقين، فبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. فلما بلغ رسول الله ﷺ جواب حبي بن أخطب

(١) سورة الحشر: الآية: (١١).

كَبُرَ وكَبُرَ أصحابه، ثم نهض لمناجزة القوم، فاستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وسار إليهم وعلى بن أبي طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليهم فرض عليهم الحصار.

والتجأ بنو النضير إلى حصونهم، فأقاموا عليها يرمون بالنبل والحجارة، وكانت نخيلهم وبساتينهم عوناً لهم في ذلك، فأمر النبي ﷺ بقطعها وتحريقها.

واعترلتهم قريظة، وخانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيراً، أو يدفع عنهم ضرراً، ولهذا شبه سبحانه وتعالى قصتهم، وجعل مثلهم: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

ولم يطل الحصار - فقد دام ست ليالٍ فقط، وقيل: خمس عشرة ليلة - حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيؤوا للاستسلام ولإلقاء السلاح فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: نحن نخرج عن المدينة، فأنزلهم على

(١) سورة الحشر: الآية: (١٦).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أن يخرجوا عنها بنفوسهم وذرائعهم، وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح. فنبذوا السلاح، وخرّبوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، بل حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف، ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترحّل أكثرهم وأكابرهم كحُيى بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط: يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب، فأحرزا أموالهما. وقبض رسول الله ﷺ سلاح بني النضير، واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم فوجد من السلاح خمسين درعاً، وخمسين بيضة (خوذه) وثلاثمائة وأربعين سيفاً^(١).

(١) الرحيق المختوم: (ص: ٣١٩).

مؤامرة حقيرة

ولما اجتمعت كتائب الكفر فى غزوة الأحزاب (الخذق) وأرادوا أن يبيدوا الإسلام وأهله . . وكان هناك معاهدة بين النبي صلوات الله عليه ويهود بنى قريظة على أن يقفوا فى وجه كل من أراد يشرب (المدينة) . . لكن حُيى بن أخطب (والد صفية) ذهب إلى بنى قريظة فى ديارهم ، فقال: قد جئتكم بعزّ الدهر، جئتكم بقريش على سادتها، وغطفان على قادتها، وأنتم أهل الشوكة والسلاح، فهيا حتى نقاتل محمداً ونفرغ منه، فقال له رئيسهم: بل جئتنى والله بذل الدهر، فلم يزل حُيى يخادعه ويعدّه ويُمنيه حتى أجابه بشرط أن يدخل معه فى حصنه، يصيبه ما أصابهم، ففعل، ونقضوا عهد رسول الله صلوات الله عليه، وأظهروا سبّه، فبلغ رسول الله صلوات الله عليه الخبر، فأرسل يستعلم الأمر، فوجدهم قد نقضوا العهد، فكبر وقال: «أبشروا يا معشر المسلمين».

فلما انصرف رسول الله صلوات الله عليه إلى المدينة، لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاء جبريل، فقال: «أوضعت

السلاح، والله إن الملائكة لم تضع أسلحتها؟! فانهض بمن معك إلى بنى قريظة، فإني سائرٌ أمامك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب»، فسار جبريل في كوكبة من الملائكة، ورسول الله ﷺ على أثره في موكبه من المهاجرين والأنصار^(١).

لقد حكمت فيهم بحكم الله

من فوق سبع سماوات

فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمسة وعشرين ليلة، فلما اشتد حصارهم واشتد البلاء، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا (أبا لُبابة بن عبد المنذر)، فأشار إليهم أنه الذبيح. فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ.

قال رسول الله ﷺ: «أحكم فيهم».

قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتُسبي

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤١١٧) كتاب المغارى، ومسلم (١٧٦٩) كتاب الجهاد والسير.

ذرايهم وتُقسَم أموالهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله ﷺ» (١) وفي بنى قريظة نزل قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (٢).

* وكان حكم سعد في غاية العدل والإنصاف، فإن بنى قريظة بالإضافة إلى ما ارتكبوا من الغدر الشنيع... كانوا قد جمعوا لإبادة المسلمين ألفاً وخمسمائة سيف، وألفين من الرماح، وثلاثمائة درع، وخمسمائة ترس وجحفة، حصل عليها المسلمون بعد فتح ديارهم. وأمر رسول الله ﷺ فحُبست بنو قريظة في دار بنت الحارث امرأة بنى النجار، وحُفرت لهم خنادق في سوق المدينة، ثم أمر بهم فجعل يذهب بهم إلى الخنادق جماعات، وتُضرب في تلك الخنادق أعناقهم.

(١) حسن: رواه أحمد (١٤١/٦)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٦٧).

(٢) سورة الاحزاب: الأيتان: (٢٦-٢٧).

مقتل أبيها

وهكذا تم استتصال أفاعى الغدر والخيانة، الذين كانوا نقضوا الميثاق المؤكد، وعاونوا الأحزاب على إبادة المسلمين في أخرج ساعة كانوا يمرون بها في حياتهم - وكانوا قد صاروا بعملهم هذا من أكابر مجرمي الحروب الذين يستحقون المحاكمة والإعدام.

وقُتل مع هؤلاء شيطان بنى النصير، وأحد أكابر مجرمي معركة الأحزاب حُبي بن أخطب والد صفية أم المؤمنين ﷺ... كان قد دخل مع بنى قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان؛ وفاءً لكعب ابن أسد بما كان عاهده عليه حينما جاء يثيره على الغدر والخيانة أيام غزوة الأحزاب، فلما أتى به - وعليه حلة قد شقها من كل ناحية بقدر أئمة لثلا يسلبها - مجموعة يده إلى عنقه بحبل، قال لرسول الله ﷺ: أما والله ما لمت نفسي في معاداتك، ولكن من يغالب الله يُغلب. ثم قال: أيها الناس، لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر

وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه ^(١).

صفية ترى رؤيا بزواجها من النبي صلى الله عليه وسلم

ذاع خبر ما أصاب يهود بني قريظة لدى سائر اليهود المنتشرين في شتى أنحاء جزيرة العرب. وعلم يهود بني النضير، بما كان من مقتل رئيسهم حبي بن أخطب الذي خرج يُحزب الأحزاب ويجمع الجموع، للقضاء على محمد صلى الله عليه وسلم، وأدركت ابنته صفية أن أباهما الذي سمعته، وهي بعد طفلة صغيرة، يعلن لعلمها أبي ياسر عداوته لمحمد ما بقي، قد ظل حقاً على عداوته له حتى قتله هذه العداوة وقضت عليه. وكانت صفية حينذاك قد شبت فتاة نضرة حلوة تُجملها وضياء أخاذة، ويُزينها عقل راجح ثابت، ويطبعها هدوء محبب، ورزانة مرغوبة.

وكانت حينذاك زوجة لرجل من كبار يهود بني

(١) الرحيق المختوم (ص: ٣٤٣).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

النضير، ومن أوائل أصحاب الرأي والمشورة فيهم، هو سلام بن مشكم، وفارقها سلام ليتزوجها من بعده كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهو من كبار رجال بنى النضير أيضاً، وصاحب حصن (القموص) أمنع حصون خيبر، وصاحب كنز اليهود (أى: المتولى أمر أموالهم والمؤمن على حلبيهم وذهبيهم).

وفي ذات يوم قامت العروس صفية من نومها تقصُّ على زوجها كنانة رؤيا رأتها في المنام، كانت موضعاً لعجبها ودهشتها فقالت: رأيت في المنام أن قمراً أقبل من ناحية المدينة حتى وقع في حجرى. ^(١) بغتة نلتها من ربي، وما إن أتممت صفية ذكر رؤياها لزوجها، حتى رآته وقد تطاير شرر الغضب من عينيه ثم ما أحست إلا ويده تهوى بقوة وشدة على وجهها تلطمها وهو يقول: ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز: محمداً. ^(٢) واحتقن ما حول عين صفية من أثر اللطمة، ثم تحوّل هذا الاحتقان مع مرور الزمن إلى كدمة زرقاء قائمة ^(٣).

(١) أزواج النبی / ١. عبد المنعم الهانسي (ص: ٣٩٤ - ٣٩٥).

غزوة خيبر

لما اطمأن رسول الله ﷺ من أقوى أجنحة الأحزاب الثلاثة، وأمن منه أمناً باتاً بعد الهدنة، أراد أن يحاسب الجناحين الباقين - اليهود وقبائل نجد - حتى يتم الأمن والسلام، ويسود الهدوء في المنطقة، ويفرغ المسلمون من الصراع الدامي المتواصل إلى تبليغ رسالة الله والدعوة إليه.

ولما كانت خيبر هي وكرة الدس والتأمر، ومركز الاستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب، كانت هي الجديرة بالفتات المسلمين أولاً.

وكان أهل خيبر يتحينون الفرص للنيل من الإسلام ورسوله والمسلمين... وأثناء عودة المسلمين بعد صلح الحديبية إلى المدينة، وقد عُرف أن قريش لم تسمح لهم بدخول مكة، وظنوا بذلك الظنون من أنه لولا ضعف أصاب محمداً ﷺ والمسلمين لما قبِل شروط هذا الصلح المجحف، فهرولوا إلى غطفان وأعراب البادية ليدعوهم لحرب الرسول ﷺ ويؤلبوهم على المسلمين.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

بلغت هذه الأنبياء الرسول ﷺ فأثر أن يفاجئهم
ﷺ قبل أن يفاجئوه.

وجاء المخلفون عنه في الحديبية ليخرجوا معه رجاء
الغنيمة، وكانوا من المنافقين الذين رجعوا عن الخروج معه
يوم الحديبية.

وجاء أمر الله عز وجل بأنه لا يخرج إلى خيبر إلا
المؤمنون حقاً، وهؤلاء المنافقون لا يخرجون معه ولا
يتبعوه أبداً فقال عز وجل: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى
مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُواهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ
تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسَدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا
يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (١).

لذلك فقد حدد رسول الله ﷺ من يخرج معه إلى
خيبر وهم أهل الشجرة الذين بايعوه تحت الشجرة فرضى
الله عنهم لأنهم لم يبايعوا الرسول ﷺ فحسب، بل
بايعوا الله عز وجل - وذلك كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

(١) سورة الفتح: الآية: (١٥).

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)

وقد قُتِلَ المنافقون يعملون لليهود، فقد أرسل رأس المنافقين عبد الله بن أبي إلى يهود خيبر: أن محمداً قصد قصدكم وتوجه إليكم، فخذوا حذرکم، ولا تخافوا منه، فإن عددكم وعدتكم كثيرة، وقوم محمد شرذمة قليلون، عَزَلْ لا سلاح معهم إلا قليل، فلما علم ذلك أهل خيبر، أرسلوا كنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس إلى غطفان، يستمدونهم؛ لأنهم كانوا حلفاء يهود خيبر، ومُظَاهِرِينَ لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر إن هم غلبوا على المسلمين.

خرج جيش المسلمين يحمل الراية السوداء العظيمة المعروفة بالعقاب وهو النسر الأسود، سيد الطيور وكانت الراية من بُرْدِ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها، ولما أشرف الرسول صلوات الله عليه على خيبر قال لأصحابه الأبطال: «قفوا» فوقف الجيش.

ثم دعا دعاءه المستجاب فقال: «اللهم رب السموات وما

(١) سورة الفتح: الآيات: (١٨، ١٩).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

أظللن، ورب الأرضين وما أقلن ورب الشياطين وما
أضلن، ورب الرياح وما أذرين، نسألك خير هذه القرية،
وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا باسم
الله^(١) (٢). *بنا لله وبنا لله*
وأراد الرسول ﷺ أن يفاجئ أهل خيبر، فبات
والمسلمون تلك الليلة واليهود لا يشعرون بهم، فلما
أصبح النبي ﷺ صلى الفجر وركب والمسلمون.
وبينما المزارعون من يهود خيبر يخرجون في هذا
الصباح إلى بساتينهم ومزارعهم، وهم يحملون فؤوسهم
وأدوات زراعتهم، إذ بأهليهم وأصحاب حصونهم،
يسمعون صياحهم ونداءاتهم وهم مقبلون عليها في هرج
ومرج واضطراب، واختلاط، لأنهم قد تملكهم الرعب،
واستبد بهم الفزع، وكانوا يقولون: هذا محمد قد جاء
والجيش معه. لقد هتفوا: محمد والله، محمد
وأصحابه.

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٠/٩٥): رواه الطبراني وفيه راو لم يسم، وبقية
رجالها ثقات.

(٢) ابن الأثير (٢/٢١٧).

أما النبي ﷺ فقد هتف قائلاً: «الله أكبر، خربت خيبر
 إننا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»^(١).
 وخربت خيبر كما تنبأ الرسول ﷺ، فقد سقطت
 حصونها بعد قتال عنيف شديد حصناً بعد حصن في
 أيدي المسلمين، واستولى المسلمون على ما بالحصون من
 عتاد ومؤن وسلاح، ووقع في أيديهم ما كان فيها من
 نساء وأطفال سبايا لهم وأسرى^(٢).

مقتل كنانة بن الربيع زوج صفية

لم تجد اليهود بدءاً من الصلح، فعرضوا الصلح على
 محمد ﷺ، فصالحهم على أن يكون للمسلمين نصف
 ثمار خيبر، وللإهود النصف الآخر نظير عملهم في
 الأرض.

وسأل النبي ﷺ كنانة بن الربيع عن أموال اليهود
 وذهبهم اللذين حملهما بنو قينقاع وبنو النضير معهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧١) كتاب الصلاة، ومسلم (١٣٦٥) كتاب
 النكاح.

(٢) أزواج النبي (ص: ٣٩٦ - ٣٩٧).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

عندما غادروا المدينة، فأنكر كنانة وجودهما قائلاً: يا أبا القاسم، أنفقناهما في حربنا، فلم يبقَ منها شيء .
فقال النبي ﷺ لكنانة: «برئت منكم ذمة الله، وذمة رسوله، إن كان عندكم شيء من أموالكم وذهبكم» .
أجاب كنانة: نعم .

وقال النبي ﷺ: «أرأيت إن وجدناه عندك، أقتلك؟» .
قال كنانة: نعم .

فأشهد النبي ﷺ طائفة من اليهود، وطائفة من المسلمين على ذلك، ثم أمر بالبحث عن أموال اليهود وذهبهم اللذين أنكر كنانة وجودهما، وأقسم عليه .
واكتشف كنز اليهود، وقد خبأه كنانة في خربة من خربات خيبر، وبذلك حلَّ دم كنانة للمسلمين، فقتلوه .



وأصبحت صفية من نصيب النبي صلوات الله عليه

وبعد هذا النصر الكبير الذي تم للمسلمين في غزوة خيبر .

جاء الصحابي الكريم دحية بن خليفة الكلبي عندما جمع السبي فقال: يا نبي الله، أعطني جارية من السبي .
فقال: «أذهب فخذ جارية» .

فأخذ صفية بنت حبي . فجاء رجل إلى النبي صلوات الله عليه فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حبي سيدة قريظة، وبني النضير . . . وهي لا تصلح إلا لك .
قال: «ادعوه بها» .

فجاء بها، فلما نظر إليها النبي صلوات الله عليه قال: «خذ جارية من السبي غيرها» وذهب دحية إلى حيث جمع السبي، وأخذ جارية أخرى هي أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية^(١) .

وكان لرسول الله صلوات الله عليه سهم من الغنيمة يُدعى الصنفي، إن شاء عبداً، وإن شاء أمة، وإن شاء فرساً

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧١) كتاب الصلاة، ومسلم (١٣٦٥) كتاب النكاح.

يختاره قبل الخمس . **قالت أم المؤمنين:** عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وكانت صفة من الصفي . فاختارها صلى الله عليه وسلم ^(١) .

وبينما كانت صفة تنتظر مع عموماتها ما يجريه عليهن حكم الأسر ، أتاها بلال يدعوها لتقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحبت صفة بلالاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعها إحدى بنات عمها ، وفي الطريق مرَّ بهما بلال على جث قتلَى قومهم وأشلائهم ورأت صفة وابنة عمها قتلاهما ، ورأيا شدة ما فعلت قوة الحرب بهم جزاء حياتهم .

لم تستطع صفة أن تمسك نفسها عن البكاء فأنحدرت دموعها على خدها في حين صرخت ابنة عمها وولولت وصاحت صياحاً شديداً . . . ووقفت صفة وابنة عمها وهما على هذا الحال أمام الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعلم رسول الله بما كان من بلال حين مرَّ بالفتاتين على قتلَى قومهما فاستنكر من بلال هذا الفعل ، وقال له :

(١) نساء أهل البيت / ١ . أحمد خليل جمعة (ص : ٣٤٧ - ٣٤٨) .

«أُنزعت منك الرحمة يا بلال، حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما؟!»^(١).

فقال بلال معتذراً: يا رسول الله، ما ظننت أنك تكره ذلك، فأحببت أن يريا مصارع قومهما؟
وحيثما همَّ الرسول ﷺ بمغادرة خيبر، بعد أن انتهى من تدبير أمر اليهود كانت صفية قد أسلمت وتخيرت رسول الله، فحينما خيرها الرسول ﷺ بين الإسلام واليهودية قالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني إلى ذلك، فأعتقها رسول الله، وجعل عتقها صدقاً زواجه منها^(٢).

الزفاف المبارك

وبعد انتهاء الغزوة أمر النبي ﷺ أصحابه بالرحيل لمغادرة خيبر وخيّر النبي ﷺ صفية بين أن يعتقها، فترجع إلى من بقى من أهلها في خيبر، أو أن تشهد

(١) الحديث من رواية إسحاق بن يسار والد محمد بن إسحاق صاحب «السيرة» معلقاً، انظر «السيرة النبوية» (٤٦٨/٣).

(٢) أزواج النبي / أ. عبد المعزم الهاشمي (ص: ٣٩٩ - ٤٠٠).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

شهادة الحق فُتسلم، وحينذاك يتخذها لنفسه؛ فقالت:
أختار الله ورسوله، . . . فأعتقها. وجعل عتقها مهرها
وصداقها. . . .
لقد اختارت صفية الله ورسوله، وعللت ذلك بقولها:
يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن
تدعوني، حيث صرت إلى رحلك. . . .
وبعد أن عرف المسلمون أن النبي ﷺ قد اختار
صفية بنت حُيى لتكون زوجة له ولتكون من أمهات
المؤمنين. . . . قام النبي ﷺ واقترب منها وقدم لها
البعير لتركبه وثنى لها رجله لتضع قدمها على فخذه
مساعدة لها على الركوب، فأبت صفية أن تضع قدمها
على فخذه رسول الله، ووضعت ركبته بدلاً من قدمها،
وعلى بعد ستة أميال من خيبر حطَّ النبي ﷺ يبغى
الزفاف بعروسه فأبت عليه صفية ذلك.

ووجد النبي ﷺ في نفسه وحزن لما بدا من صفية،
فلما كان بالصهباء (وهي موضع على بعد مرحلة من
خيبر) نزل النبي ﷺ، وطلب من أم سليم أن تُعدَّ

صفية لزفافها . **سألت رسول الله ﷺ** بعد أن وبعد ذلك أعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن حلت ، فمشطتها أم سليم الأنصارية وعطرتها ، وكانت أضوا ما يكون من النساء . **وما أصبح رسول الله ﷺ سأل صفية : «ما حملك على الامتناع من النزول أولاً» ؟**

فقلت : خشيت عليك من قرب اليهود .

فزادها ذلك منزلة ومكانة عند النبي .

ثم أمر النبي ﷺ أصحابه أن يأتوا بما عندهم من الطعام فجمعوا طعاماً كثيراً وعملوا وليمة رسول الله ﷺ وزوجته صفية .

وما أجمل أن نتدبر سوياً كيف كان الحبيب ﷺ رحيماً متواضعاً يخاطب كل من حوله برحمة وحنان ويدع له المجال ليُعبّر عما يجيش في نفسه ثم يخاطبه بكل رحمة ليزيل الشبه ويُجلّي الحقائق . . وهذا هو الذي حدث مع أمنا صفية **رضي الله عنها** .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان بعيني صفية خضرة ، فقال

أدبهاات المؤمنین زوجات الرسول ﷺ

لها النبي ﷺ: «ما هذه الخضرة بعينيك؟». . .
قالت: قلت لزوجي: إني رأيت فيما يرى النائم كأن
قمرًا وقع في حجري، فلطمني، وقال: أتريدين ملك
يثر ب؟ قالت: وما كان أبغض إليّ من رسول الله ﷺ
قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إليّ وقال: «يا صفية إن
أباك ألب على العرب وفعل وفعل» حتى ذهب ذلك من
نفسى (١).

ولا نجد تعليقًا على هذا الموقف العظيم إلا أن نتذكر
قول الله عز وجل حيث يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ﴾ (٢).

في بيت النبوة

وعادت صفية رضي الله عنها مع الحبيب ﷺ بعد أن بنى بها
في طريق العودة إلى المدينة المنورة. . . وكانت في قمة
السعادة فهي التي لم يخطر ببالها أن تكون واحدة من
(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤ / ٦٧ / ١٧٧)،
وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٧٩٣).
(٢) سورة التوبة: الآية: (١٢٨).

نساء المؤمنين فكيف وهي الآن من أمهات المؤمنين .
يا لها من لحظة سعيدة يعجز القلم عن وصفها!!! .
جاء البشير إلى أهل المدينة يُعلمهم بقدم رسول الله
ﷺ ، فخرجت المدينة تستقبل رسول الله ﷺ عند
عودته من هذه الغزاة . . . كانت وجوه الرجال تتهلل
بالبشر، والولدان يغمرهم الفرح، بينما كانت النساء على
أسطح المنازل، وقد عمرت أفئدتهن بالسرور. . .
أما المنافقون، فقد كانوا في كمدٍ رهيب، يُظهرون غير
ما تُخفي الصدور، فقد امتلأت قلوبهم غيظًا بنصر رسول
الله ﷺ ، وفضحهم الله عز وجل، وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.
وكانت النسوة في دور النبي ﷺ يتأهبن لاستقبال
نبي الإسلام، وحبيب المسلمين الذي نصره الله عز وجل
بقلوب سليمة، وعزائم صادقة، ونفوسٍ صافية.
ويبدو أن أمنا عائشة الصديقة بنت الصديق ﷺ قد
أخذت الغيرة من نفسها مكانًا واسعًا، بعد أن جاءها نبأ
زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حبيبي ملك اليهود،

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

تلك الشابة الجميلة، ذات السبعة عشر عاماً .
بلغ الركبُ الميمون المدينة المنورة، وأثر رسول الله
ﷺ ألا يدخل على نساء الطاهرات بصفية الصافية،
وأحبُّ أن يُنزلها في بيت الصحابي النجيب حارثة بن
النعمان الأنصاري رضي الله عنه.
وتسامعت نساء الأنصار بصفية زوج النبي ﷺ، وأم
المؤمنين، تلك التي دخلت في عداد أمهات المؤمنين
الطاهرات، وجئن ينظرن إلى جمالها وكمالها ^(١).

الكريمة صاحبة القلب الرقيق

ولما انتقلت صفية رضي الله عنها إلى دور النبي ﷺ كانت
تحمل كل الخير لأخواتها (أمهات المؤمنين) رضي الله عنهن فقد بدأت
بتقديم الهدايا لهن ولكنها بدأت بريحانة رسول الله ﷺ
(ابنته فاطمة) رضي الله عنها فقدمت لها هدية غالية... بل قدمت
بعض الهدايا لأزواج النبي ﷺ...
* وبالها من أمٍ لبيبة عاقلة علمت كيف أن الهدية لها

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٢).

موقع وأثر عظيم فى قلوب الناس من حولها فقد قال
 ﷺ : «تهادوا تحابوا»^(١).
 ولكنها مع ذلك كانت تشعر بغربة شديدة لأن أزواج
 النبى ﷺ الطاهرات لا يستطعن أن ينسين أصلها وأنها
 كانت فى يوم من الأيام يهودية ولكن الله أعزها وأكرمها
 بنعمة الإسلام.

إنك لابنة نبى ... وإن عمك لنبى ...

وإنك لتحت نبى

بلغ صفية أن حفصة قالت عنها أنها: بنت يهودى،
 فبكت، فدخل عليها النبى ﷺ وهى تبكى، فقال: «ما
 يبكيك؟» فقالت: قالت لى حفصة إنى بنت يهودى، فقال
 النبى ﷺ : «إنك لابنة نبى، وإن عمك لنبى، وإنك لتحت
 نبى، فقيم تفخر عليك؟» ثم قال: «اتقى الله يا حفصة»^(٢).

(١) حسن: أخرجه البيهقى (١٦٩/٦)، والبخارى فى الأدب المفرد (٥٩٤)، وأبو
 يعلى (٩/١١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٠١).
 (٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٩٤) كتاب المناقب، وصححه العلامة الألبانى
 رحمه الله فى المشكاة (٦١٨٣).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

بل وحدث ذات مرة أن قامت عائشة رضي الله عنها وعبرت
صفية رضي الله عنها بأنها قصيرة فلم يرض النبي صلى الله عليه وسلم منها ذلك
ولم يُقره.

عن عائشة قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية
كذا وكذا - تعنى: قصيرة - فقال: «لقد قلت كلمة لو
مُزجت بماء البحر لمزجته» (١).

بل وحدث شيء قريب من ذلك من زينب بنت
جحش رضي الله عنها فغضب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وعتب عليها حيناً
من الدهر.

فإنه لما حج النبي صلى الله عليه وسلم بنسائه حدث شيء من أمنا
زينب بنت جحش رضي الله عنها جعل النبي صلى الله عليه وسلم يغضب عليها
غضباً شديداً حتى هجرها ولم يأتها حتى كادت زينب أن
تياس من أن يعفو عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حجَّ بأزواجه اعتلَّ وبرك
الجميل الذي كانت تركبه صفية فأعاقها ذلك عن مصاحبة

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٧٥) كتاب الادب، والترمذي (٢٥٠٢) كتاب صفة
القيامة، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥١٤٠).

سائر أزواج النبي ﷺ . **عما لولا هلالا**
 فلما علم النبي ﷺ بذلك جاء إليها فوجدها تبكى
 فأخذ يمسح دموعها بيده ثم ذهب إلى زينب بنت جحش
 وطلب منها أن تعطى صفية جملاً تركب عليه فقد كانت
 زينب تمتلك الكثير من الإبل .

فقال له زينب: أنا أعطى هذه اليهودية؟!!

فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وهجرها ولم
 يأتيها . . . وظل النبي ﷺ على تلك الحالة ما يقرب من
 ثلاثة أشهر حتى كادت زينب أن تياس من عفوه ورضاه
 عنها .

وبينما هي جالسة في بيتها في يوم من الأيام إذ
 وجدت النبي ﷺ واقفاً خلفها فكاد قلبها أن يطير من
 شدة الفرح والسعادة ولم تعرف ماذا تفعل لتعبر للنبي
 ﷺ عن سعادتها بعودته إليها .

وكان عند زينب جارية تحبها حباً شديداً فوهبتها هدية
 للنبي ﷺ .



والله إنها لصادقة

كانت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها ذات سريرة صافية،
وعلانية نقية، فقد أحببت رسول الله ﷺ، وصدقت في
حبها لله عز وجل، فجاءت تصرفاتها نابعة من معين
الصدق، ومعين الوفاء، مما جعلها متفردة في بعض
المواقف العظيمة، وشهد رسول الله ﷺ لأمنا صفية
بالصدق بعد أن أقسم على ذلك ^(١).

عن زيد بن أسلم: أن نبي الله في وجعه الذي تُوْفِّي
فيه، قالت صفية بنت حُيى: والله يا نبي الله لوددت أن
الذي بك بي. فغمزها أزواجه؛ فأبصرهن. فقال:
«مَضْمُضِن». قلن: من أى شىء؟ قال: «من تغامزكن بها،
والله إنها لصادقة» ^(٢).

فيا لها من منقبة عظيمة لام المؤمنين (صفية) أن يشهد
لها الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ بأنها صادقة
بل ويقسم بالله على ذلك.

(١) نساء أهل البيت (ص: ٣٥٨).

(٢) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٢٨) ورجاله ثقات لكنه مرسل.

استدراك ما فات

وكانت صفة رضي الله عنها تجتهد في طاعة الله - جل وعلا -
لتستدرك ما فات من عمرها فقد كانت تتمنى أنه لو كانت
أسلمت مع أول لحظة بُعث فيها الحبيب محمد صلوات الله
لتغتتم كل لحظة في طاعة الله وفي جوار رسوله صلوات الله.
ومن أجل ذلك كانت لا تترك لحظة من عمرها تمر إلا
في طاعة الله. . . وكان قُربها من النبي صلوات الله يجعلها
تتعلم على يديه كل ما ينفعها في دينها ودُنْيَها فكانت
تنهل من النبع والمعين الصافي مباشرة فأخذت من أخلاق
النبي صلوات الله وهدية ورحمته وبصيرته وعلمه. . . بل
وجلست تحفظ الكثير والكثير من كتاب الله - جل وعلا -
- وراحت تنقل سنة النبي صلوات الله إلى النساء من حولها
عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (١).



(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٤).

فراق مؤلم

ومرت الأيام الجميلة مسرعة فقد كانت صفية رضي الله عنها تعيش مع النبي ﷺ في جنة الدنيا التي يحفها الإيمان من كل جوانبها.

ولكن دوام الحال من المحال فقد جاء اليوم الذي أظلم فيه الكون كله بموت النبي ﷺ فحزنت (صفية) عليه حزناً شديداً كاد أن يمزق قلبها ولكنها صبرت واحتسبت النبي ﷺ عند الله لتفوز بأجر وثواب الصابرات.

والله يحب المحسنين

وبعد وفاة الحبيب ﷺ ظلت صفية رضي الله عنها على العهد قائمة صائمة عابدة لله عز وجل... وكان أبو بكر رضي الله عنه يعرف قدرها ومكانتها السامقة العالية... ولما توفى أبو بكر وتولى عمر الخلافة كان أيضاً يعرف فضلها ومنزلتها العالية. وما هو موقف عظيم من مواقفها التي توضح كيف أنها كانت رحيمة بكل من حولها بل وتحمل الخير في قلبها لكل الناس.

رُوى أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقالت له إن صفية تحب يوم السبت، وتصل اليهود. فبعث عمر يسألها. فقالت: أما السبت، فلم أحبه منذ أبدلني الله به؛ وأما اليهود، فإن لي فيهم رحماً، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فاذهبي فأنت حرة^(١).

لقد كانت رضي الله عنها تستطيع أن تتقم لنفسها ولكنها تعلمت العفو عند المقدرة من صاحب الخلق الرفيع محمد ابن عبد الله صلوات الله عليه.

موقفها الجليل مع عثمان بن عفان رضي الله عنه

كانت صفية رضوان الله عليها صاحبة مروءة ونجدة، وكان من مروءتها ونجدةها أن خرجت يوم مقتل عثمان رضي الله عنه من دارها على بغلة يقودها مولى لها، تحاول ردَّ الثائرين وتدفعهم عن خليفة المسلمين عثمان بن عفان، وتصدَّ الخارجين عليه، الذين حاصروه، ومنعوا عنه الطعام والشراب بغية قتله، فلما لم تستطع ذلك، وضرب

(١) الاستيعاب (١٣ / ٦٥).

الناس البغلة التي تركبها في وجهها وهم لا يعرفون أن صاحبها أم من أمهات المؤمنين قالت لمولاها: ردني ولا تفضحنى (١).

ثم وضعت بين دارها ودار عثمان جسراً، كانت تعبره لتنقل إلى دار عثمان ما استطاعت نقله إليه من الماء والطعام.

وبهذا التصرف الكريم، عبرت أم المؤمنين صفية عن عدم رضاها عن الذين ظلموا سيدنا عثمان، وضيقوا عليه، ومنعوا عنه الطعام والماء، فرأت من واجبها أن تكون خير معوان لذي النورين عثمان.



(١) الإصابة (٤/ ٣٣٩) والطبقات (٨/ ١٢٨).

وحان وقت الرحیل

وعاشت أمنا صفیة رضی اللہ عنہا بعد وفاة الحبيب صلی اللہ علیہ وسلم قرابة أربعین سنة كانت كلها فی طاعة الله عز وجل ما بین صلاة وصیام وصدقة وعلم ودعوة إلى الله .
ولقد حضرت عصر الخلفاء الراشدين من أوله لآخره وعاشت أحداث الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً ورأت كل ما أخبر عنه الحبيب صلی اللہ علیہ وسلم من النصر والتمكين للمسلمين فی مشارق الأرض ومغاربها .
وفی سنة خمسين من الهجرة نامت أمنا صفیة رضی اللہ عنہا على فراش الموت لتلقى ربها راضية مرضیة بعد أن مات الحبيب صلی اللہ علیہ وسلم وهو راضٍ عنها .
وماتت رضی اللہ عنہا لتكون مثلاً وقدوة لكل مسلمة إلى يوم القيامة .
فرضی الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها ^(١) .



(١) صحايات حول الرسول / للمصنف (ص: ٢٦٧ - ٢٦٨) .

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها
(أم حبيبة)

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها
(أم حبيبة)

حبايب الحلوبين:

وها نحن نفتح صفحة جديدة نتعرف من خلالها على
أمتنا الغالية رملة بنت أبي سفيان - أم حبيبة - رضي الله عنها التي
ضحت بكل شيء من أجل أن تظفر بنعمة الإسلام
والتوحيد.

فقد كانت أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان) تعيش مع
أبيها في مكة... وكانت طيبة رقيقة القلب تحب الخير
لكل الناس من حولها.

* وتمر الأيام ويرسل الله جل وعلا حبيبه محمداً
صلوات الله عليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور،... وكانت
أم حبيبة في ذلك الوقت قد تزوجها عبيد الله بن جحش.
وما إن سمعا ببعثة النبي صلوات الله عليه حتى أسرعوا إليه

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وأسلما لله جل وعلا فهما يعرفان أن النبي ﷺ هو
الصادق الأمين الذي يشهد بصدقه وأمانته كل أهل مكة .
* لكن أباهما لما علم بإسلامها هي وزوجها امتلا قلبه
غلاً وحقداً على ابنته وزوجها .

ثباتها على دينها

وأبو سفيان كان سيداً من سادات قريش ولم يكن
يخطر بباله لحظة واحدة أن هناك من يستطيع أن يخالف
أمره أو يخرج عن سلطانه لكن ابنته (رملة) التي تُكنى
ب(أم حبيبة) شرح الله صدرها للإسلام فاستجابت لدعوة
الحق من أول لحظة وأسلمت لله - جل وعلا - وتركت
دين الآباء والأجداد ونبذت الأصنام التي كانوا يسجدون
لها من دون الله عز وجل .

وحاول أبو سفيان بكل ما أوتى من قوة أن يردَّ ابنته
وزوجها إلى دين الآباء والأجداد فلم يستطع لأن الإيمان
إذا لامس شغاف القلوب فلا يستطيع الكون كله - ولو
اجتمع - أن يقتلع الإيمان من هذه القلوب التي رسخ فيها
الإيمان وعمقت جذوره .

الهجرة إلى الحبشة

ولما تيقنت قريش من أن أبا سفيان عاجز عن أن يردَّ ابنته وزوجها إلى دين الآباء... وأنه أصبح ساخطاً على ابنته وزوجها اجترأت عليهما وبدأت تضيق عليهما الخناق.

ولم يكن هذا التضيق خاصاً بهما بل لسائر المستضعفين من المسلمين فلقد قرر المشركون ألا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام. ومنذ جهر الرسول بالدعوة إلى الله، وعالن قومه بضلال ما ورثوه عن آبائهم. انفجرت مكة بمشاعر الغضب وظلت عشرة أعوام تعدّ المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباححت في الحرم الآمن من دمائهم وأموالهم وأعراضهم^(١).

فلما خشى النبي ﷺ على أصحابه من أن يُفتنوا في دينهم أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة، فهاجروا إلى الحبشة. عندئذ خرج فوج من المسلمين مهاجرين إلى أرض

(١) فقه السيرة للغزالي (ص: ١٢٠).

الحبشة، مستخفين من أعدائهم المشركين، وكان فيمن
خرج من مكة مهاجراً إلى الحبشة عبد الله بن جحش،
وأخوه عبيد الله تصحبه زوجته رملة بنت أبي سفيان.
وعند خروج أم حبيبة من مكة، نظرت إلى ربوع
مكة، وغطت وجهها سحابة من الحزن، لأن مكة وطنها
الحبيب، الذي بين ربوعه درجت وشبت وكبرت وفيه
آمنت، وأسلمت، وعلى يد محمد الأمين ﷺ الذي
بعثه الله بالحق تبين نور الهدى من بين ظلمات الضلال
حتى أجبرتها قسوة قومها المشركين على مغادرة مكة هي
وزوجها، وكثير من المسلمين.

وقد لاقت أم حبيبة والمسلمون في رحلتهم من مكة
إلى الحبشة صعوبات ومتاعب هونها عليهم إيمانهم
بدينهم، وجهادهم في سبيل الله، وكانت أم حبيبة حاملاً
بطفلتها حبيبة، وكان الحمل يرهقها إرهاقاً شديداً فكانت
تضيق بمتاعبه وآلامه، إلا أنها تحملت المتاعب، وبددتها
في غمرة فرحتها وغبطتها بأن ما تقاسيه ما هو إلا في
سبيل دينها وحررتها في عبادة الله، وفي سبيل فرارها

بعقيدتها الجديدة، وبدينها الجديد.

وقد استقبل النجاشي المهاجرين إلى بلاده بالحفاوة والترحيب، وأنزلهم بجواره في خير جوار.

* ولقد أرسل كفار قريش رجلين إلى النجاشي هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة - ليطلبوا من النجاشي أن يرد هؤلاء المسلمين المهاجرين إلى أهل مكة مرة أخرى، لكن النجاشي رفض أن يفعل ذلك إلى أن يستمع لكلام المسلمين... فلما كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه علم النجاشي أن المسلمين على الحق ورفض أن يردهم إلى كفار قريش بل وأسلم بعد ذلك النجاشي سراً.

* وهناك عاش المسلمون وعاشت أم حبيبة أجمل أيام حياتها في ظل دينها وإيمانها وفي ظل هذا الأمان الذي رأوه في أرض الحبشة.

* وكانت هناك تزور أخواتها المسلمات وتسعد بلقائهن بين الحين والحين.

* * *

محنة شديدة

وظنت أم حبيبة رضي الله عنها أن السعادة ستدوم طويلاً لكنها لم تعلم أن هناك ابتلاء شديد في انتظارها وأنها ستعيش بسببه أصعب أيام حياتها فلقد عكف زوجها عبید الله بن جحش على شرب الخمر وأخذ يترك مجالس المسلمين ويجلس مع نصارى الحبشة إلى أن أصبح في يوم من الأيام ليقول لها: يا أم حبيبة لقد نظرت في الأديان فما رأيت ديناً خيراً من دين النصرانية... ثم خيّرهما بين أمرين: إما أن تتنصر معه وإما أن يُطلقها.

هنا تذكرت أم حبيبة ذات يوم رؤيا رأتها ذات ليلة أحزنتها، وأزعجتها، فقد رأت زوجها عبید الله بن جحش في أسوأ صورة، وعلى أشنع خلقه؛ فهبت من نومها وقد أخذها الرعب، واستبدَّ بها الفزع وأخذت تفكر فيما رآته من رؤيا، وتستعرض ما لحظته من تغيير وتبديل في أحوال زوجها.

كانت هذه الكلمات بمثابة زلزال يهد كيان أم حبيبة المسلمة المؤمنة، فبهتت لما سمعت من زوجها برغم ما

لاحظته وتبينته من حاله، فقد تغير بصورة ملحوظة منذ فترة بعيدة، فما كانت تظن أن زوجها عبيد الله بن جحش الذي جاهد طويلاً في سبيل السبحة عن دين حق يعبد به الله، يخرج على هذا الدين بعد أن وجدته! وما كان يخطر ببالها أن زوجها بعد أن ترك دياره، وخلف بلاده من أجل أن يتفرغ إلى دين الإسلام، سوف يتبد هذا الدين ويدخل في دين غيره!

وحاولت أم حبيبة - وهي المسلمة القابضة على دينها - أن ترفض محاولة زوجها - الذي أصبح نصرانياً - في ردها عن دينها وإقناعها بدخول دين النصارى، فما كان منها إلا أن فارقت زوجها الذي تنصّر، وفارقت، وعاشت وحيدة مع ابنتها حبيبة، ولا سلوى لها في محنتها في زوجها إلا أنها ما زالت على دين الحق، ولا عزاء لها في غربتها إلا ما يضيء قلبها بنور الإسلام الذي هداه الله إليه، ومات زوجها عبيد الله بن جحش على دين النصرانية الذي دان به وترك الإسلام.

* وعلم النبي ﷺ بما حدث لأم حبيبة وحزن لذلك

حزناً شديداً .
* وفي تلك الأثناء كان النبي ﷺ قد وصله أخبار المهاجرين إلى الحبشة وعلم ما فعله النجاشي مع أصحابه من إكرام وأمان وسلام في بلاده فازداد حباً وتوقيراً لهذا الرجل العظيم وبخاصة بعدما علم أنه قد أسلم سرّاً وأصبح مسلماً وموحداً .
وبدأت العلاقات تتعمق بين النبي ﷺ وبين النجاشي .

ففي سنة سبع للهجرة أراد النبي ﷺ أن يدعو ستة من عظماء الملوك إلى الإسلام . . . فكتب لكل واحد منهم رسالة رقيقة يحضه فيها على أن يُسلم لله جل وعلا .
واختار النبي ﷺ ستة من أصحابه ليذهبوا بتلك الرسائل إلى هؤلاء الملوك . . . فتعلم كل واحدٍ من هؤلاء الصحابة لغة البلد التي سيذهب إليها .
وكان الذي أرسله النبي ﷺ إلى نجاشي الحبشة هو عمرو بن أمية الضمري .

* وذهب عمرو بن أمية إلى النجاشي وما إن وصل

حتى استقبله النجاشي أحسن استقبال وأكرمه غاية الإكرام.

وما إن جلس معه عمرو حتى أعطاه الرسالة التي جاء بها من عند رسول الله ﷺ . . . وما إن أخذها النجاشي حتى نزل من على سرير الملك ووضع الرسالة على عينيه إجلالاً لها وأعلن إسلامه مرة أخرى أمام الملائكة ليعلن استجابته لدعوة النبي ﷺ .

ثم قال: والله لو كنت أستطيع أن أذهب إلى النبي ﷺ لذهبت إليه الآن وجلست بين يديه ووضعت رأسي على قدميه.

ثم كتب إلى النبي ﷺ رسالة رقيقة يخبره فيها أنه قد استجاب لدعوته وأنه قد أعلن التوحيد لله عز وجل.

* وفي هذه اللحظة أخرج عمرو بن أمية رسالة أخرى من الرسول ﷺ إلى النجاشي يدعو فيه إلى أن يُزوجه من أم حبيبة (رملة بنت أبي سفيان).



زواج النبي ﷺ من أم حبيبة

على يد النجاشي

في صباح يوم مشرقٍ دقَّ باب أم حبيبة في مهجرها بالحبشة، فقامت أم حبيبة إلى الباب تفتحه لتنظر من الطارق، فإذا بالطارق (أبرهة) وهي جارية من جوارى النجاشي.

فحيثما أبرهة بتحية أهل الحبشة، وقالت لها:

«إن الملك يقول لك: إن محمداً رسول الله كتب إليه أن يزوجك منه، فوكلي من يزوجك» كانت كلماتها بغتة، ودهشة أصابت أم حبيبة، . . . حقاً لقد استولت عليها الدهشة، وتملكها العجب، وكان أن تبسمت قليلاً، وطاف بخاطرها رؤيا رأتها في المنام منذ وقت ليس بالبعيد، فقد رأت هاتفاً في المنام يهتف بها، ويقول: «يا أم المؤمنين» هكذا سمعت الهاتف، وفهمت الكلمات على معناها، لكنها اضطربت من الرؤيا في وقتها، وأبعدت عن خيالها أن يكون ما حدث في الرؤيا أضغاث أحلام.

والآن صدقت الرؤيا ودخلت أبرهة تبشرها بما أخبرها

به سيدها النجاشي ملك الحبشة، ولكي يكون الخبر صادقاً، وحقيقة لا خيالاً، يطلب منها النجاشي في التو والساعة أن تختار من الرجال وكيلاً عنها في عقد الزواج، حتى تكتمل أركانها، عندئذ انتبهت أم حبيبة لأبرهة التي صبرت، وتممّت لحظات الصمت هذه، وقالت لأبرهة تحية للنجاشي: بشره الله بالخير.

ونظرت في شيء تهديه لأبرهة كهدية لهذه البشرية الطيبة فما وجدت غير سوارين من الفضة في يديها، فخلعتهما، وأعطتهما لأبرهة هدية وبشارة لها على ما جاءت به من أخبار سارة، وأرسلت إلى شيخ المهاجرين من قومها وهو أموى قرشي، ألا وهو (خالد بن سعيد بن العاص) وأبلغته أنها توكله عنها في زواجها من رسول الله صلوات الله عليه وآله أمام النجاشي ولي هذا العقد بتكليف من رسول الله صلوات الله عليه وآله.

وعادت أبرهة أدراجها، وقد حملت شيئين سارين، ألا وهما: موافقة أم حبيبة على الزواج واختيارها وكيلاً عنها في عقد الزواج والثاني سوارين نفيسين هدية لها من أم حبيبة.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وبلغ خالد بن سعيد اختيار أم حبيبة له في عقد العقد مع النجاشي، وقد استقبل الرجل هذا النبأ بالغبطة والسرور، لأنه يعرف ما مرت به أم حبيبة من محنة، وأدرك أن أم حبيبة قد أخذت مكانة رفيعة بهذا التكريم النبوي العظيم.

حفل الزواج

وجاء اليوم الموعود وفي بهو كبير ومجلس مهيب في قصر النجاشي بالحبشة اجتمع المسلمون المهاجرون إليها، ووجوههم يغمرها السرور والبهجة.

وكان اجتماعهم وسرورهم لأن النجاشي ملك الحبشة دعاهم إلى قصره لحضور الحفل الذي سيتولى فيه تزويج رسولهم من المهاجرة الكريمة الصابرة العظيمة أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكان على مقدمة المهاجرين جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، وكان من بين الحاضرين عمرو بن أمية الضمري الذي أرسله الرسول ﷺ إلى نجاشي الحبشة ليخطب عليه أم حبيبة، كما أرسله إلى المسلمين المهاجرين بالحبشة يطلب منهم العودة

إلى بلاد العرب بعد أن اشتد أزر المسلمين بها. وبدأت إجراءات الحفل عندما وقف النجاشي يعلن بين الحاضرين ما أنابه محمد ﷺ فيه، فقال: لقد كتب إلى محمد بن عبد الله ﷺ في أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه، وأصدقته أربعمائة دينار، ثم سكب النجاشي الدنانير وسأل: فمن أولاكم بها؟

قال الحاضرون: خالد بن سعيد بن العاص. **فقال النجاشي لخالد:** فزوجها من نبيكم محمد ﷺ. فتقدم خالد بن سعيد بن العاص وكيل أم حبيبة في زواجها من الرسول، فقال: قد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وزوجته أم حبيبة. وقدم النجاشي ما أصدقته لأم حبيبة من دنانير، فقبض خالد الصداق، وبذلك صارت أم حبيبة أمًا للمؤمنين.

وقد أعد النجاشي وليمة ضخمة، قام إليها القوم جميعاً، فتناولوا طعامهم بمناسبة زواج الرسول ﷺ من أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأكلوا ثم انصرفوا فرحين

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

مسرورين راضين، وحمل إلى أم حبيبة صداقها (مهرها) وأرسلت نساء النجاشي إليها هدايا من طيبٍ وعنبر؛ حملتها إليها جارية النجاشي أبرهة، وتقبلت أم حبيبة هدايا نساء الملك، وأخرجت من صداقها خمسين ديناراً قدمتها لأبرهة وهي تقول لها: **يا أبا سفيان** إني كنت قد أعطيتك السوارين وما أعطيتك يومها ولم يكن عندي مال فهذه خمسون مثقالاً خذيها، فاستعيني بها. فأبت أبرهة وأصررت وأخرجت صندوقاً كان فيه كل ما كانت أعطتها إياه، فردته، وقالت: عزم على الملك ألا أثقل عليك، وألا أكلفك شيئاً وأنا التي أقوم على ثيابه وحاجاته، وقد اتبعت دين محمد ﷺ، وأسلمت لله، وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر».

وتضيف أم حبيبة قائلة: «فلما كان الغد، جاءني بعطر العود والعنبر فقدمت بذلك على النبي ﷺ». **ثم قالت أبرهة لأم حبيبة:** حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ مني السلام، وتعلميه أنني قد اتبعت دينه.

العودة إلى المدينة

قالت أم حبيبة: وتلطفت بي أبرهة وكانت هي التي جهزتنى، وكانت كلما دخلت عليّ تقول: لا تنسى حاجتى إليك، فلما قدمت علي رسول الله ﷺ أخبرته كيف كانت الخطبة وما فعلته بي أبرهة فتبسم رسول الله ﷺ، وأقرأته منها السلام، فقال: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»^(١). . . وبعد مرور فترة من الزمان عاش المسلمون فيها فى أمان.

تجهزت أم حبيبة، وتجهز المسلمون لمغادرة الحبشة إلى بلادهم وأوطانهم، . . . ودعهم النجاشى، وبعث برُسُلٍ من لدنه ساروا معهم حتى ركبوا البحر على ظهر سفينتين أمر الملك النجاشى بإعدادهما لأم حبيبة والمسلمين جميعاً. وهكذا غادر المهاجرون أرض الحبشة التى استقبلتهم، وأضافتهم وأقاموا فيها خير مقام عند ملك كريم، وفى العهد، فقد أوفى بكل عهوده مع رسول الله ﷺ.

(١) أخرجه بطوله الحاكم فى المستدرک (٤/ ٢٠) وما بعدها، وقد نقل البخارى الرواية بتصرف.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وعلى شاطئ الجزيرة العربية نزل القوم، وساروا مجتمعين نحو المدينة، وقد فرحوا فرحاً شديداً لعودتهم إلى بلادهم، واشتد شوقهم إلى لقاء رسول الله ﷺ، ورؤية الأصحاب والأحباب، وكانت أم حبيبة في هودجها وقد اشتد بها حياء المؤمنات من لحظة لقاء الزوج والحبيب رسول الله ﷺ.

اللقاء المبارك

ولما شارفت قافلة القوم على المدينة، وبدت في الأفق رؤوس النخيل في المدينة تظهر لهم، استقبلتهم الأخبار تقص عليهم نبأ خروج رسول الله ﷺ ومعه جيش المسلمين لغزو يهود خيبر، وتحكى لهم خبر النصر الذي نصره الله لنبيه على اليهود، وتعرفهم قرب عودة جيش المسلمين، وعلى رأسه قائده الرسول ﷺ إلى المدينة،... ودخل العائدون من الحبشة فاستقبلهم أهلها بالفرح والسرور والترحاب. ثم لم تمض على ذلك بضعة أيام، حتى قدم الرسول المدينة على رأس جيش المسلمين الظافرين المنتصرين فكانت فرحة أهل المدينة فرحتين، وكان

سرورهم بمقدم الرسول على رأس جيشه الظافر، وبعودة مهاجري الحبشة إلى أهلهم وأوطانهم لا يعادله سرور. وقد فرح النبي ﷺ بلقاء المهاجرين إلى الحبشة العائدين؛ وبين مقدار هذا الفرح بلقاء ابن عمه جعفر بن أبي طالب الذي صورّه الرسول حين لقائه بقوله وهو يعانقه: «ما أدري! بأيهما أسرُّ، بفتح خيبر أم بقدم جعفر؟»^(١).

وحظيت العروس أم حبيبة بحفاوة الزوج والرسول الكريم، وإكرامه لها، ودعا عثمان بن عفان أهل المدينة لوليمة حافلة تكريمًا للعروس أم حبيبة ابنة عمه أبي سفيان التي شرفها الله عز وجل ورسوله ﷺ، فرفعها إلى مصاف أمهات المؤمنين.

أما أبوها أبو سفيان بن حرب زعيم قريش، وكبير المشركين بمكة، فلم يسعه إلا أن يقول وقد بلغه زواج محمد من ابنته التي لم يرها منذ وقت طويل: هذا الفحل لا يُقدع أنفه! أي: أن محمدًا رجلٌ شريف لا يُردُّ أبدًا.

(١) حسن: رواه الطبراني (١١٠/٢)، والبخاري (١٥٩/٤)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج فقه السيرة (ص ٣٤٧).

أبو سفيان يزور ابنته أم حبيبة

ورغم العداوة التي كانت بين المشركين والمسلمين، ومع النفور والمقاطعة التي كان لا يُرجى معها أن يتقابل أبٌ مشرك كافر مع ابنة مسلمة، فقد أجبرت الظروف وقضت الأوضاع على أبي سفيان أن يسير إلى المدينة على الرغم مما كان بين المشركين والمسلمين من عداوة، وأن يلتقى مع ابنته أم حبيبة على الرغم من النفور والمقاطعة التي لا يُرجى بسببها أن يتقابل يوماً مع ابنته.

وقصد أبو سفيان إلى بيت أم حبيبة، ودخل على ابنته التي لم يرها ولم تره منذ وقتٍ طويل.

وفوجئت السيدة أم حبيبة رضي الله عنها برؤية أبيها بدارها، فوقفَت وقد تملكَّتها الحيرة، لا تدري ماذا تعمل؟! ولا ماذا تقول!!

وتقدم أبو سفيان ليجلس على الفراش الذي مُدَّ بجانب من جوانب الحجرة، فإذا بابنته تُسرع فتطويه عنه، حائلة بينه وبين الجلوس عليه.

ودُهش أبو سفيان لما فعلت ابنته، فسألها: يا بنية، ما

أدرى!! أرغبتِ بي عن الفراش، أو رغبتِ بالفراش عنى؟
فأجابت: بل هو فراش رسول الله، وأنت رجل
 مشرك، فلم أحب أن تجلس عليه.
 فغضب أبو سفيان من ابنته غضباً شديداً وقال لها:
 والله يا بُنية لقد أصابك شرٌ بعدى^(١).
فأجابت قائلة: بل أصابني كل الخير... أن هُديت
 للإيمان ونعمت بالإسلام.

وغادر أبو سفيان ابنته متأثراً غاضباً، وبقيت أم حبيبة
 واجمة آسفة ساكنة، وقد بلغ بها التأثير مبلغاً عظيماً، فها
 هو ذا أبوها أبو سفيان الذي لم تره منذ سنين طويلة، منذ
 أن هاجرت إلى الحبشة، بعد أن فرّق الإسلام بينها
 وبينه... ها هو ذا تراه بعد هذا الأمد الطويل فلا تستطيع
 أن تلقاه كما تلقى الابنة أباه بعد طول الغياب وطول
 الاغتراب، ويدخل دارها فلا تقدر أن ترحب به وتكرمه
 بما يجب أن تقدم البنت لأبيها من ترحيب وإكرام، ذلك
 أن شركه بالله قد حال بينها وبينه، ولأن كفره وعناده قد

(١) انظر طبقات ابن سعد (ج ٨)، والسيرة لابن هشام، تاريخ الطبري (ج ٣)
 (ص ١١٣).

وقف عقبه بينه وبين ابنته لا تستطيع اجتيازها. ﴿٤٢٨﴾
تملك الحزن قلب أم حبيبة، وربما فاضت دموعها من
الحزن، ولكنها لا تملك لأبيها من شيء إلا أن تتجه بقلبها
وروحها إلى الله عز وجل تطلب منه، وتبتهل إليه، أن
يهدي أباه من الضلال، وينعم عليه بنعمة الإسلام،
فينضم إلى قافلة الحق، ويترك قافلة الباطل إلى غير
رجعة^(١).

إسلام أبي سفيان رضي الله عنه

واصلت أم حبيبة الدعاء لأبيها بالهداية والإيمان
والإسلام، ولم يطل انتظارها لما تمنت.
فقد عزم النبي ﷺ على فتح مكة ففتحها دون
حرب... وكان من أجمل الأخبار التي وصلت أم حبيبة
هو خبر إسلام أبيها (أبي سفيان).
سجدت أم حبيبة لربها شاكرة، وحمدت ربها، فقد
اطمأن قلبها، وهدأت نفسها، ووجدت في نفسها رغبة
عارمة في أن ترى أباه، (أبا سفيان)، وقد انضم إلى

(١) أزواج النبي / ١. عبد المنعم الهاشمي (ص: ٤٢٨ - ٤٢٩).

قافلة الحق وترك قوافل الباطل، بل وكرمه الإسلام فأصبحت داره في مكة دار أمان فجعل المنادي ينادى بأمر رسول الله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»^(١).

حزنها على وفاة النجاشي رضي الله عنه

وفي يوم من الأيام جاء جبريل عليه السلام ليخبر النبي ﷺ بموت النجاشي ملك الحبشة وليطلب منه أن يصلي عليه هو وأصحابه صلاة الغائب (صلاة الجنائز).
* وعلمت أم حبيبة أن النجاشي قد مات فحزنت عليه حزناً شديداً وعادت بها الذكريات إلى أيام الحبشة وكيف أحسن النجاشي استقبالهم وإكرامهم... وكيف أعطاهم الأمان في بلاده.

وتذكرت يوم أن أرسل إليها النجاشي ليبشرها بأن النبي ﷺ قد طلب منه أن يزوجه منها... وكيف تم الزواج في قصر النجاشي وكيف أعطاها مهرها الكبير من ماله الخاص... فبكت أم حبيبة وقامت تدعو للنجاشي

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٠) كتاب الجهاد والسير.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

بأن يرحمه الله رحمة واسعة كما كان رحيماً بها
وبالمسلمين الذين نزلوا في رحاب النجاشي في الحبشة.

حزنها على وفاة الرسول ﷺ

وعاشت أم حبيبة رضي الله عنها أجمل أيام حياتها مع النبي
ﷺ إلى أن جاءت اللحظة التي أظلمت فيها المدينة
بموت الحبيب ﷺ فحزنت أم حبيبة حزناً شديداً على
وفاة الحبيب ﷺ. وعاشت من بعده أم حبيبة زاهدة عابدة خاشعة لله
جل وعلا.

بعد وفاة الرسول ﷺ

عاشت أم حبيبة رضي الله عنها إلى خلافة أخيها معاوية رضي الله عنه
حيث توفيت عام أربع وأربعين وقد ناهزت السبعين عاماً
من عمرها.
في هذه الرحلة العمرية الطويلة المباركة، كانت أم
المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها ممن يُحِبُّن كتاب الله عز وجل،
ويُقبلن على حفظه والتفقه فيه، كما أنها كانت راوية

لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ولم تنغمس أم حبيبة في موقف خلاف مع أخواتها
أمهات المؤمنين، فكانت تلزم بيتها عابدة ساجدة متهجدة،
تقوم الليل وتصوم النهار، وتنفق من مالها بسخاء وكرم
على المحتاجين والمساكين.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالزهد والورع والبذل
والتضحية نامت أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان (أم
حبيبة) على فراش الموت وفاضت روحها إلى بارئها جل
وعلا لتكون في صحبة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات
الجنة.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: دعنتي أم حبيبة عند موتها،
فقلت: قد كان يكون بيننا ما يكون بين الضرائر، فغفر
الله لي ولك ما كان من ذلك. فقلت: غفر الله لك ذلك
كله وحللك من ذلك، فقلت: سررتني سرُّك الله، ...
وأرسلت إلى أم سلمة، فقلت لها مثل ذلك ^(١).

(١) أخرجه ابن سعد (٨/ ١٠٠) والحاكم (٤/ ٢٢-٢٣).

أدهمات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وتوفيت أم حبيبة رضي الله عنها سنة أربعة وأربعين في خلافة
أخيها معاوية رضي الله عنه. سنة ربه فبسه وأرسلها بما
وهكذا تعايشنا بقلوبنا وأرواحنا مع أمنا (أم حبيبة)
التي ملأت الدنيا بعبير سيرتها العطرة. سنة ربه فبسه وأرسلها بما
فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس
مثواها.

أشياء في رواية عن عائشة رضي الله عنها قالته فبسه
وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما

سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما
سنة ربه فبسه وأرسلها بما سنة ربه فبسه وأرسلها بما

(٢١-٢٢) (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢)

ميمونة بنت الحارث
رضي الله عنها

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

حبايب الحلوين:

وها نحن نفتح صفحة جديدة لتعرف من خلالها على أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها والتي كان اسمها برة فسمّاها النبي صلّى الله عليه وآله ميمونة.

- إنها الدرة النفيسة التي دخلت البيت النبوي الطاهر الكريم.

- إنها ذات الحسب والنسب.

* فأختها هي أم الفضل بنت الحارث، زوج العباس ابن عبد المطلب - عم النبي صلّى الله عليه وآله - التي كانت أول من آمنت من النساء بعد أمنا خديجة رضي الله عنها.

- وبالتالي فأما ميمونة هي خالة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وُترجمان القرآن الذي ملأ الدنيا فقهاً وعلمًا.

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

* وأختها لأمها سلمى بنت عُميس زوجة حمزة ابن عبد المطلب - عم النبي ﷺ - وأسد الله وأسد رسول الله ﷺ .

* وأختها لأمها أسماء بنت عميس زوجة جعفر ابن أبي طالب الشهيد الطائر وذى الجناحين الذى استشهد فى غزوة مؤتة وقُطعت يده فأبدله الله بجناحين يطير بهما فى الجنة، ثم لما استشهد جعفر ابن أبي طالب ﷺ تزوجها أبو بكر الصديق ﷺ .

* وأختها أيضاً لأمها زينب بنت خزيمة أم المؤمنين ﷺ .

* وأما أختها الصغرى فهى لُبابة بنت الحارث زوج الوليد بن المغيرة وهى أم خالد بن الوليد ﷺ .

وعلى ذلك فأمننا الغالية ميمونة بنت الحارث هى خالة سيف الله المسلول - خالد بن الوليد - ﷺ الذى سطرَّ على جبين التاريخ صفحات من النور لا ينساها الكون كله على مدار العصور والأزمان فلقد قال عنه الحبيب

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» (١).

فياله من نسبٍ عظيمٍ .

ولكن أعظم منقبة في حقها أنها زوجة رسول الله ﷺ .
فتعالوا بنا لتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع سيرتها العطرة .

تربة خصبة

كانت أمنا ميمونة رضي الله عنها تعيش في هذه التربة الخصبة بين أفراد هذه الأسرة المباركة وكان نور الإيمان يملأ قلبها وجوارحها فكانت لا تطمع في قصرٍ من قصور الدنيا ولا في أي شيء من حطامها الفاني لأنها تعلم يقيناً أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة . . وأن موضع قدم المؤمن في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها .

لذلك كانت من السابقات إلى الدخول في دين الله عز وجل ومن شهد لهن النبي ﷺ بالإيمان .

(١) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٢١٢/٥)، وابن أبي شيبة (٥٤٧/٦)، وابن سعد (٣٩٦/٧)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٢٠٧).

من هنا كانت البداية

كانت برة (ميمونة بنت الحارث) قد تزوجها في بداية أمرها مسعود بن عمرو الثقفي . . . وكان ذلك قبل الإسلام ولم تدم العشرة بينهما فطلقها مسعود ثم تزوجها بعد ذلك (أبو رهم بن عبد العزّي) ولكن بعد فترة مات وتركها وحيدة .

لكنها كانت على يقين من أن الله عز وجل سيُعرضها خيراً وسيرزقها بزواج يأخذ بيديها إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة .

وتمر الأيام وتشرق شمس الإسلام على أرض الجزيرة ويُبعث النبي ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور . فأسلمت أختها أم الفضل لبابة بنت الحارث، . . . وكانت أول امرأة تُسلم بعد أمنا خديجة رضي الله عنها . . . وتبعها بعد ذلك أخواتها فأسلمن جميعاً وأسلمت معهن ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها .

وعاشت ميمونة أسعد أيام حياتها في ظل هذا الدين العظيم .

وبعد أن أكرمها الله عز وجل بنعمة الإسلام كانت تنتظر أن يكرمها الله بزواج صالح يُعينها على أمر دينها ودنياها... ولكن يا ترى من يكون هذا الزوج المبارك؟ إنها لم يخطر ببالها لحظة واحدة أن تكون أمًا من أمهات المؤمنين وزوجة لسيد الأولين والآخرين محمد صلوات الله عليه ولكن الأقدار المباركة جعلتها تقترب شيئًا فشيئًا من هذه الأمنية الغالية التي كانت تتمناها أي امرأة مؤمنة في هذا الكون الفسيح.

فها هو الحبيب صلوات الله عليه يأتي هو وأصحابه لأداء عمرة القضاء فكان هذا الزواج الميمون.

فلقد تزوج النبي صلوات الله عليه تلكم المرأة الميمونة «ميمونة بنت الحارث» بعد انصرافه من عمرة القضاء. وتعالوا بنا لتتعاش مع قصة هذا الزواج المبارك.



عمرة القضاء وقصة الزواج المبارك

كان صلح الحديبية ينصُ على أن يرجع المسلمون ثم يعودون في العام المقبل ويدخلون مكة لمدة ثلاثة أيام يؤدون فيها ما يؤدون من شعائر دينهم على أن يُخليها لهم المشركون، وعلى أن لا يكون مع المسلمين من السلاح غير السيوف في الغمد.

ولما هلَّ هلال شهر ذى القعدة سنة سبع من الهجرة أمر النبي ﷺ أصحابه أن يخرجوا لعمرة القضاء. وسميت بعمرة القضاء لأنها كانت عن عمرة الحديبية حينما رفض المشركون دخولهم.. أو لأنها وقعت حسب المقاضاة والمصالحة التي كانت في الحديبية.

وأمر النبي ﷺ ألا يتخلف أي أحد ممن شهد الحديبية فخرجوا جميعاً إلا من استشهد.. وخرج معه أناسٌ آخرون حتى بلغ عددهم ألفين سوى النساء والصبيان.

وكان رسول الله ﷺ عند الدخول راكباً على ناقته القصواء، والمسلمون متوشحوا السيوف، محذقون برسول الله ﷺ يلبون.

وفي عمرة القضاء، انساب المهاجرون في دروب مكة يستشقون عبير أرض الذكريات الحلوة، ويتملئون مراتع الصبا والشباب فرحين مسرورين، وكانت بعض بيوتهم خاوية لا حركة فيها، قد خيم عليها السكون فتبعث الأسي في النفوس، ولكنهم ألقوا عليها نظرات عابرة دون أن تترك أثراً في قلوبهم التي عمرها الإيمان بحب الله ورسوله ﷺ.

النبي ﷺ يأمرهم بالجري الخفيف ليرى المشركون قوتهم

كان المسلمون المهاجرون وهم في المدينة المنورة يستشعرون شوقاً شديداً إلى مكة أم القرى، وكانت أعز أمانيتهم أن يعودوا إليها، وأن يروا أقرباءهم وأن يروا ظمأهم من ماء زمزم، وأن يطوفوا بالبيت العتيق، فإذا بآمالهم كلها تتحقق، وها هم اليوم يطوفون بالبيت العتيق وهم بصحبة الحبيب المصطفى ﷺ.
* وكان المشركون يزعمون أن الصحابة لم يعد عندهم

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

قوة لأن حمى المدينة أضعفت أجسادهم . . فلما دخل
النبي ﷺ وأصحابه أمرهم أن يرملوا - أى يجروا جرياً
خفيفاً - فى الأشواط الثلاثة الأولى حول الكعبة حتى
يرى المشركون قوتهم ونشاطهم فامتلات قلوب المشركين
حقداً على الصحابة .

كيف تم الزواج؟

لما دخل النبي ﷺ وأصحابه مكة لأداء عمرة القضاء
كانت برة (ميمونة) فى مكة وما أن ملأت عينها من النبي
ﷺ حتى استولت عليها فكرة أن تنال شرف الزواج من
رسول الله ﷺ ، وأن تصبح أمًّا للمؤمنين ، وما يمنعها
من أن تحقق حلمها الذى طالما راودها فى يقظتها وفى
منامها .

وهى الشابة المسلمة المتعبدة ، التى ترملت من زوجها
أبى رهم بن عبد العزى وهى لا تزال بعد فى السادسة
والعشرين فأسرت إلى شقيقتها أم الفضل بما تاقت إليه
نفسها ، فقد مال قلب برة (ميمونة) وهفت روحها ، لأن
تكون زوجة لنبي المسلمين ﷺ ، تلمس عظمة الإسلام

عن قرب وتشارك النبي الكريم حياته وجهاده .
 واستمعت أم الفضل إلى أمنية أختها بعطف ورضا،
 ثم أفضت بهذا السر إلى زوجها العباس، وكان لأم
 الفضل أمر أختها، ففوضته إلى العباس .
 وسار العباس إلى النبي ﷺ يحدثه عن برة المسلمة
 المؤمنة، ويقول له: ولقد تأيمت من أبي رهم ابن عبد
 العزى، فهل لك أن تتزوجها ^(١) ؟

ارتضى الرسول ﷺ زواج برة (ميمونة) وأرسل ابن
 عمه جعفرًا زوج أختها أسماء يخطبها، وجاء طلب خطبة
 الرسول ﷺ إلى برة، وهي على بغير لها، فكان
 جوابها: البعير وما عليه لله ولرسوله .
 وزوج العباس برة (ميمونة) من رسول الله، وأصدقها
 رسول الله أربعمائة درهم ^(٢) .

وانقضت الأيام الثلاثة التي نصَّ عليها عهد الحديبية
 على أن يقضيها المسلمون بمكة، فأرسلت قريش إلى
 الرسول تقول: إنه قد انقضى أجلك، فاخرج معنا .

(١) سير أعلام النبلاء (جـ ٢ ص ٢٣٨) وما بعدها ترجمة (رقم ٢٧) .

(٢) انظر طبقات ابن سعد (جـ ٨) .

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

وأحسَّ النبي ﷺ أنه لو أطال المقام بمكة لكان ذلك خيراً ولمالت إلى الإسلام قلوب كثيرة من أبناء قريش، فقال يرد على رسل قريش: «ما عليكم لو تركتموني فأعرست بينكم وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه».

فقالوا: لا حاجة لنا بطعامك، فأخرج عنا. كان جوابهم فيه شدة وجفاء.

فخرج رسول الله ﷺ مغادراً مكة، مُخْلِفاً بها مولاه أبا رافع ليصحب (بِرَّة) عند خروجها من مكة للحاق به.

وبمكان اسمه (سَرْف) على مسافة قريبة من مكة، نزل رسول الله في انتظار عروسه، وخرج أبو رافع بعروس رسول الله من مكة ليلاً حتى لحق بالرسول ﷺ.

ولم يرض الرسول عن اسم برة اسماً لزوجته، فسماها ميمونة، تيمناً باليوم الميمون الذي دخل فيه المسلمون مكة لقضاء عمرتهم بعد أن حُرِّمَ عليه دخولها عليهم سبع سنين، وكانت ميمونة آخر زوجة زُفَّت إلى رسول الله.

ثم انصرف عليه السلام بها راجعاً إلى المدينة^(١).

(١) أزواج النبي / ص (٤٤٢-٤٤٣) بتصرف.

في رحاب بيت النبوة

وبعد أن تم هذا الزواج الميمون المبارك دخلت ميمونة رضي الله عنها بيت النبوة لتكون أمًّا من أمهات المؤمنين... ويا له من شرفٍ ما بعده شرف.. دخلت ميمونة أم المؤمنين المدينة المنورة فأحسَّت بسعادة لا تعادلها سعادة، وكان قلبها يعانق كواكب الجوزاء... وتخطَّت برجليها عتبة الحجرة التي أعدَّها لها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والتي فاح منها الإيمان فنشر عبيره على الكون كله.. إنها غرفة وإن كانت بسيطة ومتواضعة إلا أن جدرانها أُمست على التقوى.

وعاشت ميمونة رضي الله عنها في رحاب بيت النبوة فتعلمت بين يدي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الخير الكثير فأخذت من هديه وأخلاقه وعلمه فكان إيمانها يزداد يوماً بعد يوم..



شهادة غالية

وظلت ميمونة رضي الله عنها تتعاشق بقلبها وجوارحها مع بركات الوحي المنزّل على الحبيب صلى الله عليه وسلم وتُحوّله إلى واقع عملي فكانت تقوم الليل وتصوم النهار وتفعل الخيرات، حتى شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم ولاخواتها بالإيمان، ويا لها من شهادة عظيمة خرجت من فم الصادق الذي لا ينطق عن الهوى.

قال صلى الله عليه وسلم: «الأخوات الأربع: ميمونة، وأم الفضل، وسلمى، وأسماء بنت عميس، - أختهن لأمهن - مؤمنات» (١).

حرصها على إقامة حدود الله (عز وجل)

وكانت رضي الله عنها حريصة كل الحرص على إقامة حدود الله لأنها تعلم يقيناً أن الحياة الطاهرة النظيفة لا تكون إلا في ظل التعاشق مع شرع الله - جل وعلا - . . . فعن يزيد:

(١) راجع: أخرجه النسائي (٨٣٨٧)، وابن سعد (١٣٨/٨)، والطبراني (٤١٥/١١)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٧٦٤).

أن ذا قرابة لميمونة دخل عليها فوجدت منه ريح شرابٍ فقالت: لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك لا تدخل عليَّ أبداً^(١).

فراق مؤلم

وبعد فترة قصيرة من تلك الحياة الإيمانية المباركة نام رسول الله ﷺ على فراش الموت... وكان أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها. وعندما شعر الرسول ﷺ ببوادر المرض الذي مات فيه، كان يطوف كعادته اليومية على سائر نساته، فاشتد به المرض وهو في بيت ميمونة، فلما طلب أن يُمرَّض في بيت عائشة، قَبِلت ميمونة ذلك عن طيب خاطر مرضاة للرسول.

وشاركت ميمونة في تمريض الرسول ﷺ والعناية به، وعاونت أختها أسماء على صنع الدواء، الذي أشار بصنعه العباس ليُصَبَّ في فم الرسول ﷺ وهو في

(١) أخرجه ابن سعد (٨ / ٩٩).

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

غيبوبة المرض ليستشفى به، وكانت أسماء قد تعلمت صنع هذا الدواء أثناء مقامها في الحبشة. * وما هي إلا ساعات معدودة حتى فاضت أطهر روح في الدنيا كلها إلى بارئها جل وعلا. مات رسول الله ﷺ وأظلمت المدينة كلها لموته ﷺ وحزنت عليه ميمونة حزناً كاد أن يمزق قلبها ولكنها احتسبت عند الله لتنال أجر وثواب الصابرين... وحسبها أن النبي ﷺ مات وهو راضٍ عنها. وانتقل الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهو راضٍ عن زوجاته الطاهرات... وكُن تسعاً.

راوية حديث النبي ﷺ

نستطيع أن نقول: إن أمنا ميمونة بنت الحارث واحدة من أمهات المؤمنين اللاتي نقلن لنا حديث رسول الله ﷺ. هذا وقد كانت أم المؤمنين ميمونة ممن وعين الحديث الشريف، وتلقينه عن رسول الله ﷺ وكانت حافظة متقنة، وتشير أخبارها التي وصلتنا بأنها شديدة التمسك بالهدى النبوي، وبالأثار والشمال المحمدية ومنها حفظ

الحديث النبوي الشريف، وروايته، ونقله إلى أئمة العلماء الذين كانوا يقصدون المدينة المنورة، ليأخذوا الحديث عن أمهات المؤمنين، وعن كبار الصحابة الذين عنوا برواية الحديث.

هذا وقد كانت أم المؤمنين من الحافظات المكثرات لرواية الحديث النبوي الشريف من أمهات المؤمنين الطاهرات، ولم يسبقها في هذا سوى أم المؤمنين عائشة التي روت (٢٢١٠) حديثًا، وأم سلمة أم المؤمنين التي روت (٣٧٨) حديثًا، ثم تأتي ميمونة التي روت عن رسول الله ﷺ (٧٦) حديثًا ^(١).

* وكيف لا تكون بهذه المنزلة الغالية وهي التي عاشت في رحاب بيت النبي ﷺ واقتبست من النبع الصافي مباشرة بغير واسطة فكانت تنهل من هذا الخير الكثير والكثير.



(١) المحتبى (ص ٩٦) وأعلام النساء (٥ / ١٣٩).

وحان وقت الرحيل

وبعد وفاة الحبيب ﷺ ظلت ميمونة رضي الله عنها عاكفة على العبادة والصلاة والصيام وقراءة القرآن حتى تاقت نفسها إلى لقاء الله - جل وعلا - «فإن من أحب لقاء الله أحب لقاءه» - .

وحانت اللحظة التي تترك فيها الدنيا بكل ما عليها من متاع زائل لتلقى ربها عز وجل . . . فنامت على فراش الموت بعد أن عاشت في رحاب الخلافة الراشدة وكانت تحظى باحترام الخلفاء والعلماء وامتدت بها الحياة إلى خلافة معاوية رضي الله عنه .

ولما أحست قرب منيتها ذهبت إلى مكة، وأوصت أن تُدفن عندما تموت في البقعة المباركة التي زُفت فيها إلى الرسول ﷺ .

وحين وافاها الأجل حُملت إلى (سَرْف) وفي مكان القبة التي ضُربت لها يوم زفافها حُفر قبرها الذي رقدت فيه راضية مرضية .

وتوفيت رضي الله عنها سنة إحدى وخمسين .

* وهنا تقول أمنا عائشة رضي الله عنها في حقها بعد وفاتها
تلك الكلمة الخالدة: «ذهبت والله ميمونة... أما إنها
كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم»^(١).
وهكذا رحلت أمنا ميمونة رضي الله عنها لتلحق بحبيبها
وزوجها ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم في جنات ونهر في مقعد صدقٍ
عند مليكٍ مقتدر.
فرضى الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس
مشاها.



(١) أخرجه ابن مسعود (٨ / ١٣٨) والحاكم (٤ / ٣٢) وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

A decorative rectangular border with ornate, symmetrical corner designs in a light gray color, framing the central text.

الفهرس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	* مقدمة الناشر
٨	* بين يدي الكتاب
	خديجة بنت خويلد <small>رضي الله عنها</small>
١٥	* من هنا نبدأ.....
١٧	* ذكريات مؤلمة
١٩	* وها هي ترفض الزواج وتنشغل بالتجارة
٢١	* النبي <small>صلوات الله عليه</small> يرمى الغنم
٢١	* قصة بحيرا الراهب
٢٤	* رؤيا نورانية
٢٦	* وتتأكد تلك الرؤيا في قلبها
٢٧	* خديجة تتمنى أن يخرج النبي <small>صلوات الله عليه</small> في تجارتها
٢٨	* وها هي تعرض عليه الخروج في تجارتها
٣٠	* زواج النبي <small>صلوات الله عليه</small> من خديجة <small>رضي الله عنها</small>
٣٤	* حكمتها ورجاحة عقلها

امهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

- ٢٥ * هذا هو الصادق الأمين
- ٣٧ * السعادة ترفرف بأجنحتها على أعظم بيت
- ٣٩ * صاحبة القلب الرحيم
- ٤٢ * فى رحاب الذرية المباركة
- ٤٤ * كرم وإيثار
- ٤٥ * ما أنا بالذى أختار عليك أحداً أبداً
- ٤٧ * شمس النبوة تُشرق على أرض الجزيرة
- ٥١ * حزن النبي ﷺ لفتور الوحي
- ٥٢ * الدعوة السرية
- ٥٤ * وفد قريش إلى أبى طالب
- ٥٧ * موقف جليل لأبى طالب وقومه
- ٥٧ * النبي ﷺ يستمر فى دعوته
- ٥٨ * أول من صلَّت مع النبي ﷺ
- ٥٩ * صبرٌ واحتساب
- ٦١ * الهجرة إلى الحبشة .. وفراق مؤلم
- ٦٣ * الصحيفة الظالمة والمقاطعة العامة
- ٦٥ * نقض الصحيفة الظالمة
- ٦٦ * الله سبحانه يُقرئ خديجة السلام

- * عام الحزن ٦٧
- * هكذا يكون الوفاء ٧٢
- * غيرة عائشة من خديجة رضي الله عنها ٧٣
- * وداعاً أماً الغالية ٧٥

سودة بنت زمعة رضي الله عنها

- * من ظلمات الشرك والكفران إلى أنوار التوحيد
والإيمان ٨٠
- * والسابقون الأولون ٨٢
- * صبرٌ واحتساب ٨٣
- * الرؤيا المباركة ٨٤
- * فراق مؤلم ٨٦
- * موعدٌ مع السعادة ٨٨
- * هكذا أصبحت أماً للمؤمنين وزوجة لسيد الأولين
والآخرين صلى الله عليه وسلم ٨٩
- * في رحاب بيت النبوة ٩٣
- * سعادة دائمة ٩٣
- * واستيقظت الذكريات ٩٤
- * الهجرة إلى المدينة المنورة ٩٦

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

- ٩٧ * وتوالت البركات
- ٩٧ * ويؤثرون على أنفسهم
- ٩٩ * عائشة تثنى عليها ﷺ
- ٩٩ * موقف طريف
- ١٠٠ * مودة ورحمة
- ١٠١ * فاستبقوا الخيرات
- ١٠٢ * كرمٌ وسخاء
- ١٠٣ * يأتيها الإذن من فوق سبع سماوات
- ١٠٤ * وحن وقت الرحيل
- عائشة بنت أبي بكر ﷺ**
- ١١٠ * فى رحاب المكارم
- ١١١ * من هنا نبدأ
- ١١٣ * ميلاده ونشأته وأخلاقه قبل الإسلام
- ١١٥ * إسلامه ﷺ وصبره على الإيذاء
- ١١٧ * ميلاد عائشة ﷺ
- ١١٨ * هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة
- ١١٩ * قصة الزواج المبارك
- ١٢٤ * ففروا إلى الله

- * الهجرة المباركة ١٢٥
- * على رضي الله عنه ينام مكان النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة الهجرة ١٢٥
- * وبدأت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ١٢٧
- * محبة تفوق الخيال ١٢١
- * وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة ١٢٢
- * الزواج المبارك ١٣٤
- * وهكذا دخلت بيت النبوة ١٣٦
- * السعادة ترفرف على هذا البيت المبارك ١٣٦
- * البيت المبارك ١٣٩
- * حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ١٤٣
- * وإنك لعلی خلق عظیم ١٤٦
- * دروسٌ غالية ١٤٧
- * تجرد وإنصاف ١٤٨
- * غيرتها على الحبيب صلى الله عليه وسلم ١٤٩
- * غيرتها من خديجة رضي الله عنها ١٥١
- * قصة العسل ١٥٥
- * أشركاني في سلمكما ١٥٧
- * أدبها مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٥٨

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

- ١٥٨ * زهد عائشة رضي الله عنها
- ١٦٢ * أختار الله ورسوله ﷺ
- ١٦٥ * الصائمة العابدة
- ١٦٦ * جهادها
- ١٦٧ * في غزو أحد
- ١٦٨ * قصة الإفك
- ١٦٩ * بركة عائشة ونزول آية التيمم
- ١٧١ * وفاة الرسول ﷺ
- ١٧٢ * العلامات التي أشارت إلى قرب انتهاء أجله ﷺ
- ١٧٥ * بداية مرضه ﷺ
- ١٧٧ * مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس
- ١٧٨ * قبل الوفاة بيوم
- ١٧٩ * آخر يوم في حياة النبي ﷺ
- ١٨١ * النبي ﷺ ينعى نفسه إلى فاطمة (عليها السلام)
- ١٨٢ * ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم
- ١٨٢ * شدة تأثر النبي ﷺ بالطعام المسموم (يوم خيبر)
- ١٨٤ * اللهم الرفيق الأعلى
- ١٨٥ * وتم تأويل الرؤيا

- * عائشة رضي الله عنها وحياء يعجز القلم عن وصفه ١٨٦
- * بعد وفاة الحبيب صلوات الله عليه ١٨٧
- * في عهد أبيها رضي الله عنه ١٨٨
- * وتجددت الأحزان في قلبها بموت أبيها ١٨٩
- * الفقيهة الربانية التي حمل عنها ريع الشريعة ١٩١
- * مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٩٤
- * حضورها يوم الجمل ١٩٦
- * وحن وقت الرحيل ١٩٨
- حفصة بنت عمر رضي الله عنها**
- * من هنا تبدأ ٢٠٦
- * النشأة المباركة ٢١٠
- * شمس الإسلام تُشرق على أرض الجزيرة ٢١١
- * إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ٢١١
- * قصة إسلام عمر رضي الله عنه ٢١٢
- * إن إسلام (عمر) كان فتحًا ٢٢٠
- * نعمة الإسلام ٢٢١
- * زواجها من خنيس رضي الله عنه ٢٢٢
- * ففروا إلى الله ٢٢٢

أدبقات المؤمنین زوجات الرسول ﷺ

- * فراق مؤلم ٢٢٣
- * هكذا أصبحت أمًا للمؤمنين ٢٢٤
- * مكانتها العالية ٢٢٦
- * تسابق إلى مرضاة الحبيب ﷺ ٢٢٧
- * إنها زوجة النبي ﷺ في الجنة ٢٢٨
- * علمها وفقهها ٢٢٩
- * وفاة الحبيب ﷺ ٢٣٠
- * الفاروق يتولى الخلافة ٢٣١
- * مقتل الفاروق رضيه ٢٣١
- * حملت أمانة القرآن على أعناقها ٢٣٢
- * وما هي قصة جمع القرآن ٢٣٢
- * وحن وقت الرحيل ٢٣٦

زينب بنت خزيمة رضيتها

- * هكذا كانت بدايتها المباركة ٢٤٢
- * زواجها قبل أن تدخل بيت النبي ﷺ ٢٤٣
- * وهكذا أصبحت أمًا للمؤمنين ٢٤٥
- * هكذا ازدادت رأفة ورحمة بالمساكين ٢٤٧
- * جعلت وقتها كله لله - جل وعلا - ٢٤٩

- * في رحاب الحبيب ﷺ ٢٥٠
- * وحن وقت الرحيل ٢٥١
- أم سلمة ؓ**
- * نشأة عريقة وزيجة مباركة ٢٥٦
- * الهجرة إلى الحبشة ٢٥٧
- * أم سلمة ؓ تحكى قصة المسلمين مع النجاشى ٢٥٩
- * أبو سلمة وأم سلمة يدخلان مكة ٢٦٩
- * صبر واحتساب ٢٧١
- * في رحاب الحبيب ﷺ ٢٧٤
- * صفحة من أرض الشرف والبطولة ٢٧٥
- * سرية أبي سلمة ٢٧٦
- * وفاة أبي سلمة ؓ ٢٧٧
- * الزواج المبارك ٢٧٨
- * فى بيت الزوجية ٢٨٠
- * صاحبة القلب الرحيم ٢٨١
- * موقفها العظيم يوم الحديبية ٢٨٤
- * مع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ٢٨٧
- * كانت تُعدُّ من فقهاء الصحابيات ٢٨٩

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

* وحن وقت الرحيل ٢٩٠

زينب بنت جحش رضي الله عنها

* من هنا كانت البداية ٢٩٤

* هجرة وصبر واحتساب ٢٩٦

* في رحاب الأنصار ٢٩٧

* زواجها من زيد بن حارثة رضي الله عنه ٢٩٨

* زيد يختار النبي صلوات الله عليه وآله على أبيه وأمه ٢٩٩

* زواجه من زينب بنت جحش ٣٠١

* وهكذا أصبحت أمًا للمؤمنين ٣٠٣

* منزلتها عند رسول الله صلوات الله عليه وآله ٣٠٥

* مع نساء النبي صلوات الله عليه وآله ٣٠٦

* مع عائشة رضي الله عنها ٣٠٩

* مكانتها في قلب عائشة رضي الله عنها ٣١٢

* مع الرسول صلوات الله عليه وآله في الغزو والحج ٣١٣

* زهدا في الدنيا وزينتها الفانية ٣١٤

* وحن وقت الرحيل ٣١٥

جويرية بنت الحارث رضي الله عنها

* نشأة في أحضان النعيم ٣٢٢

- * ٣٢٣..... شمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة
 * ٣٢٤..... ترسيخ دعائم الدولة المسلمة
 * ٣٢٥..... مؤامرة من زعيم بنى المصطلق
 * ٣٢٨..... المعركة
 * ٣٢٩..... الرحيل إلى المدينة وتقسيم الغنائم
 * ٣٣٣..... كانت أعظم الناس بركة على قومها
 * ٣٣٥..... ودخلت بيت النبوة
 * ٣٣٦..... إسلام أبيها (الحارث بن أبي ضرار)
 * ٣٣٨..... وها هو النبي ﷺ يُعلمها الخير كله
 * ٣٤٠..... راوية الحديث
 * ٣٤١..... وفاة الحبيب ﷺ
 * ٣٤٢..... وحن وقت الرحيل
 * ٣٤٣..... **صفية بنت حبي** رضي الله عنها
 * ٣٤٨..... كيف كانت البداية
 * ٣٤٨..... شمس الإسلام وعداوة اليهود
 * ٣٥٠..... مؤامرات اليهود على الإسلام والمسلمين
 * ٣٥١..... إجلاء يهود بنى قينقاع
 * ٣٥٢..... مؤامرة لقتل النبي ﷺ

أمهات المؤمنين
زوجات الرسول ﷺ

- ٣٥٧ * مؤامرة حقيرة
- ٣٥٨ * لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات
- ٣٦٠ * مقتل أبيها
- ٣٦١ * صفية ترى رؤيا بزواجها من النبي ﷺ
- ٣٦٣ * غزوة خيبر
- ٣٦٧ * مقتل كنانة بن الربيع زوج صفية
- ٣٦٩ * وأصبحت صفية من نصيب النبي ﷺ
- ٣٧١ * الزفاف المبارك
- ٣٧٤ * فى بيت النبوة
- ٣٧٦ * الكريمة صاحبة القلب الرقيق
- ٣٧٧ * إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي
- ٣٨٠ * والله إنها لصادقة
- ٣٨١ * على رسلكما إنها صفية
- ٣٨٢ * استدرارك ما فات
- ٣٨٢ * فراق مؤلم
- ٣٨٢ * والله يحب المحسنين
- ٣٨٤ * موقفها الجليل مع عثمان بن عفان رضي الله عنه

* وحن وقت الرحيل ٣٨٦

رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (أم حبيبة)

* ثباتها على دينها ٣٩٠

* الهجرة إلى الحبشة ٣٩١

* محنة شديدة ٣٩٤

* زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة على يد النجاشي ٣٩٨

* حفل الزواج ٤٠٠

* العودة إلى المدينة ٤٠٣

* اللقاء المبارك ٤٠٤

* أبو سفيان يزور ابنته أم حبيبة ٤٠٦

* إسلام أبي سفيان رضي الله عنه ٤٠٨

* حزنها على وفاة النجاشي رضي الله عنه ٤٠٩

* حزنها على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ٤١٠

* بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ٤١٠

* وحن وقت الرحيل ٤١١

ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

* تربة خصبة ٤١٧

* من هنا كانت البداية ٤١٨

أمهات المؤمنين زوجات الرسول ﷺ

- * ٤٢٠ عمرة القضاء وقصة الزواج المبارك
- * ٤٢١ النبي ﷺ يأمرهم بالجرى الخفيف ليرى
المشركون قوتهم
- * ٤٢٢ كيف تم الزواج؟
- * ٤٢٥ في رحاب بيت النبوة
- * ٤٢٦ شهادة غالية
- * ٤٢٦ حرصها على إقامة حدود الله عز وجل
- * ٤٢٧ فراق مؤلم
- * ٤٢٨ زاوية حديث النبي ﷺ
- * ٤٣٠ وحن وقت الرحيل
- * ٤٣٣ الفهرس